

عطور
بنكهة
المخدرات



أحمد عويس
إضافة

رواية

قصة قديمة.. يعود تاريخ بدايتها إلى ثورة ١٩١٩ مع الشيخ العطار الذي ترك ميراثاً لأحفاده ليس مالاً، ولا ذهباً، إنما ترك قبواً مليئاً بالأعشاب والمعطور التي بها الكثير من الأسرار.

فيعود بنا الزمن مرة أخرى مع د. خالد الذي يغوص مع صديقه في تجربة عطوره، فيحرر نفسه داخل أحلام وهلاوس خالد؛ ليستيقظ على جرائم قتل متتالية، فيعود مرة أخرى إلى ثنايا نفسه الداخلية، ليكتشف عالم آخر من تجارة العطور المخدرة التي تخرج أفضل ما يمكن إخراجه للسيطرة على البشر..

أحمد عويس في روايته الأولى يغوص بنا داخل النفس.. وتدخلاتها.. وقدرتها..

في عالم آخر غير التي نعيشها؛ ليسقط أجسادنا جمیعاً بسقطة نجمية تخرج أرواحنا داخل هذه الرواية، فتنشق على أوراقها، وتتفوح منها رائحة عطره المميز..

إضافة
لنشر والتوزيع



عطور بنكهة المخدرات

عطور بنكهة المخدرات

رواية

أحمد عويس

الطبعة الأولى : ٢٠٢١

رقم الإيداع : ٢٠٢١ / ٢٠٢٠

ISBN 978-977-6859-15-9

٢٠٠ ص ، سم

دار إضافة

للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج . م . ع

{جميع الحقوق محفوظة ©}

المراجعة اللغوية: عادل أبو الأنوار

غلاف وإخراج ففي: أمير مصطفى

عطور بنكهة المخدرات

رواية

أحمد عويس

إضافة
لنشر والتوزيع

هَلَاءٌ

إلى..

الرجل الذي أخلص في حبه لي... حبيبي... أبي.
ومكنونة فؤادي.... وحبيبتي..... وخير صحتي في الدنيا والآخرة.... أمي.
وجدتي العزيزة.

إلى..

حبيبتي.... التي امتلكت مشاعري واحتفظت بقلبي... دائمة الشكوى من
الرواية... قائلة:"الرواية دي اخدتك مني.. الرواية خدت كل كيانك"
زوجتي فاطمة.

إلى (ابني أو ابني) الذي انتظره في الطريق.

إلى أخوتي محمد وزوجته، و محمود ومصطفى وأختي الوحيدة رشا
وأولادها " العصابة".

إلى (دلوعة) بيتنا وصاحبة القرار الناهي والأمر فيه.
"حفوصة" الصغيرة، حفصة محمد

إلى أهلي وخالاتي وأولادهم " أخوتي "

إلى من انبرأو بتجربتي الأولى في الكتابة واعطوني القوة لنهائيتها...

أصدقائي " آل حماده"، وجميع الدفعه وزملاء العمل..

إلى أساتذتي الذين تعلمنا منهم الكثير.

وإلى كل من يهمه أمري.

أحمد عويس

في ظل شتات العقل ملقى على سريري الخشبي ذي الراحة التي لم
أجدها في أي سرير، في بيتي وشعاع الشمس المتسلل من بين فراغات
النافذة ذات الهواء البحري.

في قمة من الخمول وفي شroud الذهن بين ما تبقى مني في الحياة وما
مضى، آونة يشرد فيما يحدث، العمل ومشاكله وأونية أخرى بين
متطلبات الحياة والروابط البشرية المعقدة.

يرن هاتف المحمول رنات متتالية ينبهني من هذا الشroud، أمسكه
بخمول لا تعرف على صاحب الرنات غير المرحب بها، فأنا أكاد أنني لم
أستيقظ، عقلي بدأ يعي بوجودي وجسدي ما زال نائماً، نظرت إلى
شاشة الهاتف بعيني اليمنى واليسرى مغمضة، نعم أنه صديقي
فاضل، وكالعادة أجبت عليه وبنبرة نوم:

-ألو أيوه يا فاضل.

سمعت صوته مصحوباً بالبكاء وهو يقول:

-أنت فين يا خالد؟ تعالى بسرعة أنا في المستشفى.

قفزت مسرعاً من على السرير وكأنني قد لُدِغْتُ من حيَّةٍ، وخرجت خارج
الغرفة: ما بك يا صديقي؟ رد علىَ قال لي وبصوته حشرجة منعوني من
فهم كلامه، فقلت له: أنا جاي بسرعة لا تقلق.

غيرت ملابسي، توضأت سريعاً وأنا أعلم أنني لن أصل إلى الآن.

البيت كله: ما بك؟

سؤال طُرِح من أكثر من شخص، هنا أبي وهنا أمي وإخوتي، وكانت
إجابتي... أكثر حيرة:

-لا أعلم، فاضل صديقي في المستشفى، والذي أعرفه أنه بخير، ولكن
من المؤكد إن أحد أهله ليس كذلك!

ذهبت مسرعاً إلى سيارة أجرة تأخذني إلى مكان المستشفى، ركبت وكان ذهني شارداً وتخيلاتي بدأت تصنع فيلماً سينمائياً وتلعب دور اختيار الصحبة، من هو الصحبة؟
وتختار واحداً تلو الآخر من أهل فاضل.. مرة أمه، وأخرى أبوه! وأخته مرةأخيرة.. ولم الحيرة؟

تذكرة إن معرفتي بفاضل كانت في هذه المستشفى، كنا نعمل معًا، فأنا دكتور جراحة وهو كان يعمل في الحسابات، فاضل ذو الوجه البشوش طيب القلب، ولديه روح تأخذ انتباه الكثير.

أصبحنا الآن في التاسعة والعشرين من عمرنا، نحن نفرق عن بعضنا شهوراً فقط، هكذا تجمعنا في يوم ما حتى استقرت أرواحنا معًا، نعم أنه صديق يستحق مني اهتماماً، وأنا كنت أحاول بالفعل المحافظة على هذه الصدقة، والآن نجتمع مرة أخرى في نفس المكان بعدما تركناه، كنا نذكر أيامنا ونضحك على ما كُنّا نفعله، ليتها ظروف أفضل.
"أجرة ورا يا إخوانا" .. صوت أخرجني من شرود ذهني، أنه السائق، يا له من شخصية تسيطر على زبائنه، وكل دقيقة يتوقف ليركب واحد وينزل الآخر، وأنا من بين هؤلاء أنظر إلى ساعتي لأتفقد الوقت، تأخرت عليه فهو محتاج إلى الآن، نزلت مسرعاً من سيارة الخردة هذه، وانتقلت إلى تاكسي "مستشفى الجزيرة ياسطى" لوسمحت.

أخرجت هاتفي وبحثت عن رقم المستشفى، نعم ها هو ما زال موجوداً، الحمد لله.

رد على أحدهم: "أيوه يا خالد".

تذكرة فاسي ما زال مسجلاً لديهم: مين معايا؟

- محمد.. أنا محمد علي.

- إزيك يا محمد، إيه اللي حصل عندك وفاضل ماله؟

تكلم بسرعة، رد على باهتمام:

- أخته تعانة وفي العناية المركزة، تحب تكلمه؟ قلت له: لا خلاص أنا جاي.

كنت قد شارفت على الوصول، نزلت من التاكسي ودخلت لأرى ما حصل.

* * * *

الاستقبال، وفي أول دخولي وجدت محمد من حدثي في الهاتف- شاب في نهاية العشرينات يلبس قميصاً موحداً مثل زملائه، ولكن يتميز بكرافته صغيرة تنساب على جسمه المشوق معطياً إيحاءً بأهميته فهو الآن الملتقى الأول لكل من تسول له نفسه للدخول لمستشفى خاصة.

سلّمتُ عليه سريعاً، وسألته: ما الذي حدث؟ أردف قائلاً:

- مش عارف يا خالد بالضبط، بس فاضل أخته جات تعانة وفاصلة خالص، ودخلت العناية وكانت (arrest)- قلها وقف يعني- وأنت دكتور وفاهم واشتغلوا عليها ورجعت تاني.

قلت له: تمام هدخل أشوفهم.

ذهبت وأنا في قمة القلق على فاضل، وجدهُ واقفاً أمام الباب الخشبي المغلق ومكتوب عليه العناية المركزة.

- فاضل إيه اللي حصل؟

وهو في قمة الحزن وببدأ يقصُّ ما حدث وعيونه تذرف دموعاً لا تتوقف، أمسكتُ على يده بقوه وهمست في أذنه: تحمل يا صديقي. واحتضنته بقوه حتى يتوقف عن البكاء وكأني أضغط على نزيف، وضممته بقوه حتى توقفت دموعه، وقلت له:

- لا عليك.

ذهبت إلى الدكتور المسؤول عن الحالة وعرّفته ببني، وببدأ يقصّ لي ما حدث: "لقد توقف التنفس عندها مدة عشرة دقائق حتى جاءوا بها، والحمد لله لحقناها يا دكتور، بس هي على جهاز التنفس الصناعي وربنا يسّر، ربنا يصبركم".

كلمة قالها الدكتور وتركتني في حيرة كبيرة، لم أفهم شيئاً بعد وما زال سؤالي: ما سبب كل ذلك؟!
رجعت إلى فاضل مرة أخرى لأفهم سبب ما حدث والتاريخ المرضي لأخته.

وفي هذه اللحظة وأنا أسيّرُ تجاه فاضل مررت من وراءه فتاة تلبس البالطو الأبيض وبابتسامتها المعهودة، وهي تسير نظرت عن يمينها بنظرة عابرة فوجدتني واقفاً تجاه فاضل وهي وراءه، نظرت إلى أمامها مرة أخرى وكأن نظراتها لي كانت اختلاساً، هذا ما تمنيت، وأكملت السير إلى داخل غرفة مكتوب عليها قسم الأطفال.

أكملت السير إلى فاضل لأطمئنه على أخيه التي لم أفهم حتى الآن سبب ما حدث لها! وتسمرت أمامه وهو يسألني: ما الذي قاله لك الدكتور يا خالد؟ وكان يتحدث كثيراً وأنا أرى شفتيه تتحركان ولكنني كنت في شرود ذهني حتى سمعت صوته:

- خالد.. خالد.. أنت معايا؟ رحت فين يابني؟

قلت له: آسف معاك.. اطمّن أختك على جهاز تنفس صناعي، بس لازم تقولي هي أختك كان عندها أي أمراض قبل كده أو بتتعالج من حاجة؟
قال لي: لا مش بتاخذ علاج ف حياتها.

نظرت إليه بدهشة وقلت: أنت بتتكلّم بجد؟!

بدا عليه التوتر من كثرة أسئلتي ولكنني طمأنّته بطريقة ما، ولكنني لم أفلح في ذلك، وكان أكثر توتراً، ذهبت إلى أبيه وأمه.

رجل في أواخر العقد الخامس من العمر يجلس على كرسيه المعدني الذي يصدر صوتاً كلما تحرك من يجلس عليه، مطأطئ الرأس حزناً على ابنته لظهور صلعته المنساء، ليس إلا شعر رأسه الجانبي الأبيض المتسلل منه بعض الشعر الأسود الذي يكسر شيبته، وبجواره امرأة في أوائل الخمسينات من عمرها، تلتقي بوشاحها الأسود وبكائها المستمر ومصحفها الذي لا يفارق يديها، منتظرةً خبراً يرد إلى قلبه النبض مرة أخرى.

ذهبت لأعطي لهما بعض الأمل: إن الحالة مستقرة وإن شاء الله تفوق وتبقى كويستة، وأيضاً لم أفلح في ذلك.

أعتقد أنني لم أتعلم المواراة جيداً، ولكن هذه طبيعة عملي، فأنا دكتور أحاول إن أطمئن المريض ولو كانت حالته توجي بسوء، فقد جاءني مريض قبل ذلك في المستشفى ولديه جرح في يده عند منطقه الساعد بجوار الشرايين، وكان هو وأهله في قمة من التوتر، وبصوت عالٍ: فين الدكتور؟! الواد بيموت، ودخلوا علي المكتب وأنا في غرفة الكشف وكانوا بالعشرات: يلا يا دكتور الواد انتحر، العقه قبل ما يتصرف.

ذهبت مسرعاً معهم لأجده نائماً على السرير الجلدي ويده أكاد لم أرها من الدم وبها الكثير من القماش في محاولة منهم لوقف النزيف، وضفت مسرعاً قطناً على الجرح بعد ما قمت بإزالة جميع الأقمصة، وقلت للمرضية أن تمسك عليه جيداً، وبطريقة ما قمت بتنظيف كامل يديه من الدم لأرى مكان الجرح، أو إن كان فيه جروح أخرى، ثم توقفت عندما نظرت حولي فوجدت جميع أهله فوق رؤوسنا.

رجعت مرة أخرى إلى فاضل لأقف بجواره حتى غابت الشمس وأمسينا بقراية منتصف الليل، حاولت إن أقول لأبيه وأمه أن يذهبوا ويرتاحا ولكنهما رفضا، تبست مكانى عندما تكلمت أم فاضل باكية "الحاجة هيا محي الدين":

- ننام إزاي يابني وبيننا بين الحياة والموت؟ قطرات الدموع صانعةً على وجنتها قطاراً أسود لا يتوقف.
- لازم تنامي يا ماما شوية إحنا قدامنا يوم طويل بكرة: قالها فاضل وبه حمل كبير على كاهله، وطبعية يده عليها ليشعرها بالأمان.

أما أبو فاضل "يسري عبد الرحمن" الذي لا يخرج صوتاً واحداً إلا صوت مسبحته وهمسه بها، ودموع محبوسة داخل عينيه ت يريد الخروج والتدفق للخارج، وتخلل من بين شعيرات رموشه الصغيرة وتنساب على وجنتيه، ولكن هولم يسمح لها بذلك الخروج، ولعله ليس من المعيب أن نفعلها، أن نترك لها المجال، لأن بقاءها يزيدنا آلاماً، لعله يتركها منفرداً، ولعل شخصيته القوية هذه تخفي وراءها حناناً أبوياً يتفجر في يومٍ ما، كنت أتمنى أن أرى هذا اليوم، وأحب مشاهدة المزيج بين الجمود مع الحنون هذا، ولعلي شاهدت دموعه منذ قليل وأرها الآن محبوسة بين جفونه.

فوجدنا أنا وفاضل لهما مكاناً ليناماً فيه، ووجدنا غرفة كنا ننام فيها عندما نهي عملنا فيما مضى، نمنا على سرير واحد بسبب عدم وجود غرف أخرى، نام فاضل من أول ما وضع رأسه على وسادته، نام ليستقبل يوماً لا يعلم عنه شيئاً.

أما أنا فما زالت صاحبة البالطو الأبيض أمام عيني، وتذكرت أول يوم رأيتها فيه، أنها "زهرة".. الدكتورة "زهرة" مكتورة الأطفال المبهجة. لم أر جمالاً مثلها، صاحبة الوجه الأبيض المصحوب باللون الوردي والعيون السوداء التي تجعلني أنتظر نظرة واحدة منها لتفتح أزهار يومي فرحاً وسعادة، كانت أيام حلوة يا فاضل.. كلمة قلتها ولكن فاضل كان نائماً ينتظر الصباح.

* * * *

استيقظ خالد ولم يجد فاضل بجواره، وكما توقع ذهب فاضل ليطمئن على اخته ولم يحب إزعاج خالد.
خالد صاحب البشرة الخمرية واللحية الهزيلة المناسبة على وجهه، التي ينسى إزالتها من انشغاله في حياته الرتيبة بين عمله في المستشفى وانغماسه بين المرضى.

انسحب فاضل بهدوء من جواره ونظر إليه نظرة امتنان لما يفعله من اهتمام من أجله، وذهب إلى اخته في الطابق الثاني في المستشفى التي تكون من خمسة طوابق بها جميع الأقسام:
الأول: الطوارئ.

والثاني: العناية المركزة، وقسم الأطفال.

أما من الثالث إلى الخامس فأقسام أخرى كان يتجلو فيها ويراجع ذكرياته هو وصديقه الدكتور خالد وما كانا يفعلانه بعد الانتهاء من العمل من المواصلة غير المنقطعة من الضحك، ابتسם لوهلة، وبعدها تذكر أخته النائمة على جهاز ليعطي لها نفس الحياة التي بدونه لا توجد حياة، وتذكر الحِمل الثقيل من أعباء مادية ستقابلها بعد خروجها بالسلامة، ثم قال: "أهم حاجة أنها تقوم بالسلامة".

نزل، وبمروره استوقفته إحداهن منادية: "أستاذ فاضل"، توقفَ ليرى
من يُحِدُّه فوجدها الدكتورة "زهرة"، سلمَ عليها، وقالت له: أختك
عاملة إيه؟

ردَ بهدوء: لا أعلم، وإلى الآن لا أدرى ما سبب كل ذلك، فهي كانت في
أفضل حال، وكانت منتظمة في علاجها.

قالت زهرة: أنا سألت دكتور العناية وإن شاء الله تتحسن.
أردف قائلاً: يارب يا دكتورة زهرة يارب.. وشكراً جدًا على سؤالك.

قالت بعيون زائفة: وصاحبك سابق وللا إيه؟
قال فاضل: قصدك خالد؟ خالد نايم فوق سبته يرتاح شوية
ماسابنيش من امبارح.. يارتنا افتكرنا سيرة... وصمت.
وصل خالد واقترب منهما..

- سيرة مين بقى؟ قالها خالد.

- سيرتك أنت يا سيدى. قالها فاضل.

بقليل من القلق.. وعيونها لمعة من الحياة ووجهه ازداد احمراره.. كانت
زهرة واقفة لا تتوقع الوصول المفاجئ الذي لا تعى الشعور الحقيقى
تجاهه، ولم كل هذا التوتر؟ فهو ماضٍ بالنسبة لي، كُنّا ولن تكون مرة
أخرى، ازدادت توترًا وخجلًا عندما قال لها:

- ازيك يا زهرة.. قصدي دكتورة زهرة.

- أنا تمام.. وحضرتك عامل إيه يا دكتور خالد.

كل ذلك وفاضل بينهما يراقب النظارات الزائفة عن اليمين والشمال
لزهرة والنظر الثابت لخالد الذي لا ينحرف عنها، وفاضل يقف شامخًا
مراقباً بطوله الذي يتعدى طول خالد بقليل، وبجسمه مفتول
العضلات التي تختفي تحت كمية مناسبة من الترهلات.

- تذكرتُ هذه النظرة عندما لمحتها خلفي بالأمس، وهو ينظر إليها دون وعي بكلامي، ولكنني بالرغم بالأحداث المارة بي أعطيته عذرها، فهو لم يحب أحداً مثلما أحب زهرة، فكانت ولا زالت زهرة قلبه، وطالما كان يحدثني عنها، ومنذ حدث الفراق بينهما كان يذكرها، ويدرك ما حدث بشيء من الندم، وكانت جملته: "كانت وما زالت زهرة قلبي".

- طيب أنا هروح أطمئن على مني.. قالها فاضل ليعطي لخالد المساحة التي ظل ينتظرها الكثير والكثير منذ فراقهما.

أخته مني التي لا تتعذر الثانية والعشرين من عمرها، يحدث لها كل ذلك! فهو يحبها، لم تكن أخته الصغيرة وحسب، ولكنها توأمه الروحي، كان يتذكر لعيمها معًا وهما صغيرين، والمشاجرات غير القابلة للتتفاهم من أجل أعلاهما، وعندما كبروا معًا كان يعطي الأوامر فهو الرجل، ولكنها هي البنت العنيفة التي لا تطيع إلا عندما تريد منه أمراً ما، ويتسنم ويقول لها: "أهلاً ببتاعت مصلحتها".

صاحبة الشعر الأسود، والعيون البنية، والبشرة المائلة للون الخمري، والوجه المستدير، "ياريتك تلاقي واحدة في جمالي يابني"، جملة كانت ترددتها ويليها ضحكات تنور حياة فاضل، ليتذكر كل هذا وتسقط دموعه وهو جالس على كرسي معدني -صنع خصيصاً لالانتظار لأهل المرضى- وأمامه أقاربه يقفون مع أبيه وأمه، ودموع أمه التي لا تجف على وجنتها، والمصحف المسووك بيديها وهي تقرأ بعيون زارفة تكاد لا ترى آياته من دمعاتها، وحركات المسبحـة غير المتوقفـة من أبيه في شكل دائري..

تحرك بين أصابعه دون توقف مع حركات شفتيه وهمسٌ يكاد لا يسمع من بجواره، ودعوات لا تتوقف، وكأن كل القلوب تدعوا لها، وفاضل بين كل ذلك ينتظر خبراً من داخل أبوابها، وأصوات الأجهزة غير المتوقفة، خرج عليهم دكتور آخر غير الذي حضر الحادث بالأمس، يرتدي أيضًا ملابس أنيقة وعلمًا بالطوابيض ونظارة صغيرة، وبخطوات ثابتة أتى، وقبل أن يُعرِّف نفسه علم فاضل أنه الاستشاري وهذا وقت مروره على الحالات، بخبرته السابقة في العمل بالمستشفى، وبينما هو كذلك وصل خالد إلى فاضل ليستقبلا الدكتور معاً..

* * *

خالد

ترَكَنا فاضل باختلاس وجملة قالها وهو يمشي: هروح أطمِن على أخي.
أصبحت أنا وزهرة، وبنظرتي لها غير الإرادية، فأنا لم أستطيع التوقف
عن النظر لها، شعرها الأسود المختبئ تحت وشاحها الصغير الأبيض
المندس تحت البالطو الأنثيق، وتسلل منه خصلة شعرها المناسبة من
تحت الوشاح، وكلما ظهرت أخفتها بحياة داخله.

كنت مشتاقاً، طالما حلمت بهذه اللحظة، التي أعادتها على كل ما حدث
وبعدها عني كل هذا الوقت، ولكن يتوقف لسانِي خشية أن أقول كلمة
ترُجّها، ولكن أبعدت نظري خجلاً منها وازديادها توتراً وأنظارها الباردة
مني، فيَ تكاد لم تنظر إلى عيني المستفقة، ستظل زهرة خجولة كما هي
تعامل في عملها مع كثيرون من الرجال ولكن تأتي أمامي وتصبح هكذا،
كنت مثلها في بدايات علاقتنا، ولكن الآن لن أُفرط فيها مهما حدث.

- أخبارك إيه يا دكتورة؟ كلمة قُلْتها لتقليل توترها.

ردت: الحمد لله يا خالد أنت أخبارك إيه.

ارتاح قلبي وفتح أمامي أبوابه الموصدة من أجل ذلك، فهي نادتني دون
ألقاب.

أردفتُ قائلاً بانتباه: أنت اختفيتي فين يا زهرة؟ سالت عليكي كثير،
وبعد ما مشيت من المستشفى واستلمت التكليف ابتعدت أكثر
ومقدرش أعرف أخبارك.

كان يبدو في نظراتها وطريقة استماعها لي ونظراتها لي شوق كبير لطريقة
تحدىنا ومجادلتنا عندما نختلف في تشخيص حالة، وصاحب
التخصص هو دائمًا الفائز، ويتراجع الآخر، أو اختلافنا في رأي ما.

- يا دكتور.. صوت نُودي من أمام إحدى الغرف، نظرنا سوياً.. فقالت مبتسمة: محتاجين دكتورة زهرة.. امرأة في أوائل الخمسينات من عمرها تلبس لبسًا خاصاً بالمستشفى، قصيرة القامة، وعريضة الجسد، تكاد لا تعرف ملامحه من الكرش الكبير الذي يغطي جسدها، قالت: ازيك يا دكتور خالد عاش من شافك! إيه مش فاكرني؟ ولا نسيت القهوة اللي كنت بعملها لك.. أنا الحاجة نادية.

قالت: يرضيك كده يا دكتورة زهرة؟ ينسى نادية وينسى عمايل إدياً والقهوة؟ ده حتى ما كانش بيشرب القهوة من إيد حد غير من إيدي. ابتسمت لها وأردفت قائلاً: هو أنا أقدر أنساك يا سرت الكل! إزيك يا حاجة؟ والله وحشتني كتير، وأخبار أولادك إيه وبنتك اتجوزت؟ ردت بفرحة: آه يا دكتور.. اتجوزت وحامل خلاص، جوزها ما صدق أتجوز يا حبة عيني، وسافر، ربنا يرجعهولها بالسلامة، وشكراً يا دكتور خالد على الواجب، تعرفي يا دكتورة زهرة، دكتور خالد ده أحسن واحد، ده هو اللي ساعدى في جوازة بنتي وفي جهازها كمان... ابن أصول ب صحيح.

أردفت قائلاً: متقوليش كده يا حاجة، أنا زي ابنك، وبنتك اختي ولو احتجتي حاجة كلمياني.

لمعت عيناهَا اندهاشاً من كلام نادية، وكأنهما غير مصدقة أنني أخفيت عنها هذا الأمر، كُنّا سوياً وقتها، وأردفت قائلاً -لتجلب انتباها:- مين اللي كان عاوزيني يا سرت نادية؟ قالتها زهرة.

- طيب هسيبكم لشغلكم وهروح أطمئن على فاضل. كلمة قُلتها وأنا أودع زهرة بنظرة وعد بلقاء آخر.

زهرة

ذهبت مع نادية لأرى بعض الحالات، وبعد يوم طويل نزلت من المستشفى واتجهت إلى سيارتي المركونة في المكان المخصص للسيارات المتوفر للعاملين بالمستشفى، وبصري يبحث عن خالد لعلّي أراه قبل ما أذهب إلى بيتي ولكن دون جدو، أخذت سيارتي وذهبت إلى بيتي المكون من طابقين من الداخل والخارج مُحاط بسور حجري، مرصوص عليه الكرات المضيئة، وفي منتصف السور باب حديد ارتفاعه يفوق الثلاثة أمتار، متوازيًا مع ارتفاع السور، فتح لي الباب الحديدي عم إسماعيل، رجل يشبه عم عثمان في الأفلام القديمة بوجهه الأسمر، يلبس جلباباً يخفى داخله جسمه الهزيل من شقائه في الحياة الموحشة، وبابتسامته والرضي الدائم قال: حمد الله على السلامة يا دكتورة.

- الله يسلامك يا عم إسماعيل. قلتها وأنا أسير بالسيارة لأركنها.

صعدت مسرعة إلى غرفتي، ولم أجد في طريقي من يستوقفني لا أمي ولا أبي، دلفت إلى داخل المنزل وصعدت بضع درجات سلم رخامية وصولاً لباب خشبي كبير، ومن أمامي طاولة الطعام الخشبية، ويعلوها نجفة كريستال مذهبة، وعن يميني باب خشبي زجاجي يوصل إلى الجنينة، أما اليسار فباب يبعد عن دخولي بأمتار قليلة وهو مكتب بابا، الذي لا يفتحه أحد غيره، به مكتبة كتب قيمة، إذا أردت أخذ كتاب منه لا بد من الاستئذان منه فهي فعلاً قيمة.

صعدت درجات سلمي وصولاً إلى غرفتي المميزة، دلفت داخل غرفتي وغيرت ملابسي، وفي غرفة تغيير الملابس الخشبية أبعدت الكثير من

الملابس المعلقة بطريقة منتظمة وألوانها المختلفة لأفتح خزانة صغيرة وآخذ منها صندوقاً خشبياً وأذهب به إلى سريري، وأسحب من جانبه الأيمن قطعة مثبتة ليظهر داخلها مفتاح الصندوق، وأفتحه وأجد في أعلى صوري أنا وخالد بعد الانتهاء من حفلة تخرجي، وبعض الهدايا والرسائل منه في كل مناسبة، فهو كان لا يؤمن إلا بهذه الرسائل ويقول دائمًا: "الهاتف ستنتهي يومًا ما، أما الأوراق فستظل باقية".

دائماً يحب القراءة، وأجمل الكتب في مكتبتي الخاصة كانت منه، كنا نتبادل الكتب منها العلمية والروائية، يا ليته ظل معه! فهو فعل ما يمكن فعله، ولكن أبي كان السبب، انفطر قلبي يومها حينما خُبرتُ بين أبي وطاعته وبين قلبي وخالد.

جلست زهرة تعيش مع ماضيها الجميل وصورهما معًا ورسائله المليئة بالغزل وابتسامتها لا تفترق شفتيها، حتى غاصت في نومها في وسط كل هذا.

أتى خالد ووجد الطبيب واقفًا مع فاضل وأهله، سلم خالد عليه وتعارفاً ثم أردد الطبيب قائلاً:

- الحمد لله الحالة بقت كويسة، وفصلناها من على جهاز التنفس وساعات وهتقدرموا تشوفوها.

عاد النبض مرة أخرى في قلوبهم جميعاً فرحاً بهذا الخبر، لقد سمع الله دعاءهم، ونظر خالد ووضع يده بقوة على كتف فاضل، وابتسموا معًا، ثم أردد خالد سائلاً الطبيب:

- وما السبب وراء ما حدث؟ تغيرت ملامح وجه الطبيب وصمت قليلاً ثم قال: هي كانت بتشتكي من قلبها قبل كده؟

رد أبو فاضل: لا يا دكتور، هي بس مناعتها ضعيفة شوية وكان بيجي لها نزلات برد كتير وسخونة بس عادي بتاخد علاج وبتحف، الموضوع ازداد الفترة الأخيرة، وما كانش في مضاعفات حصلت.

قال الطبيب: بعد التحاليل والفحوصات توصلنا للسبب الحقيقي للي حصل مع بنتكم.

صمت كامل وترقب منهم لانتظار ما سيقوله الطبيب، ثم قال: بنتكم عندها "الذئبة الحمراء"، وأكيد الدكتور خالد فاهم وهيوضحلكم كلامي..

جملة قالها الطبيب وانصرف ليضع خالد في محننة أمام فاضل وأهله، ليس لأنه يعي ماهية المرض فقط، ولكن كيفية توصيله لهم بشيء من المحافظة على مشاعرهم.

* * *

خالد

بينما تركنا الطبيب وترك لي مهمتي في التوضيح عن سبب ما حدث، وأن ابنتهم تعاني من مرض "الذئبة الحمراء"، فكان أول من تكلم فاضل، وكان سائلاً: يعني إيه المرض ده يا خالد؟ وضحلنا لو سمحت. حاولت البحث عن إجابة مختصرة وأيضاً تقلل من حدة توترهم، فأجبت قائلاً: الذئبة الحمراء هو مرض مناعي، وفيه المناعة تكون بها خلل وضعيفة، حيث أنها تهاجم خلايا الجسم بدلاً من المدافعة عنه.. وتؤثر على جميع أعضاء الجسم وخاصة القلب، وبها الكثير من الألم بالمفاصل وسخونة وغيرها من الأعراض. وذكرت كثيراً من الكلام العلمي، وتوقفت حين أوقفني أبو فاضل سائلاً: علاجها إيه يابني؟

نظرت إلى فاضل قائلاً: إن شاء الله في علاج.. ماتقلقش.. ماتقلقش كلكم، وهتخف وهتبقى زي الفل.

حاولت أن أهرب من نظرات أهل فاضل، فأنا لم أنجح للمرة الثانية في بث الطمأنينة في قلوبهم، آخذًا فاضل: تعال يا فاضل أعزوك على قهوة لحد ما يسمحوا لنا بالدخول.. حتى نقعد على الكافيه إللي أنت بتحبه. ذهبني أنا وهو إلى كافيه كنا دائمي التردد عليه، ليس لأنه الأفضل ولكن لأنه أقرب إلى عملنا، وطلبنا "قهوة مانو" كعادتنا، ولكن هو يحب شربها باللين.

وحاولت إخراجه من حالته مازحًا معه: وانت بقى يا عم المحاسب مش هنفرح بيك؟ ابتسامة تكاد لا تظهر أنسانه، وقال: أهم حاجة أطممن على أخي مني..

- أول مرة أحس إنك بتجمها أوي كده. قلتها وبعدها أخذت رشفة من قهوةي.

- عشان أنا السبب.. كلمة قالها وبعدها قال: المرض ده له علاج يا خالد؟

- هو ده اللي جبتكم عشانه يا فاضل.

تغيرت ملامح وجه فاضل وترك قهوةه وأشار إلى لأكمل كلامي.

- المرض ده زي ما قولتلك مرض مناعي وبيأثر على الجسم كله.. بس للأسف...

- للأسف إيه يا خالد!

- مالهوش علاج واضح.. إحنا في الحالات دي بنعالج بس الأعراض..
بنعطي كورتيزون عشان يخفف من الأعراض وفي احتياطات بيأخذها المريض عشان نحافظ عليه، تخيل يا فاضل الجيش يحارب نفسه، ويهاجم بلده، هو ده اللي بيحصل في المرض ده.

قال فاضل باهتمام: بس الأعراض دي شيمه بأعراض كنت قرأتها عن نوع من السموم.

- مش مهم، المهم أختك هتبقى كويسة.. قلتها لأخفف من قلقه.

- طمني عليك يا خالد.. مفيش أخبار بينك وبين زهرة؟ أنا عارف إنك لسه بتجمها.. وبخبرتي كده أحب أقولك أنها بتحبك أكثر من الأول كمان.

- ياراجل.. خلاص يابني كانت أيام وراحت لحالها! كلمة قلتها وأنا لم أعن منها شيئاً.

- لا مراحتش، وبعددين أنت هتخبي علي؟ دي نظرتكم انتم الاتنين فضحاكم.

وقالها بابتسامة وفرحة شعرت بصدق حديثه مع أنني أتمنى ذلك.

- يا خالد.. لما تلاقي حبيبك إوعي تفرط فيه. الجملة دي قالهالي جدي قبل ما يموت.



زهرة

استيقظت من نومي وكان سريري مليئاً بذكرياتي مع خالد، جمعتها سريعاً وألقيت نظرة أخيرة على خالد في صورتنا معًا، كنت ولأول مرة سعيدة بالذهاب إلى العمل، ونزلت مسرعة وكلي حماس، وجدت أمي وأبي جالسين على طاولة الطعام كعادتهم.

رجل في العقد السادس من عمره، ولكن من يراه لا يظن أنه بهذه السن، شعره الأسود المصبوغ بصبغات مستوردة لتحافظ على دقة السواد ليظهر طبيعياً، وكرشه الذي يتدلّى في جلسته على الطاولة، والمعطف الأنثوي المخصص فقط للبيت "روب"، وبشرته البيضاء اللامعة بأحمرار كأنك ترى "حسين فهمي" ولكن بشعر أسود وعينين بنيتين.

قبلته وقبلت أمي وذهبت.

الأم لم تكن إلا سيدة لا تراها إلا أن تكون مديرية شركة أو مؤسسة تعليمية، منمقة في ملابسها، تحب وضع كل شيء في مكانه، وبهذه الهيئة تكتمل بوشاح يغطي رأسها فقط، أما ما تبقى من عنقها وما تحته بقليل فما يضر؟ أنه عصر "السبانش" يا سادة.

- طيب يا بنتي مش هتفطري؟! - قالتها أمي - رددت عليها: هفطر في الشغل يا ماما.. البنت دي مالها كده المباردة.. قالها أبي.. رددت عليه: سمعتك على فكرة. ابتسمت، وابتسم هو، لمحته في طريق خروجي للذهاب إلى المستشفى، ولكنني كنت لا أفكراً إلا في حبيبي خالد، كنت مثل فتاة في السابعة عشرة من عمرها وسعيدة بلقاء حبيها بالمدرسة،

ما أجمل هذا الإحساس! ولكن الحياة مُصرّة علىأخذ مِنَّا ما نحب،
ولكن اليوم عاد لي ولن أفرط في حبيبي، لن أخطئ خطئي السابق،
خالد الآن دكتور ناجح..

آه لسه ظروفه مش أوي.. بس هتحسن و هيبي أحسن دكتور، وهخلي
بابا يوافق.. المَرَادي هيوافق يعني هيوافق.
وصلت المستشفى ودخلت على العناية بحجة فقد أحوال اخت
فاضل.. ولأرى خالد.. ولكنني لم أجده أحداً، فوجدهم جميعاً يحيطون
بسيرها ولا أجد خالد ولا فاضل، تراجعت وفي رجوعي وجدت خالد
ومعه فاضل أتيا مسرعين، سلم علي فاضل بتعجل ودخل يطمئن على
اخته بينما بقى خالد.

- حمد الله على سلامه اخت فاضل.. سمعت أنها بقت كويسة.. فقلت
آجي أطمئن عليها.

- الحمد لله ربنا كتب لها عمر جديد.. الدكتور إمبارح
شخصها "systemic lupus" (الذئبة الحمراء) بس ده تشخيص مبدئي
- ربنا يشفيها إن شاء الله يا خالد.

- تعالى يا زهرة نشووفها.. دخلنا سويا أنا وخالد.

* * *

خالد

دخلنا أنا وزهرة على مني وهي نائمة على سريرها الطبي وبجوارها الكثير من الأجهزة، وترتدي غطاء شفافاً على رأسها الذي لم يستطع تعطية جميع شعرها الأسود، وغطاء على جسدها، ليظهركم هي جميلة حتى في ظروفها الصحية وابتسمتها الصافية لأهلاها وفاصل بالأخص، ياله من أخ محظوظ بأخته هذه! وهي أيضاً كذلك، هو يحبها أكثر مما يحب حياته.

- سلامتك يا مني.. ألف سلامة عليك..

- الله يسلمك يا خالد.

- أعرفك بالدكتورة زهرة.. حبت تطمئن عليك يا مني.

- سلامتك.. قالتها زهرة بهدوء وبابتسامة صافية واستأنفت سريعاً وتركتنا، وقالت إن لديها الكثير من الأطفال في القسم.

وفاصل ما زال بجوار مني وممسك بيديها يعطي لها الشراب تارة والأكل تارة أخرى، وأنا أتعجب من كل هذا، يعد هذا الاهتمام مبالغًا فيه بالنسبة لي، ولكنني أيضاً سعيد بهذه المشاعر وسعيد بعودتها المؤقتة بالسلامة.. نعم مؤقتة لأن في حالتها هذه من المحتمل أن يتكرر ذلك مرة أخرى، وهل ستنجو أم لا، ولكن هذا الكلام لا أستطيع البوح به حتى لفاضل نفسه بعد روئتي له في هذه الحالة.

تركهم وذهبت أتمشى في ممر المستشفى بحثاً مني عن زهرة. طرقة طويلة في نهايتها باب خشبي كبير ولوحة معدنية مذهبة كتب عليها "قسم الأطفال"، نظرت على يسارى فوجدت كونتر استقبال المرضى ووراءه باب كتب عليه "استراحة التمريض" وعلى اليمين باب مفتوح، دخلت باختلاس.

وجدتها كما توقعت تجلس على مكتها الخشبي، وباب مكتوب عليه "عيادة الأطفال" ولكن لا يوجد أطفال، ربما لم تبدأ بعد، أو ربما شعرت بالخجل وأعطت سبباً لخروجه، دخلت عليها وكانت ممسكة بكتاب وترتدي نظارة -ازداد جمالها فيها- كم أعشق هذه الفتاة! ما هذا المخلوق العجيب الذي صنعه الله في قلوبنا؟ أنه الحب، الحب الذي يجعلنا نرى كل شيء في جماله، رغم ما حصل بيتي وبين زهرة، ورغم اختيارها بموافقة أبيها ورفضه لي مجرد أنني غير مؤهل مادياً بالنسبة لمستواه الاجتماعي، وهي لم تقف معي وإن كان هذا لم يكن بيدها فعله، ظللتُ واقفاً وهي كانت متعمقة في كتابها حتى جلست على كرسي خشبي مرصع ببطانة جلدية ليعطي راحة في جلسته، ولكن أحذر صوت زقرقة بعد جلوسي عليه لفت انتباها، نظرتُ عينيها من تحت عيناتها المستديرة ووجدتني أنا هذا الذي تطفل على خصوصيتها، اعتدلت في جلستها وأزالت عيناتها على مكتها لظهور جمال عيونها مرة أخرى، وابتسمت لي ابتسامة أظهرت منه أسنانها وهي مرصوصة مثل اللؤلؤ الذي يعكس نوره أرجاء المكان.

- خالد.. أنت هنا من إمقي؟

- من زمان.. وقاعد أنفرج عليك وانتي بتقري.. بتقري إيه بقى؟
صمنت قليلاً حتى أدركت أنها تقرأ كتاباً كنت قد أهديتها إياه بعد تخرجها.

- كتاب شارلووك هولمز.

كانت تبدو في مسكنها وعينها الرائغتين في صفحات الكتاب لتجميع أفكارها، ثم النظر تارة أخرى إلى الأعلى وهي ممسكة بقلمها، تبدو ككاتبة رواية، ستكتب قصتنا الآن، سيفتح الستار عن المسرحية التي تكون نهايتها أيضاً كما نحب نحن.

- بتحبي انتي القضايا والغموض.. عشان كده.

- عشان كده إيه يا دكتور؟

قالتها برفع حاجها وابتسامة لم تستطع موارتها وخداتها ازداداً
احمراراً.

- لا مفيش..

نظرت لي بغيط شديد فابتسمت لها فابتسمت هي، وقاطعت لحظتنا
للمرة الثانية نادية قائلة:

- دكتور خالد منورنا والله.. أخيراً بقى هتشرب القهوة من إيدي.
ازداد تبسمنا أنا وزهرة.

- قلت لها مرة تانية عشان يمكن نشرب حاجة بدل القهوة قريب،
ذهبت وفي ذهابي لحت نظرات نادية إلى زهرة في ابتهاج وكأنها تقدم لها
المباركة، وكانت كلماتي تعطي وعداً لمحاولة أخرى لمقابلة أبيها، ولكن
هذه المرة هي من تتحمل مسؤولية هذا القرار.

خرجت مُنْيَ من المستشفى ومعها فاضل وكل يوم أذهب لأعطي لها
بعض الأدوية والعلاج اللازم لحالتها، فأصبحت واحداً من هذه العائلة،
ودخولي لبيتهم أصبح عادة، وأصحموا جميعاً ينتظرونني يومياً، إما لعلاج
مني أو لعزومتي على العشاء المجهز بيدي أم فاضل، التي غيرت فكرتي عن
الطعام أصلاً، من أشهر ما تصنع وتتصنع فيه، فهي محترفة وأيضاً
مني، وزي ما المثل ما بيقول "اقلب القدرة على فومها تطلع البنت
لأمهما"، ما أغريبه مثل! ما علاقة قلب القدرة "كسر القاف" بالبنت
وأمهما؟ هكذا وجدنا آباءنا يقولون، وانكسرت الحواجز، ظلوا ينادوني
بخالد دون لقب وكأنني أصبحت ابئم الثالث أو زوج ابئم مثلاً.
وأيضاً رجعت إلى عملي فأنا لم أذهب إليه منذ هذا الحادث.

انتظامي في عملي يعد من أولويات مرحلتي هذه، لأنّي لأبي زهرة أنني
أستطيع أن أقطعها من بستانك المليء بأزهار "القصوان الشائكة"، إلى
بستاني المزروع بعطرور الياسمين وقسمي الخاص الذي لن يدخله أحد
غيرها داخل قلبي، لأنّها بجوار زهرة "الأوركيد" التي تميّز بعطرها
الجذاب وتاريخها الطويل.

أما بيتي فأنا أدخله قليلاً فأطمئن على أمي وأبي، وأندرس في سيري
لأصبح وأذهب إلى عملي، كانت هذه الأيام رتيبة ولكن يفرقها محادثاتنا
أنا وزهرة، وانتظرت أن تنظم مقابلة أخرى مع أبيها لتحقق ما كنا
نتمناه.

اختفت زهرة مرة أخرى ولم تعد ترد على هاتفي، اختفت من حياتي،
أصبحت وللمرة الثانية شيئاً من الماضي، تركت عملها بالمستشفى،
ذهبت ولم تعد، ترددت كثيراً في الذهاب إلى بيتهما، وفي إحدى مراتي
بالذهاب إلى بيتهما وصلت ورجعت مرة أخرى.

لم أستطع تحمل فراقها هذه المرة، كنت أبحث عنها في كل مكان،
تغيرت ملامحي بالمرة ولم أنتظم حتى في الذهاب إلى عملي، هل وضع
المؤولية عليها مع أبيها كان خطئي؟ أم ماذا؟!
ولماذا اختفت مرة واحدة؟

ذهبت إلى بيتهما وهذه المرة سأدخل وأتكلم مع الرجل الوحيد الذي
استطاع التفريق بيني وبينها، أنه أبوها.

وفي دخولي وجدت عم إسماعيل أوقفني:
- ازيك يا دكتور خالد.

ردّدت عليه بجمود وعينين مُحمّرتين، ووجه يكاد لم ينم منذ أيام:
- أين زهرة؟

- الدكتورة زهرة سافرت في بعثة يا باشا.. سافرت تُكمِّل تعليمها برة.
- بره فين يا عم إسماعيل؟
- في بلاد برة يا دكتور، مش عارف بيقولوا أمريكا.. ماتيجي يا دكتور تنورنا ونعمملك شاي.
- تركته دون رد، ولا أعلم أي رد أقوله وأنا أفكِّر لماذا زهرة فعلت هذا، ابتعدت مرة أخرى وأنا في أمس الحاجة لها، وأصبحت حياتي جامدة لا تتحرك، توقف الزمن عند هذا الحد ولا أدرِّي ما الذي سيحدث لي هذه المرة وهل سأجتاز هذا الأمر أم لا؟
- استيقظ خالد عندما فتحت نافذته لينساب شعاع الشمس داخل الغرفة تملؤها نوراً، ينظر خالد فيجد فاضل أمامه.
- صباح الفل.. يا عم قوم.. العيانين مستنيينك.. سألت عليك قالولي مش بليجي كثير.
- فاضل!
- آه فاضل، اللي مش بتسأل فيه ولا بترد عليه.. أخلص بقى عايزةك يلا، الحاجة أملك عملتنا شوية فطار..
- يلا قوم يا بني كل لقمه بقالك أسبوع ما استطعتمتش الزاد.. كلمة قالتها أم خالد الحاجة "حنان" بدخولها وهي تحمل الطعام ووضعته على طاولة، ازاحت بعض الكتب المليئة بالهياكل العظمية والتشريح.
- وهي في عقدها الرابع أو ربما الخامس، جسمها الأمومي مع لفة وشاحها الشعبي الذي تحشره تحت ذقنهما ووجهها المستدير قالت:
- منور يا فاضل يابني.. ومني أختك عاملة ايه؟
- الحمد لله.. بقت كويسة.

- رينا يطمنك علها يابني.. يلا افطروا بقى عشان أعمل لكم الشاي.
- والله يابني رينا يخليلك أمك دي، دي ست زي العسل.. مش عارف
جاييه واحد زبك إزاي.

ابتسما.. وابتسموا. أنت هتعاكس أمي.. يا ض ماتتلع بس خالد قال: خالد صينية تحمل وهي ما قابلتهما أم خالد غرفته من وفاض خالد خرج الشاي.

- رايحين فين؟ والشاي اللي عملته ده مين هيشربه؟

رد خالد: اشرب يابني لاحسن زعل أمي بيبوظ يومي كله.

أمسك فاضل كوبه وسبقه خالد وأخذنا بعض رشفات من الشاي ورد فاضل: إحنا منقدرش على زعل ست الحبابي.

قبل خالد يدي أمه وذهب إلى أبيه "فهي عبد الخالق" الذي لا يذهب بعيداً عن لعبته المفضلة "الطاولة"، ولا يكاد يرانا من تركيزه مع "عم عزت" صديق عمره بشيبيهما معاً وشعرهما الأبيض يصنعان دويتو ضاحكا، وبصوت عالي وبطريقة على الطاولة: "يك"، وادي كمان عشرة. قالها أبو خالد ضاحكا على عم عزت الذي أصابته خيبة أمل كبيرة في الفوز، ململماً أوراق النرد مرة أخرى ومحركها بشكل دائري لبداية دور جديد لعله يفوز أو لعل بدايته بهذا الشكل تقذف الرعب في الكهل الكبير الذي أمامه لينقض عليه بانيا به ويأخذ منه "عشرة الطاولة" لتدرك إليه هيته في هذا المجلس مرة أخرى.

نظر عم عزت إلى ثم نظر إلى خالد قائلاً: طيب تعالوا انتوا الاتنين أنت والدكتور صاحبك وأنا هاكلكم بستاني أكل: ضاحكاً.

تعالت الضحكات بينما جمياً، أشرت إلى خالد الذي قبل يدي والده ودعواته هو وأمه التي ظللنا نسمعها حتى نزولنا من المنزل وخرجنا معًا.

وبعد عدة أيام كان خالد نائماً كعادته، رن هاتفه المحمول رنات متتالية، أنه فاضل.. وكان الزمن يعيد نفسه ثانيةً، رد عليه هذه المرة وبخوف شديد لعل أخته مني قد حدث لها ما حدث في المرة السابقة:

- أيوه يا فاضل.

صرخات متتالية تتعالى، أصوات سيارات مزعجة.

- يا فاضل مش سامعك.

ردت عليه وبصوت لا يُسمع من كثرة بكاءها:

- الحقني يا خالد.. فاضل بيموت.

- مني! إيه اللي حصل؟ طيب انتو فين؟

- إحنا ف المستشفى.. نفس المكان يا خالد.

ذهبت مسرعاً إلى المستشفى، وصعدت على السلم لأصل إلى العناية، واقتصر باهها يوقفني أحدهم، وقبل دفعه جاء صوت من الداخل: ادخل يا دكتور خالد.. سببه يابني.

وكان فاضل ملقى على سرير وحوله الكثير من الأطباء والتمريض، في محاولة منهم لإنقاذ حياته التي لم أُعِّ بما حدث لها.

أنا لم أستطع أن أتمالك نفسي، وحاولت المساعدة معهم في شيء لأضغط على صدره حتى ضلوعه تضغط على قلبه فينتعش مرة أخرى، ولكني لم أجد لدى أعصاباً تقوى على ذلك.

وبعد عمل أكثر من ساعة لم يستجب كل ذلك، وما زال قلبه لم يعمل بعد وصوت الأجهزة ما زالت تعطي إنذار فقد العلامات الحيوية له، لقد مات، كلمة قالها أحد هم: البقاء لله يا دكتور خالد. خرج الدكتور وبعد خروجه بلحظات وجدت الصراخ خارج الأبواب فعلمت أنه أخبرهم بالخبر.

خرجت وقدمي لم تعد تحملني.. وجدت مني.. وأمهما.. وأباها يصرخون دون توقف.. وأنا عيني تذرف دموعاً وسقطت أرضاً ولم أتذكر وأننا ملقى على الأرض غير وجه مني التي دموعها على فاضل وخوفها عليّ أفقدتها سيطرتها وجلست تربت برأسي.

* * * *

زهرة

أصبحت حياتي رتبة، بعد ما أخذ أبي قرار السفر هذا من أجل إبعادي عن خالد، لم أعد أتحمل فراقه، أخذ مني كل شيء يمكنني التواصل معه، سافرت ولا أستطيع أن أطيق فراقه، ولماذا أبي يفعل ذلك معنا؟ هل الفقر في زمننا هذا يعد عدو؟ وأي عدو هذه؟ دعنا نصنف الناس على قدر ما يملكون من أموال، لم أكن أرى في خالد غير أنه أغنى رجل، غني بقلبه الذي طالما قدمه لي دون مقابل، دائمًا يقدم حياته ووقته من أجل الآخرين، إلى صديقه الذي ترك بيته وعمله من أجل أخيه.

لم أكن أطمئن حين نظرت إلى عيني مني.. عندما دخلت علمنا وهي تنظر إلى خالد بهذه الطريقة. طريقة لا أحد يعرفها غيرنا الفتيات، تعد إعجاًباً، فهو كان دائم التردد عليهم ولكن ما زال الشك في قلبي بعدما رأيت خالد في مكتبي، وكنت أتظاهر بأني مشغولة، بابتسامة.. لم يعلم خالد أني أعرفه إذا وجد في أي مكان.. برائحته التي لم أنسها.. لم يكن عطراً.. يعد نوعاً فريداً من الزهور، أسمه منه عندما يقترب، أسمه إلى الآن في رسائله.. وفي هدایاه، رائحة واحدة لا تتغير، لم أستطع أن أجدها في أي محلات عطور أو غيرها، بحثت عنها كثيراً، كنت أحب أن أهدية إليها وتكون مفاجأة له، وأتكلم بكل فخر وجدتها، ولكن إلى الآن لم أجدها، ولماذا أجدها؟ أعتقد أن خالد سوف ينساني هذه المرة وله الحق، فهو كان ينتظر مني أكثر من ذلك، ينتظر رنة هاتف لأحدد موعداً مع أبي ونحارب هذا الشخص..

كم أحببت أبي ولكن ظلمه لقلبي، وظلمه لخالد ما جعلني أضع في قلبي
وحشة تجاهه، أما أنا فأصبحت وحيدة في بلاد أخرى تفرق عنا الأيام
لأصل إلى خالد وأقول له هيا بنا نذهب بعيداً وعلى شاطئ ما نتزوج
وننجب أطفالاً حلمنا بهم معاً، وحتى اخترنا لهم الأسماء، فالبنات أنا
من أعطهن أسماءهن، أما الأولاد فسنسمهم معاً، هذا ظلم على
فكرة.. كان يقولها خالد لي.. ونبتسم وينير وجهه فرحاً، كم أحب
ابتسامته، دائمًا يغازلني وكم أحب مغازلته لي، ولكن لا أفعل شيئاً غير
الابتسامة التي تخرج مني واحمرار وجهي ودقائق قلبي المتزايدة دون
توقف.

لم أستطع تحمل فراقك يا خالد.. أمسكت هاتفها.
- من فضلك أول طيارة هتنزل مصر إمتى؟ تمام احجزلي عليها.

* * * *

خالد

شاطئ بحر ورمال كثيرة وهواء نقي والشمس في المغيب والأفق بحر مرمته والشمس المنعكسة على الماء ومع مرور الوقت تهبط الشمس من السماء لتنغمر داخل الماء في ثوان معدودة، وأرى فاضل في صوبة مغلقة بها الكثير من الورود أنواع كثيرة وألوان شتى ورائحة لم أميز منها إلا واحدة، رائحة كان دائمًا فاضل يعطيني إياها، وكنت دائمًا أتعطر بها، أدخل إليه وأنادي عليه بعلو صوتي، ولكن يوجد شيء يمنعه من سماعي، وكلما اقتربت منه يبتعد ودون النظر لي، حاولت مراً ولكن ازداد قلي في نبضه وصدمي يتعالى من شهيق وزفير لم أتمالك نفسي ولم أستطع التحكم فيها.

وتوقفت حين رأيت وردة حمراء تزداد حمرتها بلون الدم الأحمر القاني، وشممتها وكانت هي رائحتي، التفت حين وضع يده على كتفي قائلاً: إوعي تسيب مني.. وهتلaci طريقي.

وسرعان ما ترك بيدي الوردة الحمراء، ولم أره، وانغمض في الماء وغاب مع غياب الشمس وساد الظلام، وسمعت صوتاً ينادي بتردد عالٍ، أغمضت عيني وفتحتها ووجدت نفس الصوت ينادي ولكن التردد أقل، فتحت عيني ووجدت صعوبة في الرؤية، وجدت أمامي فتاة لم أميز منها شيئاً غير شعرها المناسب على وجهي ودموعها التي تساقط على خدي، أغمضت عيني مرة أخرى لأجمع تركيزي وفتحتها فوجدها مني.. لا أدري هل بكاؤها خوفاً على أم حزناً على فاضل.. تركت يدي عندما أفقت وقالت:

- خالد.. أنت كويـس.. أنا قلـت عليك أوي.. ماـكـنـتـش هـتـحـمـلـ الصـدـمـتـيـن.. كـفـاـيـةـ عـلـيـاـ فـاضـلـ.. اللـهـ يـرـحـمـهـ.

- أنا فين؟
- أنت في المستشفى.. بقالك يومين مغمى عليك.
- فين فاضل؟
- ردّت والدموع في عينها:
في المقابر.. دفناه في نفس اليوم وماقدرناش ننتظرك.. محدش كان
عارف أنت هتفوق إمتي.
- قام خالد من نومه ونزل من على سريره، كاد أن يسقط أرضًا إلا أنه
وجد يدي مني تمسكه.
- استنى شويه ارتاح.. عاوز تروح فين؟
- لفاضل... هروح لفاضل.

* * * *

خالد

ذهبت لأودع فاضل، لم أنس وجهه ولونه الأزرق وهو نائم والجميع يضغط على صدره، كانوا يكسرن ضلوعه، ولكن قلبه قرر التوقف دون سابق إنذار، ولما تركني وذهب هل من الممكن العيش بدونه..

وقفت أمام مقبرته، وكتب عليها، المرحوم فاضل يسري.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ إِنَّمَا تُؤْفَقُ أَجْوَرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ أَغْرِيرٌ﴾ آل عمران: ۱۸۵

نظرت إلى مني بجواري، ممسكا بيديها وتكلمت سائلا:

- هو مات إزاي؟ واي سبب الوفاة؟

- كان في أوضسته كالعادة وسمعنا صوت كركبة، دخلت أطمئن لقيته مرمي على الأرض وما سك وردة في إيديه، الله يرحمه كان بيحب الورد أوي، كان دائمًا يقولي الورد ده يا مني فيه أسرار الدنيا كلها، أسرار فرحك وحزنك.

- عاوز أشوف الأوضه بتاعته.. ممكن؟

- آه طبعا يا خالد ده بيتك.. واحنا ملناش غيرك بعد فاضل الله يرحمه.

- خالد أنت آخر مرة شوفته كان إمتنى؟

- من يومين جالي البيت وصحاني و قال عاوزك في مشوار. بس مش فاكر حنا فين ولا عملنا إيه.

- إزاي مش فاكر كل ده.

- بس أنا فاكر كويس إن إحنا كنا مع بعض.

كان يومها عاوز يوريني حاجة، كان بيجيب في سيرتك كتير ودايماً
يوصيني عليك.

- كان قلبه حاسس.. ياريتني بداله كنت أموت أنا!

- بعد الشر عليك.. بلاش تقولي كده تاني..

مسحت دموعها من على وجنتها وكانت نفسي تحدثني عنها وعن جمالها
وعن مرحها مع فاضل، وعن حسدي له أو ربما غيرتي عليها دون
الشعور بحقيقة الأمر، تذكرة وصيته في حلمي أن أحافظ على أخيه،
أحافظ على مني.

حققت لي مني رغبتي في الذهاب إلى غرفة فاضل، دخلتها بعد سلامي
ومواساتي لوالديها، غرفة غير منظمة لم أدخلها غير مرات معدودة
برغم صداقتنا، بها سرير وفوقه على الحائط بعض الصور لورود
بألوان مختلفة، طاولة صغيرة وبها بعض الصور والذكريات التي
تجمعنا وصور لمني معه، نافذة مغلقة من الخارج بأعواد من الحديد
ومن الداخل تمتد طاولة أخرى عليها باقات ورد بألوان مختلفة، ولكنها
غريبة لم أر مثلها، منها الأبيض والأحمر القاني وأعشاب كثيرة.. في يمين
الغرفة توجد مكتبة صغيرة وبها بعض الكتب، ذهبت إليها فما وجدت
إلا كتاباً للأعشاب وأنواع ورود مختلفة، وطاولة ثالثة عليها بعض الأواني
وشعلة صغيرة الحجم، أعتقد أنه يحب عمل القهوة بطريقة ما عليها،
الغرفة مليئة بروائح مختلفة لم أستطع تحديد أي رائحة إلا رائحة
واحدة، العطر الذي كان يأتيني به فاضل، اقتربت أكثر من الورود
لأتفحص الورود وأحصل على وردي وعطري، وجدتها الوردة الحمراء
التي أعطاها لي في حلمي.

أنت لي مني بکوب من القهوة وقلت:

- كان بيحلم يعمل مشروع عطور من نوع خاص.. دايماً يقولي عطور
تعرفنا الحقيقة، ماكنتش بفهم كلامه أوي بس كنت بحب أسمعه.
طلبت من مني أن تتركني بعض الوقت بحجة أن أراجع ذكرياتي مع
فاضل، وافقت على الفور وأخبرتني أني في الخارج إن احتجت شيئاً.
نظرت إلى أعلى المكتبة الخشبية فوجدت رفًا به الكثير من الزجاجات
ويكتب عليها أسماء كثيرة.

ويسوكان، أبيوغـا، داتورا، الكابـي والاـياـهـوسـكا (دوبا Dopa) وغيرها من
أسماء كثيرة وكل لها ألوانها، وشممت رائحتها منها الجيدة ومنها الكريهة.
اخترت ما كتبت عليها Dopa أخذته بيدي وفتحته ثانيةً وشممتـه،
رائحته لا بأس بها، حاولت أن أتدوّقهـ، تيمـنـاً منـي بما كان يفعلـه
ـشارـلـوكـ هـولـزـ، وكـأـنـيـ "ـدـكـتوـرـ وـاطـسـونـ"ـ أوـ كـأـنـيـ الـاثـنـانـ مـعـاـ فيـ جـسـدـ
ـواـحـدـ يـرـيدـ مـعـرـفـةـ الـحـقـيقـةـ لـيـرـفـعـ لـنـفـسـهـ قـبـعـةـ الـفـوزـ فيـ النـهـاـيـةـ، أوـ لأـجـدـ
ـطـرـيـقـيـ فيـ الـحـقـيقـةـ الـتـيـ أـخـذـتـ مـنـيـ صـدـيقـ الـعـمـرـ.

حاولت تذوقـهـ، طعمـهـ لـازـعـ وبـهـ مـرـارـةـ مـقـبـولـةـ شـرـبـتـ منهـ رـشـفـهـ شـعرـتـ
ـبـحـلـقـيـ يـحـتـرـقـ وـنـارـاـ مـلـهـبـةـ بـدـاخـلـهـ، أـسـرـعـتـ وأـمـسـكـتـ بـكـوبـ الـقـهـوةـ
ـالـذـيـ تـرـكـتـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ، هـدـأـ سـعـالـيـ وـهـدـأـتـ مـعـهـ كـلـ أـعـصـابـيـ، شـعـرـتـ
ـبـدـوـارـ ظـنـنـتـ أـنـيـ سـأـفـقـدـ الـوعـيـ، تـرـكـتـ كـوبـ الـقـهـوةـ بـجـوارـيـ، كـادـ أـنـ
ـيـسـقطـ مـنـ يـدـيـ لـمـ أـعـدـ أـتـمـالـكـ نـفـسـيـ بـعـدـ، أـلـقـيـ جـسـديـ عـلـىـ سـرـيرـ
ـفـاضـلـ، وـلـمـ أـشـعـرـ بـشـيءـ بـعـدـهـ، جـفـونـيـ أـصـبـحـتـ ثـقـيـلةـ، تـهـاـوتـ الـكـلـمـاتـ
ـمـنـ حـلـقـيـ عـنـدـمـاـ حـاـولـتـ إـنـ أـنـادـيـ مـنـيـ.

خالد.. صوت أخرجنى من نومي العميق، لم أُعِ بوجودي، لم أتذكر بعد الزمان ولا المكان، فراغ تام في عقلي، من الجيد أنني تذكرت اسمى، كنت نائماً وحولي الكثير من الحشائش، شعرت بلمسها بحركة يدي، فتحت عيني لأرى سماء بها نجمات معدودة وقمرًا غائباً من أمام غيوم كثيفة، هواء ينتزع ملابسي وبرد قارس لم أشعر ببرودة جسمى هذا وأنا نائم، وكأنه قد أخذ الأمر بالتحول عند استيقاظي مِنْ مَنْ وضعني في هذا المكان.

كنت ألبس ملابس بدائية؛ سترة فقط تغطي جسبي السفلي، وعلى رأسي غطاء به الكثير من أوراق الأشجار التي لا أعرفها.

- خالد.. صوت نودي من بعيد حاولت السير على خطاه، بدأت محاولاً لأميز صاحب الصوت، لعله يدلني على من أنا وما جاء بي هنا.. اقتربت الآن أميّز الصوت.. صوت أنثى.. مألهوف.

نظرت من بعيد فوجدها واقفة ولكن حتى الآن لم أميّز ملامح جسدها وشعرها المتأرجح في الهواء من تياره البارد، ألقيت ما على رأسي من القبعة الضخمة وشعرت بقوة في عضلاتي وسرعة مفرطة في جري تجاه من تنادي، وعندما اقتربت استدارت لي فوجدها مني. وفي دهشة ورؤيتها بهذا الجمال وتسرعاًت أنفاسي وأصبحت أتصبب عرقاً في هذا البرد القارس، اقتربت منها وعندما كدت أن أضع يدي على كتفها وجدت من أمسكني بقوة، التفت إليه فوجدهه فاضل وقال: مش بقول خد بالك منها؟ ولكمي بقوة في وجهي.

سقطت من لكرته في حلمي من على سريره، فوجدت مني تنظر إلىّ في داخل أوضة فاضل، وكانت رأسي وعيناي مصوبيتين تجاه السقف وأرى مني بالملوّب.

فقلت لها: تتجوزيني؟

اندهشت مني من كلامي، ساعدتني على الجلوس دون الرد على كلامي، ولكنني وجدت فرحة في عينيها ووجنتها ازدادتا أحمراءً.

- أنا عارف إن الكلام ده مش وقته، بس أنا فعلاً مكنتش عارف حقيقة مشاعري تجاهك، باین كده الزهور دي بتعرفنا الحقيقة زي ما كان فاضل بيقول.

تحدثت مني وبصوت هادئ: أنا عايزه أعترفلك بشيء.

- اعترفي يا ستي سامعك أهو! أظهرت الاهتمام غير المفرط ولكن من داخلي لغز كبير من التساؤلات.

قالت مني: أنت عارف العطر اللي كان بيدهولك فاضل؟

أردفت: آه طبعاً أنا أصلاً مش مستخدم غيره.

أكملت مني: أنا اللي اختerte، و كنت بساعد فاضل في تحضير كتير من العطور وكنت بحضره كل مرة بآيدي. ابتسمت مني ابتسامة أشرق وجهها مرة أخرى وتحول هذا الإشراق عندما نزلت دموع عينها قائلة: ياريت فاضل كان معانا.

* * * * *

مرت أيام أخرى لم أهتم بتذكرى لها غيرأني أقابل مني يومياً، آخذها من بيتها وأطمئن على والديها وأذهب بها ونجلس في مكان ما كنا نجلس فيه أنا وفاضل دائمًا.

وافق والدai ووالدا مني على زواجي منها، واتفقنا سويا على تحديد موعد الزواج وأحضرنا كل شيء لهذا اليوم.

ذهبت لمني لأتفقدتها، دخلت غرفة فاضل لأنظرها.

تحدثت مع نفسي عن السبب وراء موت فاضل، نظرت مرة أخرى إلى الكاسات التي بها عبوات مختلفة لأنواع العطور، أو كما نعتقد نحن هذا.

هذه ليست عطوراً بالمرة، أنها مواد هلوسة أو ممكן مخدرة، أعتقد مشتقات هذه المواد أصبحت الآن أدوية نستخدمها بأسماء مختلفة. مثل "النالوفين أو مورفين" مثلاً، أو من الممكن أن تكون "البيثدين" أو غيره من مواد كثيرة، أعتقد أن فاضل لم يمت إلا بسبب جرعات زيادة من هذه المواد، أمسكت زجاجة منها كُتبت عليها "ايبيoga".

فتحتها وشممتها لها رائحة، أعتقد هذا الذي كان يريد فاضل، كان يريد لنا أن نعتقد أن هذه عطور، هذه ليست كذلك، ولربما هو اعتقاد أنها مواد توصلنا للحقائق".

أمسكت الزجاجة ووضعت بعضاً من داخل الزجاجة داخل كوب ووضعت عليها القليل من الماء لأقلل من مراته وشربته دفعه واحدة، شربته وانتظرت.

رن هاتفني، أمسكته وكان مكتوب على شاشته "زهرة قلبي"، اندھشت لاتصال زهرة في هذا الوقت، وفي وقت دخول مني عليّ غرفة فاضل

بدأت أشعر بالدوار، سقط الهاتف من يدي، نظرت مني إلى الهاتف، وقرأت اسمها ظنا منها أنني أسقطته عمداً، قامت مسرعة لتمسك بي ولكن سقطت منها فقوتها أضعف من أن تحمل كل هذا الجسد.

أصبحت أهباوى في سقوطي كثيراً، سقطت من غرفة فاضل على أشجار كثيفة ومنها على أراضٍ مليئة بالخضرة، رأسي بدأت تؤلمى، يمكن من أثر السقوط، وقفت فوجدت نفسي محاطاً بالكثير من الأجساد المغارة السود التي لا يظهر منها غير أسنان شديدة البياض، وبأيديهم يحملون أسلحة بدائية وهي رماح مدبة وبيد خشبية، عضلات تنفر منها الأوردة الحمراء تخفي داخل هذا الجسد الأسود..

حملوني وذهبوا بي إلى حشد كبير ألقوبي داخل الحشد الملوء بالكثير من المهللين، وكأن هذا يوم انتصارهم، وجدت زعيم قبيلتهم بشكل غريب، وجدته أبيض البشرة يضع فوق رأسه قبعة مثل التي كانت على رأسى من قبل، اقتربت قليلاً لأميزه فوجدمهم جمياً يقتربون منه في طابور ليس بالكثير، ويضع لهم في أفواههم بملعقة خشبية شرابةً ما، وقفت في الطابور هذا لعلي أميز هذا الزعيم، وكلما أخذوا هذه الرشفات يقومون بالرقصات مثل الهنود الحمر بموسيقى لم أسمعها من قبل، موسيقى خاصة.

ويبدأون بالهتاف بكلمة "موكوكو"، ويليها "اييوجا".

ويرددونها كثيراً "اييوجا موكوكو"، ذهب نظري بعيداً عندهم وأكملت طريقى إلى الزعيم واقتربت وعيناي لا تستطيعان رؤيته بسبب قبعته التي يسقط منها الكثير من الفروع التي تغطي وجهه، وأنه أسير إليه وجدت فتاة فاتنة الجمال بجواره، ولكنني أعتقد أنني أعرفها، نعم هي،

زهرة، نظرت إلى الزعيم وجدته "فاضل"، أمسك برقبتي ووضع الملقة في فمي لأشرب، تسرب الشراب من فمي إلى حلقي من ثم إلى معدتي، حاولت التخلص منه مشيرةً إلى زهرة، مددتُ يدي إليها ومدت هي يدها إلى وبنظرة مليئة بقول: أنتقدني.

قالها هو بصوت أحسن: اذهب إلى مني.
ألقى بي بعيداً.

تحركت جفوني بصعوبة وفتحتها لأجد أحدهم ممسكاً بيدي، وجدتها،
ما كنت أحلم بها الآن، أنها زهرة.

* * * *

- خالد أنت كويس؟

صداع يتمالكتي، لا أستطيع رؤية زهرة أمامي، لسانى يزن أطناناً أكاد أشك أنني فقدته لو لا شعوري بحركة خفيفة به، بصعوبة تحدثت بعد ما نظرت إلى المكان الذي أنا فيه، المستشفى التي أعمل بها وبغرفة خاصة بالمرضى.

- أنا جيت هنا إزاي؟ وانتي جيتي إمتي من السفر؟

زهرة: إهدى بس أنت شوية، وارتاح وهقولك على كل حاجة.

تهاوت جفوني مرة أخرى بحثاً مني عن إجابات لنفسي وما يحدث لي.
"ايبوغا موكوكو" صوت ما زال يطاردني، عضلات راقصة، موسيقى جميلة تعزف على جيتار قديم، ورماح تطعن السماء رقصًا، الآن فاضل نائم وهم يرقصون حوله ويغنون بموسيقاهم ويرددون كلمة أخرى أكاد لم تكتمل حروفها في أذني، أعتقد أنها "فارهيد" أو ربما "وارهيد".

ما يقولون ليس له معنى بالنسبة لي، ولكن أعتقد أن فاضل يفهم ما يقولونه، كان مغمضًا عينيه ولكن يردد قول وارهيد بشفتيه، واستيقظ وأشار إلى وجاءوا تجاهي، وطعنني أحدهم بحربته، فتحت عيني وأفقت من غيبوبتي مرة أخرى لأنقذ نفسي من فاضل للمرة الثانية، لأجدها ما زالت جالسة أو ربما ذهبت وعادت لي مرة أخرى.

زهرة: أنت بقيت أحسن شوية يا خالد؟

أردفت وبثقل لساني: الحمد لله كويس.

- عامل إيه يا خالد؟ أنت وحشتني أوي.

خالد.. نظرت إليها باندهاش شديد، كيف استطاعت قولها بهذا الشكل؟ ملأت قلبي فرحاً، رأيت في عيونها شوقاً كبيراً يدها التي تداعب أصبعي تشعرني بقصيرة عشق دفين ولكنه في وقت شديد الصعوبة الآن، فأنا قد وعدت مني بالزواج، دائمًا تصعيدي في اختبار مع نفسي، أولها عند اختياري بيوني وبين ظروف المستعصية، والآن بينك وبين مني دائمًا تأمين بعد فوات الأوان.

زهرة القلب:.. والقلب ذاته.

زهرة صاحبة أول نبضة حب في قلبي وصاحبة أول حلم لحياتي، أول من جعلتني أفقد القمر كل ليل وأبعث لها الرسائل معه، هي من أرسلت لها رسالة مشفرة في الكتب التي كنت أهدىها لها، فكل صفحة أضع علامة تحت الكلمة، وفي نهاية الكتاب تكتمل الرسالة في نهاية قراءتها.

أما مني فوجدت معها وصية فاضل إلي، وأيضاً خوفها وحها، ولعلي كنت البديل المناسب لحضرن فاضل وخوفه عليها مع المشاعر الدفينـة التي اكتشفتها في صناعة العطور مخصصة لي، وكان فاضل يعلم بمشاعرها، لعله يوصينـي كثيراً في أحلامي أو هلاوسـي هذه، تفكير طويل انتابني بعد سماعي لكلمات زهرة، وتحدثت بضعة دقائق لتدعيـي ووـجدت سلامـها كان مصحـوباً بـ قطرات دمـوع تـنزل على وجـنتـها، تـوقف قـلبي للـحظـة جـعلـني استـيقـظـ من هـلاوسـي وـتخـيلـاتـيـ. مـسـحت دـمـوعـها وـامـسـكت بيـدهـا وـاحـتضـنـتهاـ بين أـصـابـعـهاـ لكنـيـ لمـ اـسـطـعـ النـطـقـ بـأـيـ شيءـ، دـخـلتـ منـيـ فيـ هـذـهـ الـلحـظـةـ وـدـمـوعـ زـهـرـةـ هـكـذاـ، تـفـلتـ أـصـابـعـ منـ بـيـنـ فـرـاغـاتـ أـصـبـعـ زـهـرـةـ مـسـرعاـ بـالـبـعـادـ عـنـهـاـ وـلـكـنـ لـيـسـ لـديـ أـيـ مـبـرـرـ غـيـرـ الـهـرـوبـ لـلـمـرـةـ الثـانـيـةـ، وـلـكـنـ هـذـهـ المـرـةـ مـنـ مـنـيـ:ـ نـظـرـتـ زـهـرـةـ مـحاـولـةـ اـسـتـنـتـاجـ ماـ سـبـبـ صـمـتيـ. وـنـظـرـتـ إـلـىـ مـنـيـ وـمـرـهـ أـخـرىـ إـلـىـ ثـمـ خـرـجـتـ دونـ النـطـقـ بشـيءـ.

والغـريبـ إنـ منـيـ جـلـستـ لـطـمـئـنـ علىـ وـلـمـ تـذـكـرـ شـيـئـ مـاـ حـدـثـ إـلـاـ أـنـيـ ماـذـاـ شـرـبـتـ فـيـ غـرـفـةـ فـاضـلـ ماـ جـعـلـنـيـ أـغـيـبـ عـنـ الـوعـيـ كـلـ هـذـاـ، وـأـخـبـرتـنـيـ غـبـتـ عـنـ الـوعـيـ أـيـامـ وـوـالـدـاكـ شـدـيدـاـ القـلـقـ عـلـيـكـ وـأـيـضاـ وـالـدـاـ منـيـ، وـكـانـ رـدـيـ عـلـىـ كـلـ هـذـاـ بـهـزـرـأـسـيـ بـالـإـيجـابـ وـعـلـامـةـ أـنـيـ أـسـمعـ ماـ تـقـولـ.

- أـنـتـ عـارـفـ يـاـ خـالـدـ، لـوـ عـايـزـ تـعـرـفـ السـبـبـ فـ كـلـ دـهـ وـالـلـيـ بـيـحـصـلـنـاـ، مشـ صـدـفةـ، السـرـ فيـ مـعـرـفـةـ الـحـقـيقـةـ.ـ

أـخـوـيـ فـاضـلـ كـانـ دـايـمـاـ بـيـقـولـ مشـ هـنـرـتـاحـ إـلـاـ مـاـ نـعـرـفـ حـقـيقـةـ نـفـسـنـاـ.

تذكرت كلمات ردت في أذني من هلاوس أحلامي "ايوجا مووكوو"
أمسكت بهاتفي لأبحث عن هذه الكلمات.

ايوجا نبات مخدر، نبات يسبب الهلاوس، مستخرج منه بعض الأدوية
المخدرة، تركت الهاتف، نظرت لمني سائلا: آخر مرة شوفتني مع فاضل
كان إمتي؟

ردت: أنا عرفت أنه أخذك وخرجتوبس لفين مش عارفة، يمكن بيتنا
الثاني كان متعد يقعد فيه لوحده.

نظرت لها بدهشة: بيتكم الثاني ده فين ده؟ أول مرة أعرف انكم ليكم
بيت غير شقتكم!

- ده بيت جدي الله يرحمه بعد ما توفي فاضل كان بيحب يقعد فيه
كتير مع نفسه. يمكن مدخلتوش من بعد موت جدي محدث دخله
اصلا غير فاضل

أردفت لها قائلة: يلا بينا على بيت جدك.

مني: استنى بس يا خالد ارتاح شوية ونروح وقت تاني.
خالد: أنا بقىت كوييس يلا بينا.

مني: بس أنا مش معايا المفتاح.

نظرت لها وأنا أحاول تماليك جسدي الذي فقد اتزانه وصداع رأسى غير
المفارقني: متقلقيش أنا هتصرف.

خرجنا من المستشفى وفي خروجنا الكثير من السلامات علي وعلى
صحتي، سلامتك يا دكتور. جملة ترددت كثيراً من أصدقاء العمل وكان
ردي موجزاً بجملة الحمد لله، خرجنا مستقلين سيارة أجرة ذاهبين إلى
بيت فاضل القديم، وصلنا إلى حي عتيق وكان الجو حاراً، الشمس

تطلق نورها على ثنايا الطريق المتحجرة واحتفى نور الشمس بدخولنا
لهذا الحي لتعكس نورها على أدوارها العلوية، ولكن سخونة حرارتها ما
زال تخرج إلينا من سمائها ومن أرض الحي الحجرية المرصوصة من
قديم الزمان توقفت السيارة برغبة مني، نزلنا أمام بيت عتيق مكون
من ثلاثة طوابق، باب خشبي يميل لونه إلى لون الأترية التي تغطي
سطحه، ويوجد قفل عليه ليس بالضخم، ولم الأقفال لهذا البيت؟
وهل يوجد شيء بداخله غير الأترية التي تملؤه؟ باب متهالك وبيت عتيق
مهالك أيضاً وقف انتزع من أول دفعة بكيفي على الباب، فتح الباب
وأخرجت زفيراً للأخرج الأترية من داخل صدري، ويلهمها سعال أنا ومني لم
يتوقف بسهولة، منزل من الداخل صالة وتحتوي على ثلاثة أبواب
وطرفة تؤدي إلى مطبخ وحمام لمحتم ببصري جميع الأبواب موصدة
كلما اقتربت من واحد أجده موصداً إلا باب واحد فتحته
مني، دي كانت أوضة جدي الله يرحمه وفيها كل ذكرياته، كانت أيام
جميلة والله يا خالد..

استمرت مني في حديثها عن ذكريات جدها وذكرياتها هي وفاضل في
زياراتهم الأسبوعية لهذا المنزل الذي يحوي الكثير من الأسرار، دخلت
الغرفة، في منتصف الغرفة كرسى جلد مثبت ليس لديه إلا قدم واحدة
في منتصفه السفلي واسعاً توازناً جيداً له وأمامه طاولة بها أشياء
قديمة، وجدت على الطاولة كتاب كتب عليه waarheid. حاولت نطق
الكلمة، وارهيد، تذكرت هذه الكلمة سمعتها في منامي، وكان فاضل
يرددتها قلبت في صفحات الكتاب، وجدت أسماء ما كتبت على
الكاسات التي تحتوي على المواد المخدرة أو العطور، جاءت مني وحاولت

أن أشرح لها ما حددت وأني بهذه الطريقة اقتربت من الوصول إلى حقيقة موت فاضل.

منى: ممكן أسألك سؤال يا خالد؟ أنت وفاضل خرجتو مع بعض آخر مرة رحتو فين وعملتو ايه؟ حاول تفتكر وانت هتعرف اجابات كتيره! نظرت لها وحاولت أن أعصف ذهني.

قالت لي: اقعد كده على الكرسي ده ممكן يساعدك على الاسترخاء. وذهبت باحثة على كوب نظيف تملؤه ماء لي.

استرخيت على الكرسي الجلد المبطن من داخله بنوع فريد من الإسفنج المريح لجميع ثنايا الجسم.

وحاولت عصف ذهني، وفي هذا الأثناء سمعت صوتاً يقترب مني وخطوات ثابتة ظننت أنها مني.. ولكن الحركة اقتربت أكثر وأكثر، حاولت رفع رأسي المسترخية على الكرسي وتحريك يدي وقدمي فوجدت نفسي مكبلًا برباط جلدي محكم وكأن صنع خصيصاً لهذا الكرسي، ونظرت بعد فتح عيني كلها يساراً محاولة مني رؤية صاحب الأقدام المفتربة فوجدته:

فاضل:

توسعت حدقات عيني، وتتسارعت دقات قلبي، وتصبب جسمي عرقاً.. فقلت لنفسي أني أحلم، نعم فاضل ليس حقيقياً، أنه حلم، وهذا كله وهم كما كان في حلمي مع الأفارقة السود، والآن أنا أحلم.

فاضل: ده مش حلم يا خالد.

اندهشت من قوله، هل هو يسمع أفكاري؟ بلعut ريقـي ولو كان تبقى شيء من لعابـي فقد جفـ من هذا الموقفـ وأردفتـ قائلاـ: أومـالـ إـيهـ؟

فاضل: لا حلم ولا حقيقة.

أنت عارف إيه هو الحلم وإيه الخيال.

الحلم هو مزيج بين الواقع والخيال، فإذا استطعت التحكم في أحلامك تخرج خيالك في الواقع وتعيش حياتك ممسكاً بحقيقة ذاتك.

خالد: اقترب مني فاضل وبدأ يفك أربطة الكروبي

فاضل: أنا يا خالد عيشتك تجربة "حقيقة ذاتك"، وانت كنت أفضل مرشح لهذه التجربة.

خالد: تجربة إيه؟

تجربة ال waarheid أو بالعربي الحقيقة.

معرفة الإنسان لذاته أمر صعب جدًا يا خالد، إنك تعرف أنت عايز إيه، إحنا مش عارفين عن نفسنا حاجة، أنت مثلاً مش عارف أنت بتحب مني ولا زهرة.

خالد: أكيد أنا عارف.

فاضل مقاطعاً لحديثي: لا أنت مش عارف يا دكتور: يمكن أنت تعرف تعمل عمليه معينه أو تخيط جرح معين بس متقدرش تتحكم في اللتأم الجرح ممكن تعطي لمريضك دواء معين بس برضه معنديش علم كافي بزمن شفاء المريض ولا بنتيجة الفعاله للمريض ده مع انك جربته على مرضي كتير. التجربه دي يا دكتور هي الأشعة المقطعيه على خلايا ذاتك الداخليه أعمق أعمق ذاتك.

خالد: أنت عايش يا فاضل ممتش.

فاضل: أنا عايش جواك يا خالد بس أعرف الحقيقة الأول.

خالد: حقيقة إيه؟

حقيقة نفسك!

استيقظت من نومي وجدت مني بجوار تجفف عرقى المتصلب وتسمع
ترديدي بذكر اسم فاضل حتى أنا سمعت نفسي أخذت الكتاب في يدي
ممسمًّا به، قلت لمني: أنا فتكرت يوم ما خرجنا أنا وفاضل رحنا
فيين، إحنا جينا هنا يا مني.

فاضل يومها قالى هوريك اللي عمرك ما شوفته ولا هتشوفه، بس مش
فاكر إيه اللي حصل بعدها، بعد ما قعدني على الكرسي وشربت كوبية
مية هو ادهانى مصححتش إلا على رنتك بموت فاضل.

مني: خالد صاحبك الله يرحمه كان بيحبك اوبي يا فاضل.

خالد: قصتك فاضل أخوك أنت مالك كده يا مني؟
حبيبي يا فاضل أنت لسه معتقد إنك خالد: حبيبي أنت فاضل أخويا..
موت خالد أثر عليك أوبي.

نظرت لها نظرة غريبة، أعتقد للمرة الثانية أنني أحلم، تركتها وذهبت
خرجت من هذا البيت ومن هذا الحي الغريب، ذهابا إلى الشخص
الوحيد الذي سوف ينقذني من أحلامي وهلاوسى، حبيبي زهرة.

فهي دكتورة، مثلي سنتكلم بطريقة علمية تساعدنى على فهم ما قد
وصلت له، ذهبت إلى منزلها فوجدت عم إسماعيل يجلس على كرسيه
كما هو، طلبت منه مناداة الدكتورة زهرة لأمر مستعجل، جاءت زهرة
بلهفة ومسرعة إلى أن أدخلتني من مدخل جانبي "شرفة تطل على
جنينة بها الكثير من الخضراء وجلست على أريكة متظرها وجاءت بماء
وعصير لهيئة أعصابي وأنا أشعر بالتوتر بسبب ما أنا فيه وأيضاً إن
رأني أحد والديها سأسبب لها مشكلة أكبر.

جاءت زهرة وقصصت عليها كل ما حدث لي وموت صديقي فاضل وأنا أريد أن أتخلص من كل هذه الهلاوس والأحلام المتالية.

فتحت الكتاب في يدي أول صفحات كلمات وحروف مختلفة يمكن منها الإنجليزية ومنها اللاتينية، وجدت كلمة وارهيد بالإنجليزية، بحثنا أنا وهي عن معنى لها وفي معجم قديم وعلى شبكات الإنترنت حتى وجدتها زهرة، في الكلمة أفريقية اللغة تعني الحقيقة "waarheid" بحثنا عن الإيبوغا هي شجيرة معمرة يؤدي من تناولها تحدث له حالة من الهدوء ويستخدمها قبائل في أفريقيا لتحضير الأرواح والدخول في حالة من السلام النفسي وتسبب الكثير من النسيان المؤقت.

خالد: ابحثي كده يا زهرة عن الكلمة "موكوكو".

نظرت زهرة في شاشتها الموضوعة على الطاولة وبجانبها الكثير من الكتب المفتوحة.. لم تجدها في كتبها.

حركت يديها وضغطت على بعض الأزرار باحثة عنها، وباءت محاولتها بالفشل مرة أخرى.

زهرة، أنا عندي كتاب قديم بتاع بابا كان في حد من بلاد أفريقيا عمل معاه شغل خاص باستيراد والتتصدير هروح أجيبه من مكتب بابا، ذهبت زهرة إلى داخل "الفيلا" خارجة من شرفتها مروراً بالجنينة وعم إسماعيل وكوب الشاي بالنعناع الذي لا يفارق يده، وسيجارته المحلية التي لا تشبه سيجار البasha والد زهرة، ليأخذ رشفته التي تحدث صوت موسيقى من جيتار مبتور الأوتار.

صعدت زهرة درجات السلم الرخامية ومروراً بالباب الخشبي الكبير من أمامها طاولة الطعام التي تعلوها نجفة كريستال مذهبة، دخلت على

يسارها باب غرفة خشبي وبداخل جوانبه زجاج مزكش حتى لا يعكس الرؤية ولا تستطيع رؤية ما وراءه، فتحت بتوجس لعل أباها لا يصحو من غفلته، فتحت الباب.. وإذا بدخان كثيف يملأ الغرفة وصوت أتى من الداخل: تعالى يا زهرة.

- بابا!

- آه بابا، جالساً على مكتبه وصانعاً سحابة من الدخان داخل الغرفة من سيجارة المستورد: كنتي عاوزة حاجة يا زهرة؟
زهرة: آه يا بابا كنت ببحث على شوية حجات هتفيدني في تاريخ الأمراض لدى الأطفال في أفريقيا.

- أنا عندي كتاب عن تاريخ القبائل الأفريقية. خديه عندك أهوا في المكتبة يمكن يفيدك.

زهرة: شكرنا يا بابا، وأعطيته قلبة امتنان أو ربما منوم حتى لا يصحو من غفلته بوجودي بالبيت، وأخذت الكتاب متوجهة خارجاً إلى وأننا كنت أرقهما من الخارج بشيء من الخوف عليهما أو ربما إحساسي بالذنب تجاهها.

جاءت زهرة مسرعة وبيدها الكتاب: لم تراني كنت أرقهما، جلسنا وفتحت الكتاب باحثة كثيراً: وجدهما.

زهرة: موكوكو كلمة يطلقونها بعض القبائل في أفريقيا على الأرواح تدعى النفس أو الروح، ويروى أنهم يأخذون نبتة الإيبوغا ويحتفلون ويرددون الأغاني والرقصات من أجل استخراج موكوكو لدفهم ومعرفة حقيقة أنفسهم.

عصرت رأسه بيدي محاوله تجميع أفكار:

سألتني زهرة: أنت حالتك مش عجباني خالص يا خالد.
انا يا خالد وقفت قدام بابا وقولته أنا هتجوز خالد حبيبي أنا بجد
اسفة على غيابي أول مرة بس مكنش ف ايدي حاجه اعملها.
خالد: المرادي انتي تأخرتي اوبي.
- ازاي بس؟

بخوف شديد وانتباه ممسكة بيدي وكأن خوفها على ضياعي منها للمرة الثالثة.

- انتي عارفة البنت اللي شوفها اللي جاتي في المستشفى يا زهرة وانتي
قاعدده؟

- بنت مين يا خالد؟ ماحدش جه واحنا قاعدين.

- زهرة ركري شوية أنا كنت ماسك ايديك وسبتها مرة واحده في دخول
مفي!

- قصدك مني اخت فاضل؟ حبيبي مني ماتت الله يرحمها ودفنتوها أنت
وخلال وأنا عرفت وكلمت فاضل وعزبته وأنا مسافرة.

نظرت لها وهي تتحدث وأخذت كتابي للمرة الثانية وذهبت بعيداً،
استمرت زهرة في مناداتي كثيراً وأنا لم أعي كلامها، فأنا سوف أثبت لها
ما أنا فيه وأن مني حية وحقيقة، ذهبت إلى البيت العتيق مرة أخرى
فوجدت الباب مفتوحاً ولم أجده مني، بحثت في غرف البيت كله لم
أجدها، وجدت في الغرفة التي كنا أنا وهي فيها الكثير من الكاسات
الأخرى مملوءة بأنواع كثيرة، شممت رائحتها، كلُّ لها رائحة مميزة عن
الأخرى. الآن أريد إن أعرف الحقيقة. حقيقة نفسي. الـ موکوكو.
شربت منها مرة أخرى وجلست على الكرسي الجلد، وغضبت فيه ولم أعي
بوجودي غير أنني سمعت كلام فاضل مرة أخرى.

الحلم هو مزيج بين الواقع والخيال، فإن استطعت التحكم في أحلامك تخرج خيالك في الواقع وتعيش حياتك ممسك بحقيقة ذاتك، رأيت فاضل وزهرة يرقصان معًا هو ممسك بيدها وباليد الأخرى واضعاً إياها على خصرها، يتغنىان بموسيقى علمت أنها أفريقية، ولكنما غير سعيدة، وحولهما الكثير من ذوي العضلات السود ورماحم المدببة وأنا أحوم حولهم حتى وجدت صخرة كبيرة صعدت عليها وقفزت داخل دائرةهم وانزعت زهرة من يده وصوت ذوي العضلات السود يعلو وتشجيعهم يعلو ويعلو فأنا أحارب ملتهم، فإذا بفاضل يتغير شكله إلى شكلي، أنا الآن أحارب نفسي ونفسى تقاتلني، أخذت الرمح من يدي أحد السود وغرسته في صدر من يحاربني وزهرة ورأي تحتمي في، وعندما غرسته وكأني قتلت نفسي أمسكت بزهرة محاولاً استيعاب ما يحدث، حملني السود بعصاباتهم القوية وألقوبي على كرسي قائدهم الجديد، فأنا الآن قائدتهم، أمسكت بحربتي الخاصة وأتوا لي بقبعة مليئة بالأشجار، أخذت زهرة وهي بيدي وذهبنا مسرعين وما شعرت إلا بسقوطي في بئر مظلم عميق.

استيقظت وجدت نفسي على كرسي فاضل الجلد ووجته أمامي مبتسمًا.

فاضل: بس إيه رأيك في التجربة دي بقى يا صديقي؟
خالد: تجربة إيه بس الله يهديك، أنا مش فاهم حاجه أنت عايش ولا ميت. وأنا ف حلم ولا حقيقة.

فاضل: استهدي بالله كده واسمعني و Henrik Ibsen، أنا كنت بحب أحبي اقعد مع جدي قبل ما يموت عطاني الكتاب اللي في ايديك ده و قال

الكتاب ده هتقدر تعرف بيه الحقيقة. حقيقة كل شيء من حولك حتى الناس. بعد ما جدي مات حبيت اطبق كلام الكتاب بس معرفتش الاقي النبات اللي في الكتاب ده غير واحد صاحب خريج زراعة بيسافر كتير هو اللي جايلى أربع انواع فقط. ولما مني تعبت حاولت كتير اعملها تركيبة بس منفعتش وتعبت اكتر منها.

خالد: أنت عملت إيه فيها يا فاضل؟

- عملت عليك تجربة بسيطة عشان أقدر لاحظ تغير سلوكك، أنا خرّجت منك أفكارك، كانت مدفونة من زمن تجاه زهرة وهي دي اللي خلتك تبحث عليها من جديد، وبرضه إعجابك بمني اللي خلاك تصنع لنفسك وهم جديد بموتى، وده هيباقي سبب كافي لوجودك بجانبها وتبرير لضميرك تجاه زهرة، مع العلم إن زهرة مارجعتش من السفر أصلًا.

خالد: طيب أنت ليه في أحلامي كنت خاطف زهرة؟ وليه شريتنى شراب زي لايبوغا بتاعك ده؟

فاضل: أنت شريته في الحلم كمان؟

خالد: غالباً شريته اه!

فاضل: شريك ليه في حلمك كان سبب أكثر يخليلك تدخل في مستوى أعمق من اللاوعي بتاعك خلاك تكتشف حقيقة نفسك، بکده أقدر أقولك انك الآن عديت أول مرحله من معرفتك بنفسك.

خالد: أول مرحله بس؟

فاضل: آه عشان أنا مستخدمتش معاك غير لايبوغا بس، لسه في انواع كتير هنجرهها بس المرادي لو أنت حابب.

خالد وليه دايما رسالتك لي خلي بالك من مني؟

فاضل: قولتلك اللاوعي صنع ليك مبررات بس المهم انك تكون عرفت
حقيقة مشاعرك ونفسك

وطعبا طبقا لنظرية "سيجموند فرويد" عن الحلم أنه الطريق الأمثل
للوصول لأعماق النفس. ويقول أنه هذيان له مده ليست بالكبيرة
ومحدودة جداً ولكن هدفها الدخول إلى عالم اللاشعور

خالد: عالم اللاشعور مرة واحدة. إزاي نوصل لعالم اللاشعور
النفسي؟! بدا على التوتر والفضول أيضاً لما يقوله فاضل
فاضل: أنت عارف الأول إزاي بنحلم بييجي منين الحلم ده يا خالد.
قصدك مصادر الحلم مثلاً. اكيد حياتنا اليومية.

فاضل: مصادر زي ما أنت بتقول آه رغباتنا اللي مش عارفين نتحققها في
حياتنا في الحلم يبقى تتحققها أسهل شويه بهرب بينما الحلم إلى عالم
تحقيق الذات أو مثلاً الهروب من التوتر والقلق من الشعور أو ممكّن
تسمها "الآن"

وده الحلم في أسهل صوره يا خالد
بدا على الأنزعاج تحركت من على هذا الكرسي "كرسي الحقيقة" ذي
ما فاضل بيقول عليه.

لعل فاضل استمتع بتجاربه على ولكن الذي لا يعلم أنه أنا اللي جري
في داخلي شئ لا أستطيع وصفه من المتعه الداخلية أستطيع الآن معرفة
نفسي، بصمت وشروع أيقظني فاضل بصوته - فاضل.. رحت فين
بابني.. تحرك فاضل مكملاً حديثه

خالد: أما بالنسبة للاشعور ده نوصله إزاى؟
أبتسם فاضل ابتسامة معرفه لكثرة قرائته في هذا المجال.
فاضل: يا دكتور اللاشعور ده هو زي تجربتك دي.

خالد مندهشاً وسائلًا: أنا مش فاهم حاجه.

- فاضل: اللاشعور يا صديقي دي رغبات مكتوبته من الطفوله أو ممكن رغبات مكتوبته ولا تستطيع البوج به زي مثلاً إنك تطلع بتحب مفي مثلاً.

ازداد وجبي أحمرأً وبدأ علي التوتر، وتكلمت سائلًا:

- وايه اللي نعمله عشان نوصل للعمق المطلوب من اللاوعي أو اللاشعور ونطلع حقيقة مشاعرنا أو حقائق عن نفسنا مدفونه من زمان: يا عم الفيلسوف، مبتسمًا ومنمًّا عليه.

ابتسم فاضل: إنك تنام يا خالد.

خالد: أنام!

فاضل: آه تنام بعمق تنام ومتصلحاش إلا لما تخلص نفسك في الحلم وتطلع بنتيجة منه، وهي دي فايادة العطور النبتيه وذي ما قولتلك دي أول تجربه ولسه الباقي هنجربه لوأنت حبيت. لسه حقائق كتيره هتعرفها في أحلامك عن نفسك أو عن ناس حوليك، علي فكرة أنا عطيتك معطيات كتير ومعلومات زي إن مني هي اللي كانت بتعملك العطور بنفسها.

خالد: مني فيين يا فاضل؟

فاضل: مني في البيت ومستنياك.

استيقظت فوجدت نفسي في غرفة بها الكثير من الورود بها نافذة وعلمهما ستائر شفافة تتطاير من الهواء المنبعث من النافذة وضوء الشمس الخفيف الذي ينساب في الغرفة مع حركة الستائر وجدت نفسي نائماً على سرير مريح ليس ما كنت أنام عليه في منزلي، نظرت إلى من بجواري فوجدتها مني نائمة بجواري. استيقظت ونظرت إلى بجماليها

المعهود أعطتني قبلة على وجنتي وقامت، وجدت الباب يطرق وأهل مني
يقدمون المباركات المعهودة للعرسان.
وقفت في نافذتي بهوائها الجميل متذكرا "موكوكو" مبتسماً.
رنّ هاتفي كتب على شاشته "زهرة قلبي".

* * * *

(١)

في حمرة الأفق في مغيب الشمس الدافئة المنعكسة على بحر يوسف (المتفرع من ترعة الإبراهيمية) الذي يفصل مدينة الفيوم سنة ١٩١٩. الفيوم وهي مصر الصغرى فنيلها بحر يوسف يشق الفيوم نصفين كما يفعل النيل في مصر، وأما ساحلها الشمالي فهي بحيرة قارون ووادي الريان.

وفي شهر مارس يقف الشيخ محمود بجلبابه الأبيض والطابوش الأحمر الذي يفضله، والشال المزركش ولحية كثيفة والشارب المتصل معها. في دكانه الصغير المسمى أبو صالح للعطارة لوعة خشبية صغيرة كتبت حديثاً، فقد رزقه الله بمولود حديث وأسماه صالح تمنى من الله إن يجعله صالحًا.

يأتي إليه الكثير ليتزودوا بأعشابه منهم من يأخذونها لإضافتها إلى الطعام لجعله روائح مميزة.

ومنها من لا يعلم استخداماتها إلا بركة من الشيخ محمود فقط. دكانه الصغير والأعشاب المترادفة بشكل مواز بدرجات مختلفة فوق بعضها.

ـ ياشيخ محمود... أنت يا عم الشيخ..

ـ اتفضلي يا سرت زينات.

ملاءة لف كبيرة تكاد تخفي القليل من الجسم البطن الملفوف بالملاءة السوداء والبرقع الذي يخفي الملامة الجذابة وصوتها الرقيق الذي يتخلل جسم الشيخ في محاولة منه بتجاهله من كثرة الإثارة التي تأخذه في خلوة لا يحب أن يغضب الله فيها.

- ـ ازيك يا شيخ محمود... يا قمرأنت.
- ـ الحمد لله.. يا سرت زينات انتي عامله إيه.
- ـ أنا ببقي كويسه لما بشوفك يا محمود... ولا أنت مش عايزتشوفني
بقى.
- ـ لا إزاي ده انتي بت NORI الدكان.
- ـ بنور الدكان بس أنا عايزة انور حياتك كلها والله.
- ـ تجاهل كلامها وهو يملاً الأكياس ببعض التراكيب العشبية.
- ـ كنти عايزة حاجه يا سرت زينات.
- ـ آه وحياتك يا حوده هاتلي تركيبة من تركيباتك الفعالة دي أدتها
للراجل ممنوش فايدة خالص عماله اديله عسل نحل وحبة البركة
ومفيش فايده، اديني تركيبه كده خليه يشد حيله، بييجي من الشغل
طول النهار بيجر عربية الخضار وآخر اليوم حيله مهدود بينام مقتول
وأنا بقى اكل في نفسي ينفع كده يا شيخ.
- ـ ينفع ايه.. يا سرت زينات.
- ـ ينفع اكل في نفسي ... يرضيك؟
- ـ ورفعت البرقع عن وجهها المألف لعم محمود من كثرة رفعه دائمًا
أمامه وجهها المستدير وتقاطيع صغيرة ولون بشرتها الأبيض المصحوب
باللون الوردي.. يالها من حرمة تحل من على حبل المشنة.. لعل
الشيخ محمود يقولها في ذاته.
- ـ حاضري سرت الكل.. خدي الكيس ده ومتقوليش لعدوتكم عليه
وهيبيقي زي الحصان.. وادي كمان طباتك اللي طلبتها من الأسبوع اللي
فات، بس اهدي على الرجال شويه... الله يهديك يا زينات.
- ـ ضحكت زينات ضحكة ترددت في أرجاء المدينة كلها:
ـ يحظك يا حوده... والله دمك زي الشربات.

جاء شاب صغير مسرعاً منادياً للشيخ محمود: الحق أغلق يا شيخ
 محمود.

ـ في إيه يا واد يا رضا؟

ـ الإنجليز والبدو بيتشاربو مع بعض والدنيا مقلوبة أغلق يا عم الشيخ
 الضرب شغال من العصر.

هربت زينات مهرولة بعد سماع هذه الكلمات لتلتقي بزوجها المسكين،
خرج الشيخ محمود وأغلق دكانه وذهب في اتجاه وسط المدينة ليمرى ما
حدث.

ـ أنت رايح فين يا شيخ بقولك أغلق واهرب على البيت.

ـ نهرب نروح فين يابني من مصيرنا؟ محدش بيهرب من قدره أنا هروح
اشوف اهلنا عملو فيهم إيه ولاد الكلب الإنجليز دول.

وصل الشيخ وكانت الشمس قد ذهبـت وتركـت السماء في ظلمـتها
ونجمـات معدودـات تضيـئها، الكثـير من الجـثـ من الإنجـليـز وـهم يـجـرونـهم
متـجهـين إلى مرـكـز الـبـولـيسـ، والـكـثـيرـ منـ الـجـرـحـيـ والمـوتـىـ منـ أـهـلـ الـفـيـوـمـ
الـبـدـوـ، حـاـوـلـ الشـيـخـ مـداـواـتـهـ وـتـغـطـيـةـ المـوتـىـ مـنـهـمـ لـقـدـ وـصـلـ العـدـدـ إـلـىـ
أـربعـعـمـائـةـ مـنـ بـيـنـ شـهـيدـ وـجـريـحـ.

ذهبـ الشـيـخـ مـحـمـودـ إـلـىـ بـيـتـهـ المـكـونـ مـنـ طـابـقـ وـاحـدـ بـابـ خـشـبـيـ كـبـيرـ
وبـهـ ثـلـاثـ غـرـفـ وـجـدـ أـمـ صـالـحـ فـيـ اـنـتـظـارـهـ مـشـعـلـةـ لـمـبـتهاـ الـجـازـلـينـسـابـ
شـعـاعـهـ عـلـىـ ثـنـيـاـ الـأـرـضـ الـمـتـحـجـرـهـ مـنـ أـمـامـ الـبـابـ الـخـشـبـيـ. اـسـتـقـبـلـتـهـ أـمـ
صـالـحـ بـتـرـحـابـ وـوـجـهـ مـسـتـنـيـرـ يـكـادـ لـمـ يـرـيـ وـجـهـهـ مـنـ شـدـةـ الـظـلـمـهـ. وـلـمـ
يـحـدـهـاـ، عـلـمـتـ إـنـ فـيـ الـأـمـرـشـيـءـ. وـلـكـنـ تـرـكـتـ الشـيـخـ فـيـ صـمـتـهـ.

دخلـ الشـيـخـ مـحـمـودـ فـيـ إـحـدىـ الـغـرـفـ وـازـحـ بـعـضـ الـأـخـشـابـ الـمـتـنـاثـرـهـ.
وـيلـيـهـ بـابـ خـشـبـيـ مـحـكـمـ بـأـرـضـيـهـ الـغـرـفـةـ فـتـحـ قـفلـهـ وـنـزـلـ درـجـاتـ سـلـمـ

خشبيه تعطي ذقنه كلما نزل على واحده تلو الأخرى إلى إن وصل إلى الأرضية المتحجرة مثل أحجار الشارع، أنار شعلة اللمة المثبتة بالحائط الأيمن من الغرفة لتنير القبو كله إلا قليلاً من الظلام المتخفي في الأركان، ذهب باتجاه آخر مواز للسلم الخشبي ظهر باب حديدي موصد من قرون، فتحه بصعوبة، صدر صوته أفعوه خوفاً، وأنار فتحته بلمة ليدخل منها أفراد البدو الجرحى واحداً تلو الآخر بالعشرات وهذا عدد قليل بالنسبة لأربعينتهم، فهذا ما استطاع فعله الشيخ أتى بهم بعد معركة الخير والشر وهو لم يعرف حتى الآن ما هو سببها، هل الحمية الوطنية أم هم نسيج ثوره جديدة كما يتنمي كل المصريين من الخالص من الإنجليز ليتحرر الوطن، أتوا معه ليعالجهم بعيداً عن انتظار الإنجليز وأيضاً انتظار البصاصين التابعين لهم الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ويبعدون وطنهم من أجل التقرب إلى إنجليزي محتل.

أدخلهم الشيخ جمياً وأتى ببعض الأعشاب طاحناً لهم ومستخدمهم على الجروح ورابطاً عليهم قماش وأيضاً أعشاب يشربونها تهدئهم وتخفف الآلام.

هدأو جمياً تراخت أعصابهم ونام معظمهم والآخرون تراخوا في كل ركن من القبو.

ـ من أنت أهباً الشيخ؟

سؤال جاء من داخل الظلام الذي لا يستطيع النور الوصول إليه، رجل أتم بالكاد العقد الرابع من عمره يرتدي لباساً بدويًا جلباً ويحيط بخصره حزام عريض ويحشر فيه خنجرًا مطرزاً ويديه تحملان بندقية حكومية تشبه بنادق الخفر، لديه لحية بيضاء كثيفة وأنف مدبب ووجه أسمر بالكاد من الشمس الحارقة في الصحراء.

_ أنا الشيخ محمود... وينادوني أبا صالح العطار.
_ ولماذا تساعدنا.. أهلاً الشيخ؟
ابتسم الشيخ وقال:
_ أنت تعلم الإجابة أكثر مني.. فأنتم بدو وأصولكم عربية، الشهامة من
شيمكم والكرامة... لعلنا فقدناها بدخول هؤلاء الأنجلاء.
_ كم تريد أجرًا مقابل معالجة جرحانا؟
_ لا شيء يا سيدي.. لا نريد منكم جزاء ولا شكورا.
وأعطاه أبو صالح كوبًا به شراب في إناء صغير:
- ولكن ما سر هذه الحرب؟ هل لهذه الانتفاضة سبب لتحرككم
ووصلكم إلى المدينة بهذا الشكل.
أمسكشيخ العرب بندقيته بين يديه
_ نحن من قبيلة الرماح... ونحن بعض من بيت الباسل.
_ انتم أهل حمد باشا الباسل؟
نعم.. نحن أهل حمد باشا الباسل، وعندما سمعنا بسجنه مع سعد
باشا زغلول أتيانا لنرىهم ما نستطيع فعله وقد علمنا من أخبار في
المحروسة أنهم متوجهون إلى بور سعيد ومنها إلى جزيرة مالطا...
يستبعدهم من أجل دفاعهم عن الوطن.
_ نحن رأينا نوايا حمد باشا هنا... بالمدينة كان كثير العطاء وكان
يشاركتنا أفراحنا... رأيته في احتفال رؤية الهلال شهر رمضان الماضي.
_ لقد دعا حمد باشا الباسل كبراء المحروسة لبيته في شارع الداخليه
(شارع القصر العيني حالياً) المجاور لبيت الشعب منزل سعد باشا
زعول.. وقد القى خطاباً ومن هنا سمعنا بسجنه ونفيهم بهذا الشكل.
ولن نترك الإنجليز إلا إن يرحلو عنا.

_ ومن أين أتيتم بكل هذا السلاح يا شيخ العرب؟

_ لقد استولينا على ديوان البوليس في نجع أبي حمد (قصر الباسل في مركز أطسا) وأخذنا بنادق الخفر المهمالكة هذه وسنستمر ولن تركهم حتى يتركوا وطننا.

وجاءت أخبار من المحروسة سندذهب وكل أهالي الفيوم إلى المحروسة
لبداية ثورتنا ضد الإنجليز ليحرروا حمد باشا الباسل وسعد باشا
زغلول، لقد نام جميع الرجال وقد اقترب الفجر ماذا أعطيتهم يا أبا
صالح؟

_ للعطاارة أسرار يا شيخ العرب..؟ لكنني سأعطي لك معلومة عنها.
أعطيتهم تركيبة صغيرة من نبات (السكران) لتهدئه أعصابهم وليرتاحوا
وأيضاً لتخفيض آلامهم.

_ لعلك أعطيتني مثلهم أيها العطار؟

_ نعم فعلت يا شيخ العرب؟

_ ولماذا لم أنم مثلهم.

- لأنني وضعت عليه قليلاً من نبتة أخرى تهدئ من مفعول النوم ولكن
تزيد من استرخائك وتخرج ما بداخلك بسلامة، ألا ترى نفسك الآن؟

نظر شيخ العرب إلى نفسه فوجد نفسه مسلوب الخنجر المطرز وأيضاً
البندقية العتيقة ووجد نفسه مسترخيًا تماماً.

أخذهم شيخ العرب مرة أخرى مسرعاً ونظر إلى العطار بحدة.

_ لا تخف يا شيخ أنا لم أسلبك شيئاً، غير أنني كنت أريد معرفة قصة
حمد الباسل وكان فضولي لن يصبر حتى أعي بما يدور حولي..

لا تخف لا أقول هذا لأحد، انظري يا شيخ العرب من حولك هذا القبو
إنما هو خليط كبير من الأعشاب التي بها الكثير من الأسرار. ولعل هذه
تكون ميراثاً لأحفادي من بعدي، ولعلهم يستخدمونها في ما يرضي الله،
خد يا شيخ العرب هذه الحبة.

أخذها الشيخ من يدا العطار حبه سوداء بها خطوط بالطول صغيرة
الحجم:

- اغل هذه الحبة بعد طحنتها وما يتربس داخل الكوب خذه وإذا ما
أردت التخلص من عدوتك أعطها إياه، وهذه هديتي يا شيخ العرب ولا
تستخدمها في ما لا يرضي الله ودعونا معروفة.

أخذها شيخ العرب في كيس جلدي وأخفاها داخل حزامه.
ـ هنا بنا نرجع إلى نجع حمد مرة أخرى لنرتقب أنفسنا.

أيقظ الجميع في حلول الفجر وفي قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان
مشهوداً خرجوا واحداً تلو الآخر وشكروا العطار جميعهم ونظر شيخ
العرب للعطار بامتنان وربت على كتفه وانتزع خنجره من خصره
وأعطاه إياه وقال:

ـ هذا الخنجر لحمد باشا الباسل أعطانيه وسلمني مسؤولية الدفاع عن
القبيلة في أي أمر طارئ وأنا الآن أعطيك إياه.

ـ ما اسمك يا شيخ العرب؟ قالها العطار.

ـ اسمي عبد الستار... عبد الستار الباسل.

اندهش الشیخ محمود العطار:

ـ أنت العمدة عبد الستار الباسل.. أخو حمد باشا الباسل؟
ابتسم شيخ العرب له وذهب مع إخوانه تاركاً محمود العطار في
تساؤلات كافية لتصريف النوم من عينه.

بعد مرور قرن من الزمن

(٤)

خالد

يناير ٢٠٢٠ الساعة ٧ صباحاً

الليل ينتهي بسرعة بخلاف أننا في شتاء يمد الليل بالوقت الثلجي وسكونه المخيف وغياب كل شيء في السماء فضاء ممتد إلى القمر المطل علينا من بين فراغات السحب.

النوم يمسي من تفاعلاتي النفسية المخيفة أكاد أفقد إحساسي بواقع أريد الهروب منه إلى حقائق غير مدركة في واقعي.

أصحو كل يوم على صوت نباح الملك الفرعوني الذي لم يتركني وتركني من هم أهم منه، الوفاء أصبح من شيم الملوك مثله ولكن العبيد من البشر أصبحوا عبيدا بالفطرة، يتذرون دون مراعاة البعد، لا لهم.

ينبهني الفرعوني الأملس بصوته محاولاً تخليصي من نوم عميق وجاثوم لم يرد تخليصي منه، معناه يومية في نهايات النوم وخروج روحي ودخولها مرة أخرى داخل جسدي تجعلني مقيداً وأمرأة مموهة الشكل تضريني وأنا مستلق على ظهري وأردد آية الكرسى والمعوذتين لعلي أتخلص منها، وشيطان يقيدني ويخلصني فرعوني بقبلات ولعاق لأرجع مع روحي سالمين من جاثوم ما زال يطارد روحي يومياً، لعل التعمق في النفس بهذه الطريقة ضربتها هذه المخاوف الليلية.

أستيقظ فأجد الملك الفرعوني أمامي يلهمث ويدلي لسانه فوق ليقع مع جسده الأملس ولونه الأسمر المصحوب بالصفرة وذيله الذي يشبه الكراج الأسود ومزاجه الذي يميل للعب دائماً، فهو لأن أنيس لوحشي وونيس لوحدي منذ أن تركني مُنى.

أهداني إيه "بدر بيه" الذي يتاجر في ملوك الفراعنة، فقط هذا النوع الفريد الباهظ الثمن عزيز على كل من يعلم قيمة التاريخ الفرعوني، أهدانيه عندما أعطيته وصفات عاج نفسي لابنته وبعض المهدئات التي تخلصها من الاكتئاب النفسي من كثرة اهتمامي بهذا القسم الذي كنت على وشك التحول لهذا التخصص والتعمق الأكثير في هذه النفس العقدة.

فقد اعطيتها (الباروكوستين) الذي يكون مثبط إعادة امتصاص(السيروتونين) المبرمون والناقل العصبي الذي يصبح الحفاظ على مستوياته يساعد على الصحة النفسية أكثر إيجابية وروراحة، وهذا ما حدث لها.

أتيت لفرعونى بطعام مخصص له وطبقه الكبير النحاسى اللون واسمه الفرعونى عليه "الهاوند"، واسميته فرعون تيمناً بتاريخه المجيد ولعله يتذكر ماضيه الفرعونى وكيفية أجداده من الفراعنة وتماثيل كلاب الهاوند لعله يرى في منامه أجداداً من نسله يذكرونہ بالماضي الباقي خير من هذا الحاضر التافه.

وقفت أمام مرآة ومن أمامها حوض عينين غائتين ووجه شاحب، لحية كثيفة تغطي ملامحي وشارب متصل معها في تقاطعين وشعر أسود طويل غير مهندم، حاولت تصفيقه ولكنني أبى، وحاولت أيضاً التقليل من كثافة اللحية، غيرت ملابس اليوم الماضي فأنا لا أتذكر تغييرها قبل نومي أو ربما لم أتذكر وقت رجوعي وإطعام الهاوند خاصتي، وأكلت بهم من شدة الجوع، نظرت إلى التاريخ ١٠ يناير.

عقارب الساعة تحدق بي، تسخر مني، فهري تعلم أنها تحكم بي اشتد غيظاً منها لا أحب أن أراها، كم أحب الساعات الرقمية، ولكنني مجبر

على ترك هذه العقارب المتسلية على الحائط فهي هدية أمي لزوجي السعيد، فهي ساعة عتيقة توارثها أمي جدًا عن جد تعطي تكة ومنبه عظيم الصوت، شكرًا لك يا أمي على هذا الهدية التي سوف تلدغني عقاربها يوماً ما.

أما فرعون فهو يحميني وأنا نائم، يجلس القرفصاء بجانبي ينتظر هذه العقارب تاركة الحائط وذاحفة نحو سهيرتها بقدميه ويمضي بها بأمسانه ويلقها بعيداً في بلاغات الزمن التي جاءت منها. الملك فرعون الهاوند العظيم الذي يعتلي عرش سريري ليلاً حتى لا تقترب الشياطين، وحين يقتربوا يصدر النباح وينبهني من غفلاتي واشرب مشروب الخاص الذي صنعه لي أحد أصدقائي خليط من نبتة الإبيوغوا الذي جعلني اجرها فاضل مع بعض العوامل الكيميائية بالتقدير لتخفف من عملها أضعها على قهوة المغلية والتي يشربها فرعون معي لعقاً في إنائه النحاسي.

خرجت لعلي أذهب إلى المستشفى التي لم أزرها منذ سنة من الانقطاع في اعتقادي أنهم فصلوني، ربما ارتحت من كثرة تهديدي بذلك وإرسال خطابات ليس لها أي رد منذ زواجي بمني وأصبحت أسوأ من ذي قبل، خناقات غير مبررة عشت معها ثلاثة أشهر لم أحظ بهم في حياتي، لقد امتلك منها من المتعة والعشق الذي لم أره في أي قصص الحب ولكن بعد ثلاثة أشهر فقط أخذت القصة نهايات هذا العشق وتركتها لي بدون سابق إنذار هي الآن سعيدة في منزل أبيها حتى فاضل منذ ذلك الوقت لم يحدثني ولم يسأل من ذلك الوقت ربما يغضب لغضب اخته أو لأنني كنت غير مسؤل بهذا القدر من الحمل الذي وضعه على عاتقي.. ولعله السبب في هذا الوضع الذي نحن جميعاً فيه.

نزلت إلى الشارع مستقلة سيارة أجرا، ركبت وراء السائق لأمنع عنه محادثي عن ظروفه الاجتماعية وأقساط التاكسي وأيضاً أولاده الذين يريد نقلهم من مدرسة بعيدة عن المنزل إلى مدرسة قريبة وغيرها من تفاصيل أسمها يوميا بمجرد ركوبه مع كل واحد، ولكن تتلون القصص بمختلف الألوان والنهاية واحدة.

- علي فين يا أستاذ؟ قالها السائق في ركوبه.

- مستشفى الجامعة ياسطي.

- حضرتك دكتور؟

- آه دكتور.. وستبدأ القصة من هنا.

بدأ يقص على أحواله مع مستشفى الجامعة وطريقه الطويل في علاج أمه الذي لا يستطيع صرفه دون عمل أوراق نفقة الدولة، وفي نهاية قصته المأساوية وجدني في طريقه واقفاً ومحطمًا آماله في مساعدة تجاه هذا الأمر.

- لازم تعمل فعلاً الورق عشان تصرف العلاج... وربنا يشفى الحاجة إن شاء الله.

حدجني السائق بنظره في مرآة السيارة الأمامية غابت عني برنة لهاتفه لأجدتها زهرة.

كما كتبت قديماً "زهرة قلبي" هذا الاسم الذي سبب لي المشكلات الكثيرة وبالأخص مع مني زوجتي التي إلى الآن ما زالت زوجتي، مرت سنة كاملة على فراقنا.

لا أعلم هي الآن تعلم أنني تزوجت أم لا. قررت أن أرد عليها لاشتياقي لها ولسماع صوتها.

_ الو.. ازيك يا دكتوره زهرة.
_ خالد... أنا محتاجاك اوبي.
_ خير يا زهرة... حصل إيه؟
_ خالد أنت فين؟
_ موجود بس انتي اللي رجعتي من السفر إمتي؟
_ يا خالد تعالى بسرعة ارجوك.
قفلت الخط وأنا لم أعرف إلى أي مكان أذهب.

* * * *

(٣)

القاهرة مدينة نصر شهر يناير الساعة الثالثة صباحاً في جثوم الليل غيوم تخفي ما في السماء من نجوم وبرد قارس سيارات شرطة كثيرة وأشرطة صفراء تحيط مبني شاهق وجندوأم من مركزي تحيط المبني المكون من عشرة طوابق سكنية عدا الطابق العاشر والأخير الذي كتب على جبهته "metediation spa" مركز الاستجمام لوحدة مضيئة وروائح عطرية تفوح من المكان، مدخل كبير زجاجي وأبواب كهرباء حساسة وريسبشن بأ Félix رخام الإيطالي ولوحة أخرى زجاجية كتبت وراء الكونتر الرخامى لاستقبال الوافدين، من يدخل هنا فئة محددة من البشر، نوع فريد قد أنعم الله عليهم بالوفرة في الأموال التي ليس لها سبيل غير الرفاهية المفرطة.

هنا الاستجمام في صورة وما وراءه كان أعظم، والغريب في الأمر هنا التخصص، فترى المراكز في جميع الفنادق الفاخرة موجودة، ولكن هنا تجد مالا تجده في الخصوصية.

مدخل العمارة السكنية في الطرف الآخر تماماً، أما المركز فيأخذ الدور العاشر والأخير وعمارة سكنية بالكاد لأنها لم تسكن فيها فعليا إلا ثلاثة شقق وفي أدوار مختلفة، الأستاذ محسن جبريل وزوجته هنا السيد، هما يسكنان في الدور الأول والدكتور عبد المعز وهو أرمل وليس لديه أولاد، يسكن في الدور الثالث، أما الدور السادس فالراقصة نرمين والشمسة مرمر، وما علاقة مرمر بنرمين لا أعلم، وهي بالطبع لا يسكن معها أحد ولكن ما أكثر الزائرين والحفلات اليومية الليلية.

وبالإضافة إلى ذلك، يقضون ليلة أو ليلتين فقط في الشهر وهذه الليلة طبعاً تكون شديدة الاحمرار من السكر والعبرة.

القتيل محمود الدميري رجل أعمال في مجال الاستيراد والتصدير. محقق المباحث لرئيس المباحث الواقف بتعاليٍ ونظراته الشمية الذي يرتديها في الثالثة صباحاً خوفاً من أشعة فوق شمسية تضرره هو وحده، وشارب معتاد رؤيته في هذه المهنة المقدسة كم هو مقدس أيضاً هذا الشارب فهو لعله كارت تعريفي لشخصه الموقر وأيضاً مساعد رئيس المباحث أو ما يسمونه الضابط الصغير والأقل رتبة منه، ولا نستطيع أبداً نسيان الجاكت الجلدي فهو أيضاً من المسلمين التي نراها في زيه الموحد برغم أن عمل المباحث مختلف ولباسهم المدني إلا أنهم لهم أيضاً طابعهم العسكري الخاص تسلية شعر وشارب وجاكت جلد الضباط وما يدنوهم.

- في انتظار تقرير الطب الشرعي يا فندم.
أشار له بنظراته.. في لحظتها جاءته اهتزازات لهاتفه أمسكه بتوجس وفتح الخط.. وعدل وقوته بانتباه: تمام معاليك يا باشا.

- تحت أمرك يا فندم، تؤمر معاليك واحنا ننفذ.
- بكرة الصبح والتقرير يبقى على مكتب سياتك. وقفل الخط، أخرج زفيراً من بعد اختناق أنفاسه داخل هذه المكالمة.
- خير يا باشا... قالها معاون المباحث.

- أبداً يا سيدتي... معالي الباشا عرف بالخبر بممات الدميري وعايز يعرف سبب الوفاة بسرعة.

- خلص وحصلني شكل القضية دي هتقرفنا.
- تمام يا فندم.. افضل أنت يا باشا ارتاح واشوفك الصبح ف المكتب.

_ ارتاح إيه بقى...معالي الباشا عايزة تقرير الوفاة ٨ الصبح أنا هروح
المكتب وانت تتصرف وتشوفلي الطب الشرعي وتقريرهم المبدأي فيه
شبيه جنائيه ولا لأن.
_ تمام يا حسن بيه.

حسن محمد النجار ابن اللواء المتتقاعد محمد النجار رئيس مباحث
قسم أول مدينة نصر، صعد عربة الشرطة وذهب إلى القسم وترك
مساعده إسلام جابر الذي يشبهه في جاكته الجلدي والشارب ليس إلا
أقل منه طولاً ببعض سنتيمترات.

قسم أول مدينة نصر، طرفة طويلة آخرها باب خشي يقف بجواره
عسكري بيته الأبيض وفوقه لوحة معدنية نحاسية الشكل كتب عليها
مكتب رئيس المباحث، وقف العسكري وأعطى للضابط إسلام تحيته،
الذي لم يتخلى أيضاً عن شاربه ولكنه أبيض البشرة، دخل وبيه ورقة
أعطى تحية سريعاً لحسن بيه الذي يتكون على أريكته الجلد شبه نائم
عواضاً عن ما فاته الليلة السابقة من النوم، فتح عينيه بفترة في دخول
إسلام عليه.

_ آسف يا باشا لو قلقتك.

_ لأنّا تعال يا إسلام أنا مستنيك... أنا منمتش من امبارح أساساً.
_ خير يا باشا... لعل المانع خير.

_ أبداً يا سيدى... امبارح كان عيد ميلاد المدام... وأنا نسيت أجيب
هدية واعمل (surprise party) والدنيا اتكلبت.
صححات متالية من الضابط إسلام.

_ أنت بتضحك... حلقك.. بكرة تشوف أيام سودة.
_ لا يا عم أنا مش عايزة اتجوز خليني كده احسن.

هتجوز يا بني غصب عنك مش بمزاجك.. المهم عملت إيه مع الطبع الشرعي.

آه تمام يا باشا.. ده تقرير مبدائي من دكتور الطب الشرعي رحت

أمسك حسن الورقة وبدأ القراءة يعينه.

بس التقرير في خبر مش حلو.

هبوط مفاجئ في الدورة الدموية احتمالية جرعات زيادة في مواد مخدرة أو سموم.

ده فعلا خبر مش حلو... ومعالي الباشا مش هيعجبو الكلام ده.

طبعاً يا فندم ده محمود الدميري عضمة كبيرة وحبيب الكبار اوبي مستحبيل يوافق على التشريح.

احنا هنودي التقرير وهمما اللي هيحددوا.

تمام يا باشا.. قالها الضابط إسلام لرئيس المباحث ورجعا للحديث عن هدية عيد الميلاد.

أه وحياتك قولتها أنا اصلا جاييلك المديه بس نسيتها في العربيه
ونزلت جبت هدية وظرفه وشمعوه وكانت ليه.

احنا يابني ضباط آه بس هما الحكومة لو زعلو مننا يزععلونا.

قوم بقى اطلب لينا فطار وقهوة عشان نصحص للقضيه دي وادعى
أنّ فن التشكيل شكل الشهادة أكمل في

القضية دى وتبقى قضية الموسم.

(٤)

علمت أن أبا زهرة قد مات وما أدرى سبب موته، وهل هؤلاء يموتون بهذه السهولة؟ مفرق الأحبة وصانعي الفوارق الطبقية، لن أستطيع منع داخلي بالاحتفال بموت هذا الرجل، لم أر منه سوى المشقة، كان عنصراً كبيراً في بعدي عن زهرة وفشلني الحالي من تراكمات وانشغال خلدي بهذه التراكمات يجعلني أصنع feedback وتحكمت في الزمن لأعود مرة أخرى إلى ماضٍ أريد حتماً تغييره، رأيت عقارب ساعتي تعود للوراء في عكس مسارها لأعود مرة أخرى بالزمن لم أتزوج مني..
فاضل.. ما زال بجانبي...
قبلني أبو زهرة زوجاً لابنته..

اجهدت من أجل زهرة في عملي وحصلنا سوياً على الماجستير وأنجينا ولداً وبنتاً.. لم أحلم إلا بذلك فقط...

استيقظت من حلم اليقظة إلى وصولي منزل زهرة المزدحم بالكثير من البشر ولم يكونوا مثلي، سيارات مودلات السنة من bmw، ومرسيدس وغيرها كثيرة، يقفون متظرين أمراً ما، كان لديه كل الحق محمود الدميري في رفضي لابنته، سيارة واحدة من هذه السيارات تكفي لتغيير حياتي نهائياً، من الطبيعي جداً إن ينظر إلى بهذا التعالي تحرکو جميعاً عندما جاء الأمر بالتحرك لم أعلم إلى الآن ماذا يحدث وإلى أين الذهاب وain المتوفى وain زهرة في كل هذا الحشد حاولت في طريقي مراراً الوصول لها عن طريق الهاتف ولكن بائنة محاولاتي بالفشل فقط أغلق الهاتف تحرکو تحركت معهم بالتكلسي الذي كان ما زال يحاول الخروج

من بين الزحام مستقلًا إياه وأمرت صاحبه الذي يشكو من أقصاطه بالذهاب وراء هذا الموكب العظيم خرجو من الفيوم متوجهين إلى طريق القاهرة الصحراوي وهنا علمت أننا ذاهبون إلى المقابر والجحرة تنتابني أين زهرة وأبوها، وعند وقوف الموكب وأم زهرة تنزل من إحدى السيارات السوداء ويقابلهم موكب عظيم به سيارات شرطة صغيرة وتشريفات علمت أنهم لديهم زهرة والمتأوف، دلفنا جميعاً إلى المقابر وانغمس الموكبان وأصبحاً موكباً واحداً، لاحت زهرة تلبس الأسود ونظرتها الشمسية السوداء ووشاح صغير تغطي به خصلاتها الناعمة، آيات قرآنية تتلى

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوقَّنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِزَّ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ أَغْرِيرٌ﴾ آل عمران: ١٨٥

مواساة وطبعات على الأكتاف الزمن يمر و أنا واقف منتظراً زهرة، قرأت له الفاتحة لعل الله يغفر له خطئه رفضي أو خططيه الخفية عنـي... اقتربت من زهرة بعدها تركتها أمها وانتظرت خارج المقابر.

_ البقاء لله يا زهرة.

لم ترد إلا بدموعات سقطة من وجنتها تسألت من تحت نظارتها السوداء، أخرجت منديلاً وناولتها إياه، أخذته ومسحت دموعها بعد إزالة النظارة ليظهر وجهها كاملاً أمامي، فهو شديد الحمرة، نظرت لي وقالت: بابا.. وازدادت في البكاء إلى إن سقطت على الأرض..

جاءت أمها ومعها بعض البدل السوداء ونظارات صفيرة وسماعات ملتوية مثل الحيات حول آذانهم حملوها وأخذوها وتركوني مع المرحوم الدميري.

رجعت مرة أخرى إلى شقتي وفرعونى الصغير ليستقبلنى ببعض اللعاق والأحسان ويخبرنى أنه مراقب جيداً العقارب على الحائط ومسيدر على شياطين لم تجرؤ أن تدخل البيت، وطالباً مني الأكل ليستطيع حراسى بالليل، وأخبرنى أنه زاره في المنام الليلة الماضية بعض إخوانه من الهاوند الفرعونى القديم وأخبروه عن معلومات قديمة، وعندما سأله ما هي المعلومات لم يجب إلا بنباح قليل وانشغل بأكله بنهم مفرط فإنه لم يأكل منذ إن تركته صباحاً.

ألقيت جسدي المتهوى على سريري بعد استحمام ظل ساعة ونصف ساعة في حوضي الممتلئ بالمياه الدافئة وعطر مضاد عليه، وعطر زيتى محترق في الحمام ليخرج مني هامات اليوم كلها، وهذه العطور لتنقى روح المرحوم الدميري الملتصقة بي فهو الآن يسأل عما بدا منه تجاهى.

* * * *

(٥)

أنا الآن مقيد، نائم على ظهري لا أستطيع الحركة إلا حدقات عيني فقط، ولسانني أشعر به الآن أيضًا، امرأة مموهة غير مرئية ترمي بي بماء آسن كرهًا وعدوانا، وتضري بي بكيًا ينتفخ جسدي أمامها ولكنني لم أشعر به، إني أراها فقط، تزداد في ضربى غيظا كلما استمررت في قراءة آية الكرسي حتى وهو العلي العظيم، ومكملاً (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميح عليم)، وأكملت إلى المعوذتين مكررًا إياهما إلى إن ابتعدت المرأة عنى وعادت لي روحى ودخلت في جسدي النائم بشكلها الطيفي الخفيف، وأجد الملك فرعون أمام عيني واقفا بشموخ على سريري وحارسًا لي من هذا الجاثوم اليومي.

لم تكن نبطة الابوغة التي اختلستها من فاضل مع بعض التراكيب الكميائية لها أي تأثير غير الضباب والرؤى المموجة، كما أرى هذه المرأة التي تقتضي مني في منامي، نظرت إلى محفظتي فلم أجدها إلا القليل من المال، لعل حمل عيادة الدكتور عبد المعز استشاري الطب النفسي والعصبي ووجودي معه قد يعود على بالقليل المادي بجانب علمه الذي لا ينقطع، فهو لا يأتي لعيادته في الفيوم غير يوم فقط ويترك لي الكثير من العباء باقي الأسبوع، ونصائحه المستمرة في تحديد تخصص واضح لي فأنا أشتت نفسي بين كثير من التخصصات، أولها جراحة، ثانها التشريح والطب الشرعي ومخاوف المشرحة، لم أنس هذا اليوم يوم أضطررت أن أبيت في المشرحة..

لقد ذهبت مع أستاذ الطب الشرعي دكتور أبو القاسم لتشريح جثة وكتابة تقرير عنها، لقد شاركته ولأول مرة في التشريح بيدي، لقد فتحنا الرجل وكان في منتصف الثلاثينيات، أمسك بالمشهرط ورسم على القتيل حرف ٧ بداية من الصدر ومُرحبًا بالقلب واعيته، وليه الشخير الذي تحدثه الرئة إن فتحت، ثم الحجاب الحاجز ومروراً بالمعدة والأمعاء بأنواعها، وما تبقى من محتويات لم أرها إلا في أحلامي بعد السقوط المدوي لي على أرضية رخامية صلبة، لم أرنفسي إلا نائماً بجوار أحدث الجثث مبتسماً، وكان شيخاً بلحية بيضاء والابتسامة لم تفارقه، وقد أخبرني أنه سيذهب للدفن قريباً فقد سمع أن تقريره وتصريح دفنه قد خرج، انتفضتُ فزعاً ورعايا من الجثة المتحدثة لي، فقد سمعت هيثم العامل ذا الأسنان المتبعدة السوداء المصحوبة بالصفرة من كثرة السجائير المحلية، ولأنف الكبير والعينين المدفونتين في الوجه الذي إن وجد في الظلام لم يُرَ من غياب عينيه داخل ججمته وسود أسنانه، يتحدث بصوته الأجرش: أهو فاق أهو يا دكتور، الدكتور الصغير فاق. هيثم فهو اسم ليس على مسمى، ولعله الوحيد الذي لم يحظ بنصيب من اسمه غير عينيه اللتين تشيمان الصقر أو كما يقول هو، فلقد سموني عندما رأوا عيني المدفونتين المدورتين مثل الصقر على حد قوله. وبدأ في شروح اسمه وبطولاته في المسرحة.. كل ذلك وأنا ملقى على سرير متحرك يسمى "تورولي" لنقل الموتى من وإلى الثلاجة، وقد رق قلب هيثم فقد قام بتغطيتي بملاءة يخصّها لون الدم.

شعرت بصوته يتحدث إلى الدكتور أبو القاسم هاتفياً بعد منتصف الليل بعدما تركوني في المسرحة التي اطررت للمبيت حتى طلوع الفجر،

وما إن أذن الفجر حتى ذهبت وصلت وشكرت الله وتيقنت أن التشريح ليس لذوي القلوب الضعيفة مثلي، واتجهت إلى الطب النفسي، وقد جاء في وقته المناسب مع تجارب فاضل المميزة في أعشابه السحرية التي تجعلني أغوص في أحلامي ولكن ليس إلا هذا الوحش الذي يريد التهامي والمرأة المموهة لعلي أجد ضالتي عندي في كتاب (سيجموند فرويد) مرة أخرى فهو مفسر أحلامي المبدع غير التقليدي، كتابه الذي أخذته عنوة من صاحب المكتبة التي أتردد عليها من الحين للآخر وأشتري ما يلزمني من كتب وروايات، فلديه أرخص أسعار الكتب في السوق، لقد سمعت الأقاويل عنه فهو لديه مطبعة في مكان ما ويطبع جميع الكتب بطريقة ما ويبيعها، وهذا سرقة لحق المؤلف وهذا عمل دنيء، ولكنني علمت ذلك في الماضي القريب وذهبت له وأخبرته بمعرفتي وأردف قائلاً:

- ما كل شيء مضروب جات على الكتب يا دكتور خالد؟
تركته وذهبت عازماً أمري على عدم الرجوع له مرة أخرى، فهو سارق الأفكار ويبيعها بسعر بخس.

الفكرة ليست بهذهوضاعة، وأيضاً ليس لها سعر، الفكرة لها قداسة لا بد أن تحترم ولا فلاتباع، الفكرة تبقى لصاحبها في حياته وتكون ميراث لغيره في مماته.

لقد أصبحت روح فرويد تحضر لجسدي، سأتخلص من روحه في مغطسي العميق وأعود محاولاً الوصول إلى زهرة، لقد نصب أمامي الآن جسراً فاتحاً ذراعيه لي وموافقاً لعبوري عليه تجاه زهرة، وما أنا إلا أن أعبر إلى خط النهاية بعد مرور وقت محدد من الحزن والأسى ولعلها تسامحني على زواجي ولعل مني تغفر لي ما اقترفته من تقصير في حقها.

* * * *

انغمست في مغطسي الممتلىء بالماء المعطر وزيوت عطرية تحترق من حولي تكاد تسحب أكسجيني مني، وصوت رقيق لفوهة شفاط لتبادل غازات الحمام، أغطس داخل مغطسي وألقي سيجارة غير معتمد على حرقها داخل رئتي إلا في الآونة الأخيرة، أخذتها من هيئم شبح الليل في المشرحة، رأيته يعزم على أحد الموتى بها، اندھشت عندما رأيته، نظرلي بهدوء وبخطوات ثابتة تجاهي: أنت فاكرني مجنون يا دكتور؟ دول بيسمعونا وعارفين كل حاجة، أرواحهم بتفضل فوقهم بتترفرف حولهم، مستنية أمر الدفن عشان تصعد صعوداً نهائياً ليس له رجعة إلا يوم الحساب يوم النفح في الصور.

- _ إيه يا دكتور أنت مش الشيخ كلمك من شوية.
- _ ازدلت اندھاشاً من كلماته التي تبدو لوهلة حقيقة.
- _ وانت إيه اللي عرفك. هو في ميت بيتكلم.
- _ عندك حق يا دكتور. بس دول لو كانوا أموات من الأساس.
- _ سمال إيه عايشين من غير (vital sings) علامات حيوية قلتها بتلقائية وصححتها قصدي من غير نفس ولا نبض.
- _ ابتسم لي بسخرية عالم في الفلسفة وكأنه أفلاطون في زمانه:
- _ احنا نفسنا بنموت كل يوم، أنت مش بتنام ولا إيه يا دكتور؟ ما هو ده موت برضه وروحك بتسيبك وتترفرف لحد ما تقوم حاول بس تركز وانت نايم هنا وانت هتشوف الأرواح اللي معانا وبتكلمني وبكلهم كمان أنت عارف أنهم بيحكولي كل قصصهم وازاي ماتو ومين اللي قتلهم كمان.
- _ بدأ يخرب: أهو أنا قولت كدة برضه دي أكيد هلاوس سمعية وبصرية نتيجة الوحدة القاتلة حول الموتى، قلتها في خلدي ولم أبدها له إلا ابتسامة مصطنعة وهزّت رأسي مودعاً له.

انتهت من شرودي على صوت خفيض لم أسمعه تحت الماء وذبذبات الهاتف برنة رسالة، لقد فتح هاتف زهرة، أسرعت بالاتصال عليها رنات قليلة وردت:

ـ ألو ايوه يا زهرة... انتي فين واخبارك ايه.. لا لازم اطمئن عليكى بنفسي... حاضر هجيلك في الميعاد.

صوت رقيق به كثير من الحزن والأسى على فقد رجل قد حرمنا من الفرحة، رحمك الله يا ديميري حتى في موتك واقف في طريقنا.

تأهبت للذهاب ولبسـت بدلة بدون كرافات وتعطرت بعطرـي المميز الذي أوشكـ على الانتهـاء، فقد توقفـ فاضـل عن إرسـالـه معـ منـي لأنـها لمـ تعدـ مـعيـ الآـنـ،ـ أـلـقـيـتـ سـلـامـيـ عـلـىـ عـقـارـبـ ساعـتـيـ وـنـظـرـتـ لـفـرعـونـيـ فـأـشـارـلـيـ بـعـالـمـةـ لـاـ تـقـلـقـ أـنـاـ أـرـاقـيـمـ لـنـ يـزـحفـواـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ سـيـظـلـوـ مـحـبـوـسـينـ فـيـ ساعـتـهـ،ـ فـقـطـ اـذـهـبـ وـاعـتـمـدـ عـلـيـ.

قبـلـتـهـ وأـحـكـمـتـ غـلـقـ الـبـابـ خـلـفـيـ وـذـهـبـتـ إـلـهـاـ،ـ مـلـكـةـ العـشـقـ لـدـيـ فـبـوـجـودـهـاـ تـنـظـمـ دـقـاتـ الـقـلـوبـ وـتـرـفـرـفـ أـجـنـحةـ الـعـصـافـيرـ وـالـقـلـوبـ تـسـتـقـبـلـ سـهـامـ الـحـبـ،ـ هـذـهـ مـلـكـةـ الـحـبـ خـاصـتـيـ وـزـهـرـتـيـ الـمـسـتـخـرـجـ مـنـهـ أـجـمـلـ الـعـطـورـ الـتـيـ تـفـوحـ مـنـيـ الآـنـ.

عزمـتـ أـنـ نـتـقـابـلـ خـارـجـ مـنـزـلـهـاـ،ـ فـرـوحـ الدـمـيرـيـ لـعـلـهـاـ تـرـفـرـفـ فـيـ المـنـزـلـ الآـنـ وـإـنـ رـانـيـ سـيـحـدـثـ مـاـلـأـعـلـمـهـ حـتـىـ الآـنـ.

فـأـنـاـ أـتـوـجـسـ مـنـهـ خـيـفـةـ أـنـ يـلـبـسـ جـسـديـ المـهـترـئـ هـذـاـ،ـ وـكـلامـ الغـولـ هـيـثـمـ فـيـ المـشـرـحةـ لـاـ يـنـفـكـ مـنـ رـأـيـ كـلـامـةـ وـهـزـلـهـ مـاـ زـالـ يـتـرـددـ هـذـهـ خـرـافـاتـ أـنـاـ أـعـلـمـ،ـ شـارـفـتـ عـلـىـ الـوـصـولـ،ـ مـكـانـنـاـ الـقـدـيمـ كـافـيـهـ مـفـتوـحـ وـهـوـاءـ مـصـحـبـوـبـ بـنـسـمـةـ دـوـارـ السـوـاقـيـ فـيـ المـاءـ لـقـدـ جـثـمـ اللـيـلـ بـغـتـهـ لـمـ

أشعر بهدرك كل هذا الوقت والنجوم ترسم القلوب في السماء وتنير من أجل هذا اللقاء، أشعر بالكون من حولي ينظم نفسه على راحتي، النجوم ترسل إشارات خاصة أحاول فهمها.

حتى عزرايل أهداني بأخذ روح الدميري. والخوف كل الخوف من رد الهدية له، وهل عزرايل سيأخذ روحي في مقابل روح الدميري؟ سيسير إلى بعثاته ويسحب مني روحي ويضعها في جرابه ويُسْطِب اسمي من سجله الذي يسجل فيه الموتى.

نظرت إلى السماء مرةأخيرة وجدت النجمات متلائمة فرحا بإشارة إلى شيء على الأرض، جاءت زهرة، برغم حزنها الذي أراه في عينيها من بعيد، ولبسها ووشاحها الأسود الذي يزيدتها جمالاً لعلي أصبحت مسحوراً بها، اقتربت وألقيت السلام وردت بهدوء، جلسنا على طاولة مبتعدة قليلاً عن الناس، وعزمتها بعد مشقة على عصير وأنا أخذت قهوتي وباختلاس وضعت عليها قطراتي المفضلة.

برغم ما تمر به لم تنس ذكر إعجابها برائيتي المميزة وبدلي، وزدادت خجلأً من نظراتي إليها وابتسمت أخيراً، وبعد طول انتظار فقد أمسكت يدها مداعباً أصابعها دون خجل مني، سحبت يدها برقة وقالت:

ـ أنا عايزه اعتذر على غيابي غير المبرر...?
استوقفتها بإشارة وأردفت

ـ قبل ما تقولي أي حاجه أنا عايز اعترف بحاجه أهم!

ـ مش وقته أنا عاوزاك في حاجه مهمه... خالد بابا اقتل!

ـ انتي بتقولي ايه؟

ـ دي الحقيقة يا خالد... بابا مات موته مش طبيعية.

ـ وعرفتني منين؟

ـ بابا مات مسموم..!

ـ وانتي عرفتني ازاي...ـ

ـ لما طلبو منى التعرف على الجثة لقيت آثاردم في جانب شفتيه، ففتحت فمه وجدت لسانه مخصوصاً بالحمرة وده دليل على إن بابا تقيئ دم قبل ما يموت وده أكيد له سبب واعتقد أنه ممكن يبقى مسموم..!

ـ ودي هتعدي على الشرطة بسهولة؟

ـ ده السؤال اللي سأله لنفسي كتير.. ماكنش في إجابة ولازم تساعدني يا خالد فيها.. أنا لازم أجيب حق بابا.. لازم أعرف إيه السبب الحقيقي وراء موته.. بابا عمره ما اشتكي من حاجة!

ظللت أسمعها والزمن يدق واللحظات تمر دون الشعور بها كانت أمامي تتحدث باهتمام عن موت أبيها وحقه الذي تريد إرجاعه وأخذه عنوة من مفترضين مجھولين صائدو الأرواح ونائبين عزرايل في الأرض.

انتهت من حديثها الطويل وطمأنتها بأني في ظهرها مسانداً لها ومحقق ما تسعى نحوه. لعلي آخر شخص يحب أن يأتي بحق هذا الرجل ولكن من أجل زهرة.

وعندما قد باغتتني اهتزازات من هاتفي وكتب على شاشته أمي.
استاذنت زهرة وتكلمت.

ـ اللو.. ايوه يا أمي ازيك يا سست الكل... أنا عارف أني مقصرمعакم والله.. بس الشغل.. (وأنا أعلم أني أكذب ولكنني أتظاهر بالكلام فأمي شديدة القلق تجاهي...).

- حصل امتي الكلام ده.. طيب أنا جاي حالا. وقفلت الخط.

ـ خير يا خالد؟

ـ الحاج تعبان شوية ولازم أشوفه حالا.

ـ طيب تعال اوصلك.

ـ لا مش عايزة اتعبك.

ـ لا مفيش تعب ولا حاجة.. مفيش حاجه اعملها دلوقتي...

ركبنا سيارتها الحمراء التي امتلأة بالدباديب والعرائس الصغيرة والقلوب الملصوقة في جوانبها الداخلية، سرنا بالسيارة وأنا أوجهها يميناً ويساراً إلى البيت الذي لم تحظ بالتعرف عليه من قبل، سرنا بمحاذاة بحر يوسف وتخطينا قصر الثقافة ومررنا على محطة القطار ومنها إلى كوبري صغير حتى وصلنا إلى ميدان يدعى ميدان المسلة، لأنه يتواصله مسلة فرعونية قد عثر عليها أحد الفلاحين في الأراضي الزراعية في قرية أبجيج ونقلت إلى المدينة سنة ١٩٧٢، ولعل الملك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة لم يصنعها لذلك، بل مباركة لتحويل أرض الفيوم إلى أراض زراعيةوها هي الآن رمز مهم للمدينة وتخليل لفنون الفراعنة.

وبعد المرور من يمين المسلة ومررنا بشوارع ضيقة قد وصلنا المنزل نسكن في الطابق الثالث لا يوجد مصاعد فهو منزل لا يتعدى الخمسة طوابق من المنازل القديمة، نزلت وحاولت القول لزهرة أن ترحل بعزم مراكبيه: اتفضلي معي، فوافقت على الفور، ركبت السيارة وجاءت وطللت ألومنومي عما فعلت وما قد يسوء من أوضاع... ربنا يستر.

وصلنا فقابلتني أمي يفرش الحزن على وجهها، وتغيير باندهاش وبغتة عندما رأت زهرة ورائي، فأمي وأبي وبقى لعلهم لم يروها من قبل، ولكن أمي برغم ما تمر به رحب بها بشكل يليق بست الكل الطيبة، بكرم وأصول الذي نفتقد في أيامنا الملعونة هذه، ولا أقصد أن أسب اليوم فاللعنة ليست منها إنما ما تعكسه الأيام من مائتها على ما ينظر لها ويشهما ويعيش فيها لقد أصبحت المادة تتسلط علينا وتسطر على قوائم حيواننا الدنيا التي نعيشها.

لقد علمت من أمي أن والدي ليس بخير، دخلت أنا وزهرة عليه، عدل في جلسته وقبلت يده، ومرحباً بزهرة التي لا يعرفها أخرجت جهاز الضغط الذي كنت قد اشتريته في الامتياز لأتمرن عليه ووجدت ضغطته في معدله المضبوط وأخرجت جهازاً صغيراً أسود بشرايط مستطيلة يعرفه كل مريض سكر وقامت بقياس سكره فوجده مرتفعاً قليلاً يفوق مائتين وخمسين درجة ذهب إلى أمي فأدت مسرعة بالأنسولين من الثلاجة، سحبت من زجاجتها عشر وحدات فقط وغرستها في ظهر يده اليسرى، أردفت أمي وكان القلق ينسحب من وجهها برقة:

ـ بالشفاء إن شاء الله يا أبو خالد.

ـ الحاج لما بقى واحشه شويه بيخصني عليه ويجيبني على ملا وشي كل مرة يعملها فيها.. الحمد لله ضغطك مضبوط وسكرك زي العسل... ارتسمت الضحكات في وشوش الجميع.

ـ سلامتك يا عمومي... قالتها زهرة برقية تخطف القلب ولو كان أبي بصباصاً أو مثل الفنان "لطفي لبيب" لرد عليها بحرفه (ده انتي اللي عمومي) ولكنه رد بوقار:

ـ الله يسلمك... يا بنتي.. أنت معرفتناش يا خالد.

أردفت أمي بحكمة بالغة: دي الدكتورة زميلته في الشغل يلا بقى يا ولاد عشان نسيب بابا يرتاح شوية.

لقد أنقذتني أمي من مقال كبير من أبي ونصائح أنا أعلمها ولعلها تنتهي بمشادة تجعله يغضب مني كما حدث آخر مرة بسبب مني وأنني تركتها في بيت أبيها منذ زمن لا أعرفه... وزهرة التي لا تعلم عن زواجي شيئاً.
حضرت أمي الأكل المفضل لي فأنا لا أتذكر آخر مرة تذوقته فيها.

ولم أحظى بهذه الفرصة من قبل لأكل مع زهرة وفي بيتي، كم هذه فرصة ذهبية ثمينة لعل الله أمر بلم شمل العائلة مرة واحدة، لم تترك أمي زهرة وأهلكتها من عزومات ووصل بها الأمر إلى أن تأكلها بيدها وكانت زهرة عينها تلمع فرحاً وتحديثي قولاً أنا أريد هذه الحياة، وأجيب عليها بلمعة أخرى من عيني أتمنى أنا أيضاً، وأنهينا الطعام المكتظ بالمحاشي والملوخية لننهي مسيرتنا بكوب من الشاي عظيم لا أحد يعلم قيمته إلا الذي يأكل هذا الأكل الدسم، ووصتي أمي باختلاس على أن أرى حلاً لمني وأيضاً دخلت زهرة في قليها مرة واحدة فأمي طيبة القلب ومشاعرها تحكم بها أما أبي فهو دائماً المتحكم في مشاعره وأما أنا فخلطت منها أرى نفسي محبوساً داخل سجن زهرة الذي لا أريد الخروج منه وبين واقع أريد تغييره وتحكم سجني فيه.

خرجنا أنا وزهرة معطياً لها وعداً بالتفكير بمساعدة حقيقة في البحث في أمر أيها، انغمست زهرة في أسئلتي عن تفاصيل بيتنا وأمي وأبي وكم هما ودودين وأنها كانت سعيدة في بيتنا.

تركتها وصعدت في مصعد إلى شقتي، دلفت لأعواد وأرى ماذا فعل
فرعون مع عقارب الساعة المخيفة لعلهم تعاركوااليوم وهل فاز الهاوند
الفرعونى عليهم أم قاموا بلدغه وقتلوه.

* * * *

(٦)

بعد دقات للزمن ومرور أيام لم أدرك من الوقت يمر، قررت الذهاب إلى مخني وفاضل لم يكن الأمر بالهين، هذه الخطوة أحياول اجتيازها منذ شهور، لم أتذكر منذ متى تركتني مخني.

وصلت إلى بيتهم فتحت لي أم فاضل الحاجة هيا، طعنتني نظرة بخنجر مسموم... وافترش وجهها بامتعاض.

_ أزيك يا سست الكل... كما أقول لأمي عليها ترضي عني ولكهما لم ترد وظللت واقفة حاجزاً لي وحصنا مانعاً لعبورها ودخول البيت الذي كنت أدخله بترحاب شديد، رسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة بقول:

_ أهلاً يا باني...

_ مرحب يا خالد يا باني.. صوت جاء مخلصاً ومنجيًّا، أنه صوت عم يسري أبي فاضل.

دخلت لأبحث عنه فوجدهته جالساً في شرفة تطل على الشارع من الداخل يجلس على كرسيه الذي صنع من الخوص مريح في جلسته بعد وضع شلت إسفنجية خفيفة، جلست بعد ما سلمت عليه وجدته يصنع بعض الخليط من الأعشاب وإضافاته أمامه طاولة صغيرة ويضع بجواره زجاجات يملأ واحدة تلو الأخرى.

_ تشرب إيه يا خالد؟

_ لا شكر يا عم يسري... أنت بتعمل إيه؟

_ أنا بساعد فاضل في شوية تحضير للأعشاب

_ هو أنت كمان بتفهم في الأعشاب والعطور؟

ـ يابني أنت عارف عيلتنا اسمها إيه.. العطار، جدي الكبير محمود العطار كان فاتح دكان في بيتنا القديم، أبويا صالح الله يرحمه فضل في البيت ده ومرضيش يسيبه اتحايlena عليه كتير فاضل ومني كانوا دايما عنده، كان الدكان اسمه أبو صالح العطار كانت أيام يابني. افترش وجهي بالاندھاش وخلدي كان يعمل بشكل سريع أسرع من الصوت والضوء معًا محاولةربط تساؤلات كثيرة:

ـ عي ممكן اشوف مني؟

ـ وماله يابني مش مراتك تشووفها... بس لو وافت.

ذهب عم يسري داخل غرفة مني، سمعت صوت زقزقة الباب وغلقه، صوت مني يتعالي مع أبيها الذي يحاول إقناعها في الخروج، اقتربت من الباب ودلفت داخل الغرفة وهي وجهها للحائط وخصالتها الناعمة تتدلّى على ظهرها.

أبوها شعر بوجودي وعاد منسحبًا تاركنا وهي ما زالت تتحدث عن عدم خروجها وعدم رؤيتي، أردفت قائلًا لها:
ـ مني..

التفتت إلى مني وهي تلبس بجاية بيتي ترسم عليها قلوب حمراء داكنة، باغتتني برؤيتها ودموعها المتساقطة وبطنها الكبير والمتغير... مني حامل.. مني تحمل في شهرها الرابع أو ربما الخامس لا أدرى.

تبينت مكانى... وصوتها وهي تتحدث الذي لا أسمعه إلا مجرد صدى مموه غير مفهوم ودموع وضربات على صدري ودموع تتساقط حتى أخذتها في حضني لم أفق من غفلتي حتى الآن أحبسها بين أحضاني، تهافت ضرباتها على صدري، وما زالت أسيرة حضني، أجلسستها رفقاً بها،

ازدادت تمسكا بي، أنا لم أع ما حدث، أيعقل سأكون أبا؟.. تداعت الأفكار وتناشرت في رأسي لم أستطع التفكير تناثر كل شيء من حولي أصبحت منغمساً في عالم آخر مشاعر متداخلة فرح بمولود يحمل اسعي الأعبه وأدابه وتكلمه حياتي مع مني أصبح أمر واقع زهرة ستبتعد، يا لحكمة الأقدار التي دفعتني داخل أمواج عالية وأنا الآن لست بقططان ماهر دفعتني داخل الموج الذي يتعالى واحدا تلو الآخر في مركب ذي شراع صغير أكاد أغرق من ضعفه وخرقة باليه من القماش الأبيض لأواجه به تجاه الأمواج المتراصدة عازمة علىأخذ ثأر مني مني وتلطمني الأمواج يمينا ويساراً عقاباً على ما سأسببه من آلام لزهرة، أنا الآن في حيرة محسومة حيرة ليس بها اختيار.

اعتذر لها على تقصيرني.. ومسحت دموعها وبكيت فرحاً بمولود من ظهري، دخلت أمها مُرحبة بي وعادت مثل الزمن الفائت فقد منحها عذرها في معاملتي، وطلبت من مني بعد استئذاني من أبيها وأمها أنت تحزم أمتعتها حتى أعود فأنا الآن أريد أنا أرى فاضل، فقد اشتقت إليه، ولعل هذا السبب لم يكن كافياً لي، فهو الذي يرفع الحمل الثقيل من على كاهلي بعشبة سحرية تخرجني من مخاوفي وترد إلى ما قد سلب من عقلي، لقد علمت أن فاضل قد افتح دكان جده صالح الذي ما زال اسمه كما هو أبو صالح للعطارة، ولكنه أعطى له اهتماماً أكبر وديكور ولوحات مضيئة لعل العطارية أصبحت أكثر حيوية مما سبق.

اقربت من الدكان الذي يملؤه الإضاءات ووجده تغيير شكله كما تغير شكري كثيراً أصبح له شارب وشعره الخفيف الذي لا يخفى صلة وراثية في أول منبت شعره الأمامي، ولكنه طويل من الخلف ويلبس

ملابس بشكل أنيق كعادته وتقف الكثير من السيدات والبنات حوله وضحكاته التي تتعالى مع كل واحدة وابتسامته المرسومة لكل زبون يقف أمامه.

هذا هو مكاني لقد كان يكرر هذه الكلمة قديماً (أنا مكان في محل العطارة ده) بلاقي نفسي فيها وبحب تفاصيل أعيشها بلاقي أسرار الكون فيها.

اقترب منه وأردفت بابتسامة.

_ اهو أنت بقية مكانك يا عطار...

التفت إلى الصوت المباغت وارتسمت ابتسامة غير متوقعة منه حتى أظهرت أسنانه البيضاء
_ خالد... أخيراً حد شافك.

تعانقنا بعد دخولي محل العطارة الذي يقرب من بيت جده شوارع قليله فقط استطعت الوصول بسهولة من الناس فكل شخص يستطيع معرفة دكان أبو صالح العطار.

_ أنت طبعاً رحت البيت وطردوك وجايلي عشان أساعدك... كالعادة يا دكتور.

_ وانت عرفت منين أني رحت البيت؟

_ مش محتاجة ذكاء.. أنت تعرف منين أني هنا ولا حتى المكان.
ابتسمت له.

_ نص كلامك صح..

_ يعني ايه..

_ أنا رحت فعلا وصالحت مني.. مع أني مش عارف إزاي تبقي مني حامل
وانت متقوليش.

افترش الامتعاض وجهه وتركني من على كرسيه وأردف قائلا:
_ تحب تشرب ايه ..

بللت ريقني بماه كان قد وضع على الطاوله الخشبية.

_ أنا شربت ميه خلاص.. وعايز اشوفك يبقى اسئل.

وذهبتي وأخذت مني إلى عش الزوجية الذي أصبح منذ ذهاهها عش الطيور والكلاب والعقارب الزاحفة على الحوائط، أردفنا إلى الشقة وتغيرت ملامح وجهها المستدير من أثر الصدمة، أنه عش فقط ملابس أرضا وزجاجات مياه ملقاة في أركان الشقة، والأسوأ من ذلك عندما رأيت فرعون وألقى عليها سلامه، احتمت بظهرى صانعة مني درعا قوياً لهذا الوحش الأملس الصغير، وحاولت أن أعرفها عليه بكل هدوء ولكنها أبىت فحبست فرعوني في غرفة صغيرة ووعدهما أنه سيكون محبوساً إلى أن ترضى عنه، ورمقني فرعون بغضب وألقى كلماته أنه لن يرضي هو أيضاً بالعيش معهم، فقلت له ما المقصود بمعهم؟ فلم يرد على ودخل غرفته الصغيرة وأشار إلى عقارب الساعة المتسلية فطمأنته بأنه سيظل هو الحراس منهم، وفتحت له نافذة ليرى نجمات السماء والفراعنة القدماء فيها وكلاهم الهالوند.

* * * *

(٦)

هاتف يهتنز بجوار سرير مظلم يفتح نور الأبجوره الضابط حسن ويرد على الهاتف:

_ ايوه يا إسلام في إيه يابني أنت متعرفش ترن غير الفجر.. خلاص ماشي.. جايلك مسافة السكة.

القاهرة وسط البلد الساعه الخامسه صباحاً، وصل حسن نزل من سيارته أمام عمارة في وسط البلد، عمارة من مبانى وسط البلد العتيقة في الدور الخامس شقة (١) لصاحبها عدل المستكاوى رجل في أواخر عقده الخامس ملقى على بطنه الكبير ويفترش كرشه على الأرض منغمسمًا في سجادة تركية والدم يخضب رقبته وصولاً إلى كرشه المفترش تحته.

_ لا يوجد آثار عنف يافندم... قالها الضابط إسلام وأكمـل: وانت هتتفاجأ بالملوـمه اللي هتـعرفـها يا باشا.

_ خير يا إسلام اتكلـم على طول؟

_ أنت عارف مين ده...

_ آه عارف...!

تفاجأ إسلام من رد حسن بهذه الثقة.

_ ده صاحب مركز ال spa إيه اللي مات فيه الدميري.. تفتكرني سبت القضية يا إسلام تعدي ذي ما هما عاوزين. الباشا كلفني بالبحث وتكمـلة القضـيه لوحـدي الدـميرـي مـكانـش أي حد ده راجـل كان دـاخـل على بـرـمان وـكان هـيبـقي معـاه حصـانـه.

انهزم إسلام الذي ظن أنه معطيه معلومة مهمة.
_ تمام يا باشا... أنا كده عرفت ليه مدير المباحث كلفك بالقضية دي
مع أنها بعيدة عننا.
_ طبعا دي زي ما قولتلك قضية الموسم.
_ إسلام.. اجمالي كل المعلومات عن القتيل، كل حد يعرفه، ومتناش
كل المعلومات عن المجموعه اللي كانوا موجودين يوم موت الدميري
الحل هنلاقيه في ليلة حادث الدميري.
_ تمام يا فندم...

* * * *

لم يتعد أيام قليلة إلا وزهرة حاولت التواصل معي، حاولت تكررًا أن أخفى عن مني هذه المكالمات، ما زال الشك يراود مني تجاهي أو كما ظننت، أشتت انتباها بكلمات شعرت بها،أشعر بحركات أعصاها المستسلمة لي، وخفقان قلبه تجاهي، وأشعر برعشتها الداخلية عندما أصل إلى خط الدفاع وينهر المطر ليخفف حرارة الجو وتفيض مرة أخرى، عقد تنفسك واحدة تلو الأخرى معي يستسلم جسدها لي، وأصبح مرة أخرى كبير كهان معبد الفراعنة، ويحييني فرعون بنباح مطول وتكلته العقارب تسير في اتجاهها فهي راضية عنني بسبب عودة مني وكانت ولأول مرة ترن منها مني علقت على حائط غرفة نومي عليها كانت غاضبة مني بسبب بعدي عن مُنِي.

صحوت في ليل معتم تخفي فيه نجماتي المنيرة، لم ترسم في هذه الليلة علامات لأهتمي بها، لم توجهني كما تفعل كل يوم، كنت شديد الحيرة، بحثت كثيراً عن القمر فوجدته يختفي أو يختبئ بغضب شديد وراء الغيوم التي احتلت السماء، وفرعون يمرجح ذيله إلى أن وضعت له رقائق في صحن النحاسي جلست بجواره وهو يأكل بهم يأكل كآخر زاده ومع دقات الزمن أطلق نظره إلى الباب وأعطى لي إشارة وبعدها بثوانٍ أتت مني..

_ أنت بتعمل إيه عندك يا حبيبي؟

_ أبداً كنت بحط أكل لفرعون تلاقيه بقاله يومين مأكلش.

_ على فكرة أنا حطيت الأكل قدام الباب بس خفت ادخله.

ـ آه أنا شوفت الأكل وجبتهوله.. تعالى متخافيش.

اقتربت مني من الفرعوني الصغير الأملس ووضعت يدها عليه بحركة خفيفة من ظهره وصولاً لرقبته إلى رأسه وتركت يدها فساحتها بخوف، اقترب فرعون هو برقبته إليها، نظرت إلى بفرحة أضاءات أسارير وجهها ونظرنا إلى السماء جميعاً بظهور القمر الغائب بعد مرور السحب.. من نافذتنا وفككت طوق فرعون ليأخذ راحته في بيته مع ضيفته الجديدة مُنى.

وبعد مرور الليل..

ذهبت إلى زهرة دون علم مني التي سألتني إلى أين الذهاب فأخبرتها أنى ذاهب إلى العمل.. ولأنى لم أكذب فهو بالفعل عمل، مساعدة الآخرين أفضل الأعمال إلى الله هذا ما عقدت نيته.

خرجت وقابلتها ولكن هذه المرة في بيتهما.

وبمكالمة تلفونية وجدتها تقف بسيارتها قبل البيت وقالت لي اركب، صعدت السيارة وسألتها إلى أين الذهاب قالت:

ـ إلى مديرية أمن القاهرة.

ـ ليه حصل إيه؟

ـ عدلي المستكاوي مات في شقته وبيعملو بحث عن أي حد يعرفه وبابا وعدلي كانوا أصحاب، بابا كان دايماً لما بيقى قاعد في فيلتنا الموجودة في القاهرة مش بيسهر غير عنده كنت بسمعه بيكلمه في شغل كتير.

ـ مات ازاي؟

ـ راجل زي عدلي يموت بنفس الأعراض اللي سمعت عنها تقيئ دم...
يعتبر زي بابا بالضبط بيقى في أنا في الموضوع وأنا رايحة عشان اشوف التفاصيل.

حركت رأسي موافقا ولم أعقب على شيء، وجدتها ازدادت توبرا طلبت منها أن أقود السيارة مكانها فوافقت على الفور، ووصلنا بعد ساعة ونصف إلى مديرية أمن القاهرة، دلفنا إلى مكتب وجدنا اثنين ضباط تعرفنا عليهم وجلسنا طلبا لنا قهوة.

الضابط الأول حسن وهو بتعريفه لنفسه رئيس مباحث مدينة نصر، وكلف بهذه القضية لأنه هو من حرق في قضية الدميري ومساعده الضابط إسلام.

قال حسن:

ـ تعرفي عن عدلي المستكاوي إيه؟

ـ معرفش غير أنه صاحب بابا.. وكنت بسمع بابا بيكلمه في شغل.

ـ تعرفي إن المستكاوي كان صاحب مركز ال spa اللي بباباك مات فيه.

ـ آه أعرف يا فندم وهو ده اللي خلاني آجي لحضرتك بالسرعة دي، بابا مات بنفس الطريقه... اللي حضراتكم قولته أنه مات من غير شهادة جنائية.

تغيرت ملامح وجه حسن وقال بهدوء مصطنع وأشعل سيجارة، وأكملت زهرة في حديثها:

ـ أنا فحصت جثة بابا ولقيت آثاردم في أسنانه ولسانه، وأنا بتعرف على الجثة ومفتتحش الموضوع عشان بس بابا يدفن من غير تشريح. أردفت قائلا وأنا مستمع إلى الحديث:

ـ اظن معلومة زي دي مش هتعدي عليك يا حسن بيه.

ـ تغير ملامح وجهه حسن وافتresh الغصب وجهه:

ـ انتوا اتجننتوا ولا إيه انتو بتهمونا اننا بنتستر على مجرم هارب ودي شغلتنا اننا نقبض عليه.

وازداد الغضب في وجهه، ودم السجارة أمامه في طفافية وهي في نصف حياتها، تدخل الضابط إسلام لتهيئة الموقف ولنكمel الحديث، (الغضب يعد من دلائل الكذب وعلامات على الارتباط وإخفاء شيء ما)، انقلب الأمر عليه، حاول إخفاء شيء آخر بإشعال سجارة أخرى وببدأ في تهيئة نفسه وببدأ في النظر إلى الأوراق أمامه وهاجمنا بسؤال:

ـ حضرتك تعرفي إيه عن طبيعة شغل باباك يا دكتوره؟

عقدت حاجبها وخرجة زفيرها وقالت:

ـ الاستيراد والتصدير..

ـ ايوه كان بيصدر إيه وبيستورد إيه؟

ـ لا معرفش...

ـ شكرا ليكم تقدرو تفضلو...

خرجنا أنا وزهرة من مكتبه ولاحقنا الضابط إسلام مسرعاً: دكتور خالد.. وقفت ولكن زهرة أكملت السير، أعطاني رقمه الشخصي وقال يمكن أحتاجك، وتبادلنا الأرقام ولحقت بزهرة ونزلنا قالت: هنروح فين؟

ـ هنروح مركز الـ spa اللي حصل فيها حادثة بباباك.

ـ ليه؟

ـ دايما عشان نعرف حل العقدة نمشي مع أول خط اكيد هنلاقي حاجه هناك.

وصلنا إلى mediation spa الدور العاشر استقبلتنا بنت في منتصف العشرينات شعرها قصير يكاد لا يصل إلى كتفها: أهلاً بيكم كلمه قالتها ونحن أمامها. بدأت بالكلام:

ـ ممکن نشوف المكان؟

ـ للأسف يا فندم الحجز مقفل لظروف خاصة والمكان مغلق.

ـ انتي مش عارفة احنا مين. أنا الدكتور خالد في مأمورية خاصة طرف حسن بيه النجّار رئيس المباحث وأكيد انتي عارفة مين حسن بيه.
الاسم الذي لمحته يكتب على مكتبه.

ارتبتكت البنت قليلا وقالت:

ـ آه طبعا تحت امرك يا فندم.

نظرت إلى زهرة بتفاخر وأعطيتها إشارة باتباعي.

ـ ممکن تقوليلي المكان اللي توفي فيه محمود بيه الدميري؟

أشارت على غرفة في نهاية طرقة، مررنا داخل الطرقة، يمينا ويساراً
توجد غرف أفتح كل واحدة أرى سيرًا ويحاوطه طاولات وبها زيوت
ومعطرات جسم وغيرها مما يستخدمونها للتدليل.

أضواء حمراء متغيرة إلى القرمزى وموسيقى تبدأ تلقائياً في فتح كل باب
وصلنا إلى الغرفة المنشودة، ليس بها كل ذلك، طاولة وسط غرفة كبيرة
ويحيط بها كرامي ويتوسطها طفافية سجائير مقبرة جماعية ملأت بالطفلي
وأعواد سجائير كثيرة، وبار صغير به كل ما تفضل من الخمور وقوائم
تحيط مربع الغرفة بزيوت عطرية محركة شممها بدخولى الغرفة،
وبفحص الزيت وجدته له نفس الرائحة التي كنت أخذها من فاضل.

ـ لقد أخذوا كل الأدلة من هنا. قلتها ونظرت إلى جانب البار وجدت
زجاجة عطر فاخر، اقتربت وأخذتها ودسستها في جيبي وخرجنا مسرعين
وشكرت البنت، ورجعنا إلى طريقنا للعودة ظلت زهرة تحدثني عن سر
سرعتنا للخروج، قلت لها أني تذكرت شيئاً وسألت فتاة الاستقبال في

الخروج عن الكاميرات قالت أخذوها الشرطة وقاموا بتغريغها، عدنا
وشكرتني زهرة واتجهت مباشرة إلى فاضل في دكانه، وجدته جالساً على
مكتبه منغمساً في أرقام وحسابات وضعت الزجاجة العطرية أمامه على
مكتبه الصغير، نظر لها ثم نظر إلى بدھشة، تحرك بؤبؤ عينيه الداخلي
واتسع بفتحة بسؤال: تعرف العطر ده يا فاضل؟

ـ طيب سلم يا عم خالد الأول..

أمسكه بيده وفتح الزجاجة واشتمنها.

ـ آه ده العطر بتاعك اللي كنت بعملهولك... مالك يابني عرقان كده
ليه؟

ـ تعرف أنا جبتها منين دي؟

ـ أكيد من شقتك...

ـ لا يا فاضل أنا جبتها من مركز المستكاوي اللي مات من يومين مركز في
مدينة نصر..

نظر إلى: وإيه المشكلة في كده؟

ـ مش العطر ده معمليتوش لحد غيري؟

ـ لا أنت كنت تجربة وبدأت أصنعه واحتريت العلبه دي وعملت له
اسمه إنجليزي ذي ما أنت شايف وبعنته محلات عطور في القاهرة على
أنه مستورد بس كانت دفعه واحده ومعرفتش اعمل تاني عشان مش
فاضي وحسيت أني بكمب على الناس ففكرت اعمل محل عطور خاص
وابيعه فيه واسميه باسم جدي صالح.

ـ يعني مركز كبير اللي عطري الوحيد وتبقي صدفة.

ـ يابني مالك كده أنت بتفكر في إيه.

ـ مفيش... خلاص.

ذهبت إلى البيت وجدت مني التي رنت علي عشرات المرات منغمسة في النوم على كرسي في الصالة وبجواره الطعام الذي جهز منذ ساعات، أخذتها واتجهت إلى غرفة النوم وألقيت جسدي بجوارها وأخذت أمسك بعطرى الشفاف فتحته وأخرجت بعضا منه على يدي وجسدي متذكرا الرائحة، شممته على يدي رشت مرة أخرى وشممت وأخذت شهيقا عميقا.

* * * *

(٩)

بعدما تخللت رائحة العطر من شهيقي وغلبني النوم أو توفيت في ليلي
كما ذكر الله في القرآن:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرِسِّلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ
مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَكَرًا لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ الزمر: ٤٥﴾

لقد توفي جسدي ولكنني أشعر بطاقة تخللني تدخل جسدي وتخرج
روحى مني، شعرت بذلك كنت خائفاً هذه المرة باعتقدي أنه جاثوم
يومي يعذبني ولكنني أستطيع الحركة حررت جفوني لأعلى، أشعر
بجسدي فعلياً يتحرك تحرك برأسى لأعلى ولكن جسدي ثقيل حاولت
المساعدة بيدي وساعدتني قمت جالساً على سريري وبجواري مني
غارقة في نومها، وجدت فرعون يصدرنباحاً وهو يأتي إلى، لقد صحا من
غرقه هو الآخر أو الأرق قتله مثلي، جاء على مسرعاً ولكن شكله تغير إلى
الأرجوانى، يقف ولسانه المتلوي من بين أنبيائه وليس اللون فقط فرعون
أمسى طيفاً، طيفاً أرجوانياً لعل روحه خرجت منه وكيف لي برؤيتها،
أتى إلى كقطار فقد قضيابنه مسرعاً، ولأول مرة أخشاه، أتى يعانقني،
حاولت بإعاده بخوف دفعته بعيداً وجدته ارتفع إلى الهواء، لقد فقد
جاذبيته، حاولت أن أمسكه، ارتفعت أنا أيضاً معه، ازدلت ارتياها،
نظرت إلى نفسي فوجدت نفسي أنا أيضاً مثله مثل الطيف أرى الأشياء
من نفسي شكلي أصبح أرجوانياً، ونظرت على السرير فوجدت مني
نائمة ولكن الغريب وجدت نفسي أنا أيضاً. جسدي نائم.

ظننت لبرهة أنني من الأموات الآن، وهل مات فرعون معي؟ كنت أعلم أنه يحرسني وكان يحرس روحي أيضاً، كنت أراه يصحو مفروعاً أيام كثيرة كنت أظن أن كاهن المعبد الفرعوني عاقبه في حلمه على عدم قدرته على صيد غزال الفرعون المعمم، لم أدرك أنه فضل الموت معي بهذا الشكل.

تخطيت البيت وحوائطه بجسدي الأرجواني، لم تكن لي حواجز، خرحت في الخارج، نظرت إلى السماء ازدادت غرابتي اندھاشاً لقد اقتربت السماء، أنا أرى النجوم عن كثب متحركة منيرة لها شهب وراءها وكيان القمر العملاق لم أكن أعلم أنه شديد العتمة من داخله بهذا القرب، أو هكذا شعرت ملوكوت الله لقد سجنـت في هذا الجسد وقتاً كثيـراً لم أكن أعلم أنـي أستطيع رؤـية هذا الكـون عن كـثـب بهذا الشـكـل نـزلـت إـلـى جـسـدي الـذـي يـدـنـو وـجـدـتـه كـمـا هـوـ يـتنـفـسـ، لـمـسـتـ منـي فـلـمـ تـحـرـكـ، جـاءـتـنـي فـكـرـةـ ماـذـا لـوـ دـخـلـتـ فـي جـسـدهـا فـي عـقـلـهـا مـاـذـا سـيـحـدـثـ لـيـ وـلـهـاـ؟ـ بـيـمـا لـاـ أـسـتـطـعـ الخـرـوجـ مـنـ هـذـا جـسـدـ الـأـنـثـويـ الـبـضـ الجـمـيلـ، وـمـنـ الـمـكـنـ أـنـ أـمـوـتـ دـاـخـلـهـاـ وـلـاـ أـسـتـطـعـ رـؤـيـةـ اـبـنـيـ الـتـي تـحـمـلـهـ فـي بـطـنـهـاـ اـقـتـرـبـ أـقـرـبـ وـأـقـرـبـ، أـخـذـتـ الـقـرـارـ أـشـارـكـهـاـ فـي نـوـمـهـاـ، أـشـارـكـهـاـ أـحـلـامـهـاـ، مـاـذـا تـحـلـمـ مـنـيـ؟ـ اـقـتـرـبـ مـنـهـاـ أـكـثـرـ فـأـكـثـرـ، نـمـتـ مـكـانـهـاـ وـضـعـتـ قـدـمـهـاـ وـنـزـلـتـ بـجـسـديـ حـتـىـ وـصـلـتـ رـأـسـيـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ، وـحـيـنـهـاـ شـعـرـتـ بـدـوـارـ كـبـيرـ مـوـجـةـ مـنـ أـلـوـانـ الطـيـفـ مـتـشـعـبةـ مـاـ زـالـ الدـوـارـ مـسـتـمـرـاـ.

فتحـتـ عـيـنـيـ أـرـىـ أـنـيـ نـائـمـ فـي غـرـفـةـ قـدـيمـةـ وـسـرـيرـ حـدـيـديـ يـمـلـئـهـ الصـدـأـ وـمـرـتـبـةـ قـطـنـ مـصـريـ وـلـكـنـ تـبـدـدـتـ مـنـ مـنـتـصـفـهـاـ أـتـىـ إـلـيـ وـلـدـ صـغـيرـ يـقـولـ

لي هيا بنا ويمسك يدي، قمت معه ولكنني وجدت نفسي يداي صغيرتان
نظرت في مرآة محطم نصفها العلوي وهذا من حسن حظي، وجدت
نفسي فتاة صغيرة خمرية البشرة يجرني ولد يكبرني بقليل يقول هيا
لنرى جدو وهو يعمل.

_ تعالو يا حبايبي بتعملو إيه بقى.

رجل ذو لحية بيضاء أسمرا وجهه يرتدي جلباباً وملامح مصرية نوبية
بعض الشيء.

أعطى لنا الحلوى، وقال بصوت عال: اذهب يا فاضل وأحضر لي
العشبة التي أخبرتك عليها.

هذا فاضل نظرت إلى جسدي الصغير وهذه مني هذا الجسد لمني، هذه
ذكريات مني مدفونة داخلها.

ذهبت وراء فاضل فوجده يدخل غرفة ووجدت فتحة بباب مثقوبة في
أرضية الغرفة وخرج منها فاضل، نظر إلى وذهب، نظرت من فوق هذا
الباب المثقوب في أرضية الغرفة فسمعت صوتاً من خلفي، جد فاضل
يقول لي وهو يدفعني: أنت إيه اللي جابك هنا؟ وسقطت داخل الفوهه
المعتمة... سقطت مدوٍ على الأرض بجوار سيريري.

أفقت من هذا الحلم المدفون في أعماق مني وجدتها قد اسيقظت
وأحضرت الفطار وفرعون ينظر لي وكأنه يعلم كل ما حدث ليلة أمس،
ازداد عنقه ولعاقه هذه المرة فلن يستطيع الدخول معي في ذاكرة مني.
_ استنيتك كتير امبارح... أنت كنت فين... مردتش على تلفونك ليه
كده؟ قالهـا وعيناها ثابتـان على وكتـ أغسل وجهـي على حوض
الحمام.

_ أبداً كنت في المستشفى.. والزفت النبطشي مجاش اضطربت اقعد
مكانه..

وأنا أمسح وجهي بمنشفة...

- انتي عارفة شغل المستشفيات وقرفها.

_ وأنا هعرف منين يا دكتور... الدكاتره بس اللي بيعرفو...

هي تلمح بشيء بهذه الطريقة في الحديث، وقفـت أمام النار ووضـعت
غلاية القهـوة ووضـعت الكثـير منها بعد إضافـة بعض السـكر وغـلـيـتها معاً،
ظلـلت تـغـلي كـثـيراً إـلـى إـن وصلـت إـلـى الفـورـان الـذـي أـطـفـأـ النـارـ، أـتـتـ منـيـ
مـسـرـعـةـ وـضـعـتـ القـهـوةـ فـيـ كـوبـ كـبـيرـ وـأـعـطـتـنـيـ آـيـاهـ.

- اللي واخد عقلك يا دكتور..

انتـهـيـتـ.. إـيـهـ فـيـ آـيـهـ!..

_ لا أبداً مفيـشـ... كـنـتـ هـتـولـعـ فـيـنـاـ بـسـ وـبـعـدـيـنـ هـتـشـرـبـ القـهـوةـ منـ غـيـرـ
فـطـارـ؟

_ لا هـفـطـرـ طـبـعاـ وـضـعـتـ القـهـوةـ عـلـىـ بـارـ المـطـبـخـ الرـخـامـيـ وـالتـقـتـ بـعـضـ
الـلـقـيـمـاتـ مـنـ اـطـبـاقـ مـخـتـلـفـةـ وـبـسـرـعـةـ اـنـدـسـسـتـ فـيـ لـبـسـيـ واـخـذـتـ كـوبـ
الـقـهـوةـ شـرـبـتـهـ وـأـنـاـ أـلـبـسـ.

سألـتـ منـيـ عـنـ الزـجاجـةـ الأـرجـوانـيـةـ، أـجـبـتـ بـسـرـعـةـ وـبـثـقـةـ كـاذـبـ محـترـفـ:
_ رـحـتـ اـمـبـارـحـ بـعـدـ الشـغـلـ لـفـاضـلـ وـجـبـهـاـ مـنـ عـنـدـهـ.. مـقـدـرـشـ اـسـتـغـنيـ
عـنـ رـيـحتـكـ يـاـ مـنـيـ وـقـبـلـهـاـ عـلـىـ خـدـهـاـ فـيـ خـرـوجـيـ مـنـ الشـقـةـ وـوـدـعـتـ
فـرـعـونـ وـعـقـارـبـ السـاعـةـ فـيـ خـرـوجـيـ وـاحـكـمـتـ الـبـابـ خـلـفـيـ وـاـخـرـجـتـ
زـفـيرـاـ كـانـ مـحـجـوزـ دـاخـلـ رـئـيـ وـنـزـلـتـ.

لقد أخذت القرار بمعرفة ما يدور حولي بعد هذه التجربة، وأن ما حدث لي وأنه لشيء مرعب أن تدخل في أعماق ذكريات شخص أو من الممكن أن تتحكم في حياته لو استطعت معرفة تفاصيل يدفنه هو، ستساعدني هذه التجربة على معرفة أشياء جديدة، نحن صغار جدًا في هذا الكون الشاسع، والأحلام هي الملتقى الوحيد في فهمه، وكما قال فرويد (تفسير الأحلام هو الطريق الملكي لمعرفة أنشطة العقل اللاواعية..).

لقد بدأ التفسير من الآن وسأعرف كل الحقائق، سألت نفسي من أين نبدأ؟ جاوبني هاتفياً الضابط إسلام يرن:
ـ الوإسلام بيـه.. ازيـك... ايـوه.. اقدر اجيـلك... مفيـش مشكلـة ساعـة وهـبـقي عندـك...
ـ

كلمت زهرة قابلتها وذهبنا إلى إسلام الذي انتظرنا في كافيه بالقرب من ميدان الرماية... جلسنا على كراسٍ عاليٍّ غير مريحة في جلستها. جاءت قهوتنا على الفور بعد ما طلّمها إسلام... الذي ما زال محتفظ بجacketه الجلد. وبدأ بالحديث:

ـ طبعـاً بـتسـأـلـو نـفـسـكـمـ أناـ لـيـه طـلـبـتـ أـقـابـلـكـمـ.
نظرـتـ إـلـى حـرـكةـ عـيـنـاهـ تـجـهـ إـلـى اـعـلـىـ وـهـوـ يـتـحـدـثـ ولـكـ إـلـى الـيـسـارـ أـنـهـ يـتـكـلـمـ بـصـدـقـ.

من قواعد قراءة لغة الجسد (body language) (النظر إلى الأعلى في الحديث إلى اليسار يدل على صدق الحديث وأن ما يقوله من ذاكرته. أما النظر إلى اليمين فهذا يدل على اختلاق أفكار يفكّر بها الآن).

وأردف مكملاً حديثه:

- أنا عايز أعرف منكم أي معلومات تفيد قضيتك يا دكتوره زهرة.
- معلومات زي إيه يا حضرت الضابط... احنا مش المفروض اللي نعرف منكم نتيجة التحقيق في موت المستكاوي... قالتها زهرة بغضب.
- أشرت إلى زهرة وربت على يدها وتكلمت:
 - حضرتك عايز تعرف إيه يا إسلام بيه؟
- أنا شاكك إن في حاجه غلط في القضايا دي. قضية المستكاوي اتغللت والطب الشرعي قال إن مفيش أي شبهه جنائية.
- ازدمنا اندهاشا أنا وزهرة ونظرنا إلى بعضنا. وأكمل إسلام:
 - التقرير قال إن المدعو المستكاوي كان يتعاطي الكثير من الخمور والبراشيم المهدئة التي أحدثت له قرحة بالمعدة مما أدى إلى نزيف حاد وهبوط في الدورة الدموية أدت للوفاة، وثبتت أنه كان منذ أربعة عشر يوماً وهو في إعياء شديد.
- أخذ إسلام سيجارة من علبةه وأعطاني واحدة وأشعلنا النار بقداحة قضية وصنعنا سحابة دخان سويا فوقنا.
- يعني اتغللت القضية... قلتها بعد ما أخرجت زفيري المحمل بالدخان.
 - بالضبط... كده واتغللت...
- وبعدين بقى هنعمل إيه ... قالتها زهرة.
- في سروراء قفل القضية دي.
- تدخلت في الكلام بعد كلام إسلام.
- أولاً السردابيما في الطب الشرعي ثانياً دي غالباً سلسلة جرائم لشخص واحد.

- _ قصدك سفاح مثلا..قالتها زهرة ردت عليها.
- _ مش بالضبط كده..بس لازم نعرف مين اللي كان مع باباك يا زهرة وعدلي المستكاوي وايه طبيعة الشغل بينهم..وده كله مش هنعرفه إلا من خلالك يا إسلام بيه..
- نظر إسلام إلينا.. تمام.. أنا حاسس إن الموضوع ده وراءه حوار كبير بس المهم محدش يعرف أني قابلتكم.
- _ ممكن اسألك سؤال يا إسلام بيه.
- _ افضل.
- _ طالما القضية اتفقلت... أنت ليه مهمتم بهما... وليه اصلاً ممكن نصدقك.. مش يمكن انت..
- _ قصدك تقول.. مزقوق عليكم من حسن بيه صح...
- _ آه صح.. مثلاً يعني.
- _ وقصدك.. عايزة أعرف معلومات عن القضية وأوصلها لحسن بيه.
- _ متزعلش مني... هو ده اسلوبكم في الشغل...
- نظرت زهرة إلينا وعيوننا في حالة دفاع وهجوم وقالت:
- _ احتمال.. كل شيء بقى وارد في الزمن ده...
- نظر هو أيضًا لها وأردف:
- _ على فكرة أنا لو عايزة أعمل كده كنا عملناه في المديرية وأنا مش بحب الطرق دي في الشغل، ودي طرق حسن.. وأنا اصلاً مش مرتاح لحسن، والسبب أني بدور في الموضوع ده أني شاكك في حاجه وعايزأعرف الحقيقة لنفسي.
- _ شاكك في حسن بيه... قلتها بصوت منخفض.

- _ مش حسن.. حسن ما إلا أداة في يد حد كبير حد له مصلحة إن
القضايا تتغلب بالشكل ده.
- _ الموضوع طلع أكبر مما نتخيل يا إسلام بيـه.. نظرت زهرة إلى..
_ متقلقيش يا زهرة.. إن شاء الله هنلاقي حل وهجيبي حـكـ.
أردف إسلام بالكلام:
- _ خلاص لو حد وصل لحاجه يكلمنـي... قالـها إسلام واخذـ ما تبـقـيـ من
قهـوـتهـ واحـرقـ سـيـجـارـةـ أـخـرـىـ فـيـ خـروـجـهـ وـذـهـبـ
جلسـناـ أـنـاـ وزـهـرـةـ بـعـدـهـ. وأـرـدـفـتـ:
_ خـالـدـ... أـنـتـ مـصـدـقـ إـسـلـامـ دـهـ؟
- _ لأـ.. شـكـيـتـ فـيـهـ اـكـتـرـ بـعـدـ ماـ قـالـ الكلـامـ دـهـ... زـمـانـهـ بـيـعـملـ مـكـالـمـهـ
لـحـسـنـ بـيـقـولـهـ انـناـ مشـ نـاوـينـ نـسـكـتـ وـمـنـ هـنـاـ وـرـايـحـ لـازـمـ نـاخـدـ بـالـنـاـ
مـمـكـنـ نـبـقـيـ مـتـرـاقـبـيـنـ وـدـهـ عـادـيـ.
_ مـتـرـاقـبـيـنـ.. وـنـظـرـتـ حـوـلـهـ بـتـوـجـسـ...
_ آـهـ غالـبـاـ هـيـعـرـفـوـ تـحـركـاتـنـاـ مـنـ هـنـاـ وـرـايـحـ.
خرجـناـ أـنـاـ وزـهـرـةـ.. وـعـدـنـاـ مـنـ حـيـثـ أـتـيـنـاـ.

* * * *

(١٠)

مرت أيام لم أتذكرها، مرت مروء الكرام لم أشعر بها أصبح العطر الأرجواني الذي أريد معرفة ما المادة التي صنع منها هي مواد عطرة ومخدّرة أم ماذا، أخذت رشة منه على أنفي مباشرة، النوم غلبني إحسامي بفقد أعصابي هذه المرة تحديت نفسي أن أغلب النوم، تهـاوى جفونـي وأمنـعـها وأقاـومـ، كنت في شقـيـ وأجـدـها تـتـحرـكـ وـتـتـمـاـيلـ لـعـلـهـ زـلـزالـ، فـتـحـتـ نـافـذـتـيـ لـأـرـىـ الشـارـعـ وـجـدـتـ شـقـيـ فـقـطـ تـعـوـمـ فيـ بـحـرـ أـمـواـجـهـ عـالـيـةـ، اـزـدـدـتـ رـعـباـ منـ الـمـشـهـدـ بـحـثـتـ فيـ الـبـيـتـ عنـ مـنـيـ فـلـمـ أـجـدـهـ وـفـرـعـونـ لـمـ أـجـدـهـ، لـقـدـ تـخـلـيـاـ عـنـيـ وـلـكـنـ سـاعـتـيـ الـعـتـيقـةـ مـاـ زـالـتـ مـعـلـقـةـ، نـظـرـتـ لـهـ وـأـنـاـ أـحـاـولـ إـمـسـاكـ كـرـسـيـ خـشـبـيـ وـالـشـقـةـ تـتـأـرـجـحـ يـمـينـاـ وـيـسـارـاـ سـقـطـتـ السـاعـةـ مـنـ أـثـرـ أـمـواـجـ الـبـحـرـ الـعـالـيـةـ، كـسـرـتـ وـخـرـجـ مـنـهـ عـقـرـبـ صـغـيرـ، حـاـوـلـتـ أـبـتـعـدـ عـنـهـ وـلـكـنـ مـاـ زـالـ يـطـارـدـنـيـ، أـلـقـيـتـ عـلـيـهـ فـاظـاـ كـسـرـتـ وـكـانـتـ عـلـىـ الـأـرـضـ نـصـفـيـنـ، أـلـقـيـتـ عـلـىـ الـعـقـرـبـ الصـغـيرـ الـذـيـ اـخـتـفـيـ تـحـتـ هـذـاـ النـصـفـ مـنـ الـفـاظـاـ ظـنـنـتـ أـنـهـ مـاتـ وـلـكـنـ بـحـرـكـةـ الـأـمـواـجـ وـجـدـتـ الـفـاظـاـ تـتـحـرـكـ كـسـرـتـ إـلـىـ نـصـفـيـنـ نـظـرـتـ وـجـدـتـ الـعـقـرـبـ يـكـبـرـ وـيـكـبـرـ أـلـقـيـتـ عـلـيـهـ النـصـفـ الـآخـرـ مـاـ زـالـ يـكـبـرـ، حـاـوـلـتـ الـهـرـوبـ إـلـىـ غـرـفـةـ أـخـرـىـ الـمـاءـ اـزـدـادـ وـالـشـقـةـ تـغـرقـ، وـجـدـتـ الـعـقـرـبـ الـآخـرـ يـتـحـرـكـ مـنـ السـاعـةـ عـقـرـبـ أـكـبـرـ مـنـ الثـانـيـ أـصـبـحـوـ أـكـثـرـ مـنـيـ طـوـلاـ وـيـحـارـبـونـيـ بـذـيلـهـمـ، سـمـعـتـ صـوتـ نـبـاحـ كـلـبـيـ وـنـظـرـتـ مـنـ النـافـذـةـ فـوـجـدـتـ مـوـجـةـ عـالـيـةـ تـتـعـالـىـ، الـزـمـنـ تـوـقـفـ فـقـدـ كـسـرـتـ السـاعـةـ، الـمـوـجـةـ تـتـعـالـىـ وـالـعـقـارـبـ تـطـارـدـنـيـ وـصـوتـ النـبـاحـ يـقـبـرـ، وـجـدـتـ

فرعون يقف أمامي مدافعاً عنِي من العقارب، بدأ بحجم كبير ويكبر
ويعلو طوله بدأ يحارب العقارب، والعقارب تضرره بلدغات ذيلها
والموجة ما زالت تعلو البيت يتماوى سقف الشقة انتزع من تيار هواء
قوى قطرات الماء تغرقني الموجة اقتربت أمسكت بعود حديد قريب من
النافذة المياة تتدفق وانقلب الموجة علينا أغرت البيت وانغمست
تحت الماء وأغلقت عيني وغرقت وغرقوا معِي العقارب والفرعون
المحارب وانغمستنا جميعاً في عمقِ المحيط.. صوت مألهف أسمعه، هل
أنا ميت الآن وسأحاسب على تصويري.

عيناي مغمضتان جفون ثقيلة ثقل الجبال. ما زال الصوت ينادياني.
أقول لنفسي دعوني أعمل صالحًا فيما تركت، لقد فاتتني صلوات،
لقد شربت السجائر بسبب هيثم الذي بدأ بإعطائي سجائر أموات، لقد
اقترفت الكثير من العصيان، دعوني أعمل صالحًا فيما تركت، تذكرت
أنني لم أقابل عزرايل، لم يقبض روحي ولكن غرفت أنا وكلبي
والعقاب العملاقة، سمعت نباح فرعون بجواري، هل الكلاب
ستحاسب معنا؟ لا. حركت جفوني المثقلة وجدت مني وبحوارها فرعون
ينادياني ومني تحاول أن توقظني.

ـ الحقني يا خالد... وهي تبكي دموعها تساقط على الحقني..
ظننت أنني مت بالفعل وهي تبكي ظنا على موتي.

ـ في إيه يا مني؟

ـ فاضل اتقبض عليه...

ـ فاضل متهم بجريمة قتل... قوم الحقني...

* * * *

(١١)

خرجت أنا ومني بعد توصيلها لبيت أبيها وتركتها بعد فك كلام شاتها المكونة من خمس صوائح فكانت متمسكة بالذهب مع لرؤيه فاضل. انتزعت معصمي الذي ازداد زرقته يرسم خمس صوائح ناعمة عليه، وأخرجت أحرق سيجارة محلية في نهار غابت الشمس إلا من تسلل خفيف لشعاعها، نبض هاتفي برنة التققطه بعد ما وجدت زهرة لم تتحدث كثيرا.

وجهت لي تهمة في إخفائي حقيقة صاحبي فاضل أنه القاتل الحقيقي للمستكاوي وهذا أكبر دليل على قتل والدها، وأغلقت الهاتف دون أن تسمع مني أي دفاع.

ضغطت على اسم الضابط إسلام واتصلت به:
ـ إسلام بيـه... ممـكن تعرـفلي فـاضل فيـن... عـندكم.. تمام شـكرا أنا جـاي...

أغلقت الهاتف واسقلت سيارة أجرة وانتظرت إلى الوصول.
ما زال شعاع الشمس الذي يتسلل من بين السحب، أتذكر فزعني وأنا أغرق في محيط مالح ملوحة ندرات البوتاسيوم وكlorيد الصوديوم لتصل ملوحته إلى ٣٥ كجم.. جسدي المتهوى هذا، الضعيف، الهزيل، غير المرجو منه شيء، لن يتحمل إن حبسـت في أحـلامي.

فاضل لم يقتل هذه هي الحقيقة، إنه مـسالم، دائمـا كان كذلك، الشـاب الذي يـكـد ويـسـهر لـيـسـاعد نـفـسـه وأـهـله عـلـى العـيـش فـي بلـاد اـنـفـضـت فـيـها الـبـطـالـة ثـارـة عـلـى وجـوه الشـابـات حـبـوب بـقـع تـعـرـفـهـم

بسيماهم من كثرة الجلوس على المقاهي أملأً في انقضاء يوم، وقع على الطاولات الخشبية من نرد ألعاب الطاولة، والدومنة ليفوز أحدهم والآخر يحمل على عاتقه حمل جديد وديون المقهى التي لن تسدد إلا بطرده من ملجهه الوحيد فيكون مضطراً إما ليقترب من أحدهم أو والديه الذين ينتظران منه أن يحمل معهم هم هذه الدنيا والعيش فهما، أو يلجأ لأن يجلس عنوة على صاحب الملاجأ الوحيد الذي يدمر الوقت المتبقى له في حياته، أو يفعل مثلما يفعل فاضل وغيره يكسر عن أنيايه لهذه اللعنة التي تمسي وتصبح تلتصق بهم كالتصاق جرثومة المعدة (H. Pylori) في جدار المعدة التي لا تخرج إلا بقرحة أو آلام مزمنة لعل هذه الآلام أصبحت هي وسيلة فعالة لخروج أرواحنا عن المعتاد للننظر للأمور بشكل مختلف.

وصلت إلى القاهرة. مديرية أمن القاهرة.

لم أشك في وجود زهرة هناك، لم تنتظر فهي على أحر من الجمر في معرفة حقيقة قتل أبيها، أو مثل ما تعتقد أنه قُتل رأيتها منتظرة نتيجة التحقيق مع فاضل، انتظرت قليلاً بعد اتصالني على الضابط إسلام.. وخرج فاضل مكبل اليدين ليس على وجهه غير الهدوء التام والغريب أنه هو الذي طماني حين أردف:

- لا تقلق يا صديقي هذا فوران قهوة تركت على نار هادئة، قالها بخطوات ثابتة بحكمة بالغة، وأخذه العسكري الذي يتشارك معه هدية الأسوقة الحديد الفضية.

نظرة زهرة إليه ولم تعقب لعل الفوران الذي يتحدث عنه فاضل أصاها في أعلى رأسها، أصاها غليان ودخلت إلى حسن بيه وإسلام.. وفي

دخلونا رحب بنا إسلام... أما حسن فبدأ بإشعال سجائره التي لا تنتهي وأمامه مقبرة سجائر جماعية تتعدى ألف سيجارة.. أرددت زهرة بهدوء مفتعلة:

ـ ممكن أعرف وصلتو لايه يا حضرت الضابط؟

لم يتحدث إلا إسلام: بعد إذنك يا حسن بييه. احنا بعد البحث في أي حد كان يخص عدلي المستكاوي وجدنا إن فاضل. كان له علاقه به.

نظرت بدهشة إلى إسلام الذي يتحدث وتذكرت زجاجة العطر التي وجدتها في المركز والتي نفي فاضل معرفته بوجودها، وأكمل إسلام بييه:

ـ وكمان بعد التحريات عرفنا إن فاضل اتخانق مع عدلي ده يوم موت محمود باشا الدميري والدك يا دكتوره، كده بيقي لازم نعرف إيه سبب الخناقه ولان فاضل بينفي أي معرفه مش عاوز يتكلم خالص. ووريانا

صوريه في الفيديو وبيكول مش أنا

تدخلت على الفور في كلامه:

ـ ممكن اشوف الفيديو يا إسلام بييه بعد اذن حسن بييه طبعا.

حرك حسن رأسه نفيا واعتذر إسلام بقول:

ـ دي ادله ومنفعش حد يطلع عليها اسف يا دكتور خالد.

ووجه رأسه إلى زهرة التي ظلت صامتة دون تحدث:

ـ يبقى كده يا دكتوره لو فاضل متهم يبقى متهم بجريمة قتل المدعو عدلي المستكاوي مع اننا إلى الآن لم نجد دليل واضح وطبعا لسه هنكشف عن الفيديو لتأكيد أنه فاضل بالفعل.

ـ شكرنا يا فندم... قالتها زهرة وخرجت إلى الخارج وخرجت وراءها، التفتت زهرة بعد سماع صوت الضابط إسلام مناديا ووقفت:

- لو تقدري تعرفي لو في أي علاقه شغل يربط التلاتة؟

سأله في تبرم:

ـ قصدك مين من التلاتة؟

ردت زهرة بامتعاض كاد يقتلني:

ـ بابا وعدلي وصاحبك فاضل.

ـ صاحبك! قالها إسلام بفترة ونظر إلي: هو فاضل صاحبك؟

ـ آه صاحبي... وأكيد بريء أنا أعرف فاضل اكتر من نفسي عمره ما يأدي حد.

نظرت زهرة بغيظ شديد وتركتنا، ذهبت إلى فاضل أعطيته فلوس بقسمة العدل فكان لدى أربعمائة جنيه وهذا ما تبقى لدى واشتريت له أكل غير العيش والحلوة المعروفة لدى السجناء، وحاوت فك صمته بمفتاح لسانى الذي تكلم كثيرا بجواره فلم يجب بشيء تركته ونزلت.

وأنا أحاول أن أستقل سيارة تأخذنى لأقرب موقف وجدت سيارة زهرة تومض لي من الجانب الآخر، نزلت من سيارتها وقالت بعد اقتراها مني أمام نور السيارة:

ـ خالد أنا اسفه.. أنا مش عارفه أنا بعمل ايه.. أنا عارفه إن فاضل حد كويـس.. بس مصدقـتـش نفسي بعد ما عرفـتـ أـنـهم قبـضـوـ عـلـيـهـ.

ـ معلشـ أيـ حدـ مـكانـكـ هـيـعـملـ كـدهـ.. إنـ شـاءـ اللهـ نـقـدرـ اـسـاعـدـكـ وـنـقـدرـ ثـبـتـ بـرـاءـةـ فـاضـلـ.

ـ دـهـ لـوـ كانـ بـرـيءـ.. أـنتـ طـيـبـ اوـيـ ياـ خـالـدـ وـالـلـهـ..

ابتسمت لها وذهبنا أنا وهي.. نبض هاتفي برنة أخرجتني من شرودي في السيارة وأنا سائقها... الدكتور أبو القاسم دكتور الطب الشرعي..

كان يطمئن علي، كان يحبني وأرسل لي سلام هيثم مكلم الموتى، وانتهت فرصة مكالمته مع الدكتور أبو القاسم لمعرفة الجيدة بالمشارح وما يعمل بها وسألته عن معرفته بأي دكتور يعمل في مشعرة القصر العيني. بعد تفكير ثوان قال لي: دكتور أبو السعود، وتأكد لي أنه موجود بالفعل هناك الآن.

ذهبت أنا وزهرة التي تركتني أدخل بمفردي خوفا من المشرحة. دلفت بمفردي وحيداً ليست المرة الأولى لي، تذكرت ارتطامي بالأرض مع دكتور أبو القاسم.. وهيتم مكلم الموتى.. الشيخ الذي حدثني عن نفسه. خفقان القلب.. تعرق في شهر نياير الشمس اختفت وسلمت النبطشية إلى القمر المعتم ذي قلب أسود، النجوم ترسم فوق علامات تنهاني عن الدخول، تكتب في السماء لا تدخل.

دلفت إلى عسكري حراسة سأله على دكتور أبو السعود فأخبرني أنه موجود في الداخل، دخلت إلى المبني العتيق حوائط عتيقة، يرجع بناء القصر العيني الذي ينسب إلى شهاب الدين أحمد العيني الذي أنشأه سنة ١٤٦٦. وتحول إلى مستشفى في عهد محمد على باشا سنة ١٨٢٧ بعد الحملة الفرنسية وقد دفن كليبر في حديقته بعد ما أراحه الشجاع سليمان الحلبي ببعض الطعنات التي أراحت جثمانه في حديقة هذا القصر وأخرجها الفرنسيون في جلائم عن مصر سنة ١٨٠١.

لم أتذكركم ممر مررت منه وكم غرفة ناديت فيها وأنا في قمة الخوف، دكتور أبو السعود وووود ما زال الصوت يتتردد في أرجاء المكان.
_ أنت مين؟ ووضع يده على كتفي... انتفضت فزعاً وتماسكت.
_ أنا دكتور خالد.. دكتور أبو القاسم كلمك من شوية..

_ آه أهلاً دكتور خالد.. دكتور أبو القاسم أستاذنا كلنا... تعال يا دكتور خالد.

شاب في منتصف الثلاثين... ولكن فقد شعره بصلة لم أستطيع تحديدها فهو يحلق شعره كله ويترك ذقنه بشكل تدريجي مهندم. أمشي وراءه يلبس بالطو أبيض وتحته بدلة جراحة كحلية، الجسم المشوق يعطي ثباتاً في مشيته والقلب الجريء يعطي اختياراً في تخصص مثل الطب الشرعي والتشريح الدقيق.

_ افضل يا دك... قالها وكأننا أصدقاء منذ زمن جلست في غرفة صغيرة وأمامنا شاشات كاميرات وزجاج عازل الصوت ويظهر غرفة التشريح أمامنا نراه من الزجاج أتى بمشروب ساقع من ثلاثة صغيرة وقال:

_ خيراً يا دكتور خالد؟

_ خيراً إن شاء الله.. أخرجت سيجارة من جيبي واعطيته واحدة فقبل الهدية.

- تعرف معلومات عن حاله اشرحت عندكم هنا اسمه عدلي المستكاوي؟

تغيرت ملامح وجهه قليلاً... وأعطى لي نظرة مطولة ثم قال:

_ وده يقريلك ايه... يهمك في إيه؟

_ صاحبي مسجون متهم في قتلـه... وأنا متأكد أنه بريء.

_ أنت متأكد إن صاحبك بريء ولا متأكد أني عدلي اقتلـ؟
صنعت بدخاني دوائر من الدخان.

_ قصدك ايه..؟ يا دكتور.

ـ بص يا خالد.. عشان اريحك.. أنا مش هقدر اديك أي تقرير غير اللي
وصل المباحث.. اللي هما عاوزينه بس.

ـ مش فاهم حاجة.. يعني المستكاوي مات ازاي؟

ـ المستكاوي.. علاماته أنه مات مسموم.. بس السم من نوع بيفضل في
الجسم فتره مش بيموت على طول بيقعد من يوم لاربعة عشر يوم ده
كلام معمل السموم بعد ما سألت عليه ولكن الموت بيحصل خلال ٤٨
ساعة.

ـ إيه نوع السم زه يا.. دكتور.

ـ اسمه ريسين .. RCA

ـ ريسين!:! لعلى لم أسمع به من قبل. وانت وصلت لكل ده ازاي...

ـ من مركز السموم وعرفت أنه مات بالسم ده وكتبت في تقريري. بس
للأسف التقرير اتبدل بتقرير تاني ومضي دكتور تاني عليه مع العلم أنني
أنا اللي شرحت الجثة.. الفساد يا خلود وفساد متغلغل فينا.

الريسين ده يا دكتور خالد بيأثر على الجسم بشكل غريب هو بيمنع
تكوين البروتين في الجسم ويعتبر سم الريسين أكثر سمية من سم
(الكويرا) بمرتين، أنت متخيل.

عرفت كمان إن أعراضه على حسب طريقة أخده.. يعني لو واحد شربه
فده غالبا هيموت بقيئ دموي زي ما حصل ما اخونا عدلي. لو اتحقق
بيه ده هيستغل بصوره كامله على الدم وفقد البروتين اللي هيحصل
لنفس نتيجة القيئ الدموي، ولكن لو استنشقه عن طريق شمه سواء
حرق ودخان أو أخذه في صورة بدراه ده غالبا هيحصل تلف للرئه

ويحصل (تجمع ميه وممکن دم لو حصل نزيف داخل الرئة)، يعني يبقى المريض بالسلامة * وأردد مكملاً حدثه:

- اعتبرني مقولتش حاجه أنت عشان جاي من طرف الباشا بتعنا مكنتش هتق فيك.
وبالمناسبة أنا اسمى محمود أبو السعود بس أبو القاسم بييه بيعب يدلعننا..

- شakra يا دكتور محمود... تركته وازداد القلق وخلدي أصبح مشوشًا
أحاول أن أرتّب معلوماتي لا أستطيع.
الدميري.. والمستكاوى... ماتا بنفس الطريقة.
مسومين... المباحث مش عايزه تستغل وتقفل القضايا..
في طرف مش ظاهر... طرف تالت... ولو فاضل مشترك معاهم يبقى طرف رابع..

رجعت إلى زهرة وركبت السيارة واتجهت من حيث أتينا..
زادت أسئلتها.. وأنا زاد صمتي... كنت مثل طائر الصقر الذي يعلو ويعلو
ويسير بين السحب تحدثني زهرة صوتها يصبح تردد صوت صدي
يتكرر داخلي أفكري فيربط الخيوط كنت أريد أن أساعدها ازداد
الصمت، أوصلتها وتركتها هي وسياراتها وأخبرتها أنني ذاهب إلى بيتي فأنا
متعب وإن حدث جديد سأبلغك على الفور.

* * * *

(١٢)

لم أستطع الذهاب إلى البيت بهذه السهولة، لن يرتاح لي بال ولن تغمض عيني من كثرة التفكير في الأمر، وكما أوضع في مشاكل متكررة في حياتي دون علمي حتى.. الآن أنا لن أستطيع التفريط في صاحب عمري بين أيدي الشرطة، لا بد من معرفة الحقيقة أنا أظن إن فاضل لا يكذب ولماذا.. فهو بعيد كل البعد عن هذا المستكاوي أو حتى ذاك

الدميري، فالذي يجب أن يتم بـهذا الأمر هو أنا...

ونقرأ في صفحة الحوادث.. دكتور شاب في مقتبل العمر أحـبـ فـتـاةـ

فـوـقـ فـأـمـامـهـ أـبـوـهـاـ فـقـتـلـهـ بـسـمـ لـنـ يـعـلـمـ مـصـدـرـهـ أـحـدـ...

خـرـجـتـ مـنـ شـرـودـيـ وـجـدـتـ نـفـسـيـ أـقـفـ أـمـامـ بـابـ بـيـتـ فـاضـلـ الـقـدـيمـ..

هـذـهـ هـيـ الـوـجـهـةـ الصـحـيـحةـ لـهـذـاـ الطـرـيقـ.

الـبـداـيـةـ دـائـمـاـ فـيـ أـسـرـارـ هـذـاـ الـبـيـتـ،ـ بـيـتـ العـيـلـةـ مـاـ تـرـبـيـ فـيـهاـ فـاضـلـ وـمـنـىـ،ـ

وـتـمـسـكـ جـدـهـمـ صـالـحـ بـوـجـودـهـ هـنـاـ بـهـذـاـ الشـكـلـ.

فـتـحـتـ الـبـابـ بـعـدـ أـخـذـ مـفـاتـيـخـ فـاضـلـ كـانـ يـخـفـيـهـ بـيـنـ قـضـبـانـ حـدـيدـهـ،ـ

رأـيـتـهـ يـوـمـاـ وـظـنـنـتـ بـحـدـسـيـ أـنـهـ سـتـكـونـ مـوـجـودـهـ،ـ الـبـيـتـ الـذـيـ هـوـ الـآنـ

لـيـسـ إـلـاـ مـخـزـنـ مـنـ الـأـعـشـابـ الـتـيـ تـمـلـأـ الـمـكـانـ رـوـأـيـهـ مـخـلـفـةـ تـفـوـحـ فـيـ

دـخـولـيـ تـتـخلـلـ أـنـفـيـ مـاـ زـالـ الـبـيـتـ كـمـاـ هـوـ مـنـذـ دـخـولـيـ أـنـاـ وـمـنـيـ.ـ أـصـبـحـ

مـخـزـنـ لـأـعـشـابـ فـاضـلـ.

فـتـحـتـ الـغـرـفـةـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـ مـنـتـصـفـ غـرـفـتـيـنـ نـفـسـ الـكـرـسيـ الـجـلـديـ

الـكـبـيـرـ الـذـيـ يـتـوـسـطـ الـغـرـفـةـ يـسـكـنـهـ الغـبـارـ وـتـشـابـكـ عـلـيـهـ خـيـوطـ

الـعـنـكـبـوتـ بـشـكـلـ دـائـيـ مـتـشـعـبـ لـمـ اـجـدـ فـيـ هـذـهـ الـغـرـفـةـ شـيـءـ جـدـيدـ

وعن يسار الباب غرفة أخرىرأيتها بعد خروجي باب خشبي عتيق يرجع تاريخه قرن من الزمن مضى، فتحته بصعوبة لم يكن اللمنبه النيون المعلقة تعمل أخرجت كشافي الهاتفي وجدت سرير حديدي صدأً وعليه مرتبة قديمة، لقد رأيت هذا المشهد في حلمي اقتربت من السرير نفس تفاصيل المرتبة المتهالكة من الوسط تذكرت شيء التفت عن يميني وجدت المرأة المحطم نصفها العلوي لم أستطيع هذه المرة رؤية وجهي شعرت بدوار عندما جثوت على ركبتي لأرى نفسي لأتتأكد أنني هنا ولست في حلم استقمت واقفاً تذكرت الطفل فاضل وهو يجرني إلى أول غرفة بعد طلب جده بإحضار العصبة.

دلفت إلى أول غرفة الموصدة التي أحذثت صريراً في فتحها بعد كسر قفل صغير بقطعة حديدية وجدتها في المطبخ أو الذي كان كذلك، فتحت باب الغرفة، بها كثير من المتعلقات والأواني القديمة وأكثراها فخار فاخر يغطيه أتربة عظيمة، أنارت لمبة نيون بعد ضغط على زر أبيض تذكرت ما رأيته.. أسرعت على مكان الفوهة المعتمة التي سقط فيها وجدت أخشاباً متناثرة رفعتها حاولت البحث عنها فلم أجدها.. تحدثت نفسي:

- انت اتجنت ولا إيه يا خالد حلم إيه بس اللي هعطيك معلومه أنت مش عارفها علمياً ده كلام مش صح.

الأحلام بت تكون مننا داخل أعماقنا من طفولتنا ولا من حيواتنا اليومية، أكيد ده كله مجرد هلاوس وكنت قد جثوت على أرضية الغرفة المتراسة بأحجار قديمة بشكل متواز صانعة شكل فرعوني قديم لا أعرف مصدره، وهمنت للخروج وفي حركة وقوفي وجدت حجراً

يتحرك، حركته من مكانه تحرك معي، أزلته من مكانه فوجدت مقبضًا حديديا حاولت رفعه كان ثقيلاً جدًا، رفعته بعد معاناة، سحبت كل كلامي مع نفسي منذ قليل، اعتذرت لي نفسي على عدم إيمانها بي، تيقنت أنني دخلت في عمق مني دخلت لاوعي دفن منذ زمن سأدخل إلى هذا القبو لعلي أرى ما يفيدني تجاه فاضل.

بعد رفع هذا الحمل من الباب الحديدي، دلفت وكانت يداي تسقني بأضاءة كشاف هاتفي يفترش النور منه ما زلت لا أرى شيئاً نظرت به إلى أسفل وجدت درجاً حديدياً صغيراً وضعت أولى قدامي عليه بترقب شديد وخفقان القلب بدأ في صناعة سمفونية شديدة التردد، نزلت الدرج ممسكاً والخوف ما زال يحاوطني وازداد عند نزولي داخل القبو المутم، أخرجت زفيري يصبحه سعال ظل دقائق معدودة توقف عند رؤيتي لمفتاح كهربائي أسرعت إليه وفي اتجاهه تعرقلت في أشياء متشرقة في الأرضية وضوء الكشاف ضرب نوره في السقف، استقمت وأخذته وضغط عليه لتضيء لمبة نيون صغيرة تخرج نوراً خافتًا.

نظرت حولي بزاوية ٣٦٠ درجة.

رأيت شعارات قديمة والعناكب تصنع فيها خيوط متشابكة وضعت هذه الشعارات الزيتية منذ قديم الأزل.

توسط القبو الكبير بحجم الثلاث غرف العلوية مائدة خشبية متخصمة بالبرطمانات لا أعلم كيفية نزولها في هذا القبو بهذا الحجم فباب القبو لا يتعدى ١٠٠ سم.

ما زال كشاف هاتفي يعمل فالإضاءة خافتة لا أرى التفاصيل كاملة.

ووجهت نوره على الحائط الموازي لفتحة القبو فوجدت خنجرًا مزركشاً قديم الصنع معلقاً على الحائط وبدنه صورة لشخص بدوي في زيه وأخر يلبس جلباباً مثل جد فاضل الذي رأيته في منامي ويصافحان بعضهما البعض وابتسمامة مملوءة وجوههم السمراء وأسنان ناصعة البياض تظهر فرحة بشيء لا أعلم.

ووجدت في هذه الصورة المعلقة كلمات امتنان أو لعلها تذكرة شكر وتقدير لأبي صالح العطار.

وامضاء باحترافية باسم يكتب بالرقعة.. حمد باشا الباسل.. أخذت الخنجر يده خشبية ومرصع بمقبض حديدي فضي ومزكش ببعض الرسومات التي تعطي لصاحبة هيبة في حشره في خصره كما أراه في صورة البدوي الذي في الصورة.

بجوارها لوحة بيضاء توصلتها خبر من جريدة وصورة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق أوباما.

تاریخ في ٢٠١٣/٤/١٧ م هذا اليوم أعلن مكتب التحقيقات الفدرالي (FBI) أن الرسالة المشبوهة التي وجّهت إلى الرئيس الأمريكي باراك أوباما تضم مادة الرئيس السامة.

وأكمل الخبر أن هذه المادة جاءت في رسالة ورقية موجهة إلى الرئيس بعد الفحص قد اكتشفوها، وأكمل الخبر عن مصدر الرسالة إرهابيين... إلخ.

تذكرة على الفور كلمات دكتور محمود أبو السعود عن موت المستكاوي بمادة RAC هي هي نفس المادة.

لقد حاولوا أيضًا قتل الرئيس أوباما ذلك الرئيس الأسود الذي أطاح باللون الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية، لقد تغير وجه العالم منذ صعود هذا الرجل صاحب البشرة السوداء، لقد انتهت العنصرية واضطهاد السود في هذا المجتمع ولم يتركوه، حاولوا قتله لتنتعش مرة أخرى العنصرية والتنمر تجاه هؤلاء أصحاب اللون الأسود.

ووجدت أيضًا على اللوحة المعلقة على الحائط صورة محمود الدميري وعليها علامه (x) وخط يكمل بشكل دائري وصولا إلى صورة المستكاوي وعليها أيضًا نفس العلامه (x) وأكملت السير بالدائرة بصورة شخص لا أعرفه وليس عليه أية علامه وتستمر الدائرة بصورة فارغة ليس بها شخص وغلقت الدائرة.

هذا يعني أن فاضل هو بالفعل القاتل الحقيقي هو المدبر لهذا الموت كله، وما الأسباب والدوافع التي جعلت منه مجرما؟
لا أصدق ما تراه عيني.

معنى وجود علامه إكس على الشخص أنه قتله، ومعنى عدم وجوده على صورة شخصين أحهما هما الهدف الجديد.
لقد قبض عليه في الوقت المناسب.

أخذت الصور التي تظهر شخصا فيها وصعدت مسرعاً من القبو ومن ثم أغلقت أبواب المنزل العتيق هذا الذي أصبح مفسداً في الأرض وأسراره.. خرجت لم أعلم بما حولي لا أدرى إلى أين الذهاب... أخرجت هاتفي طلبت زهرة فلم تجب، لعلها نامت، ذهبت إلى بيتهما في هذا الوقت من الليل.

لم أجد أحداً يجلس بجوار الباب الحديدى العملاق الموصد بسلسلة حديدية وقفل، أمسكت السلسلة أحذثت صوتاً في احتكاكها مع الباب، خرج عم إسماعيل الذي يجلس داخل غرفة صغيرة بجانب الباب وهو يقول: مين هناك؟ أنت مين وعايز ايه؟ وهو يهرس عينيه بقبضة يده ليمسح آثار نوم.

- دكتور خالد... افضل يا باشا... وفتح السلسل.

- ازيك يا حاج إسماعيل.

- الحمد لله يا دكتور.. محدش بيشفوك ليه؟

- موجود اهو... هي دكتوره زهرة هنا؟ وأطلقت نظري مكان السيارة وجدتها موجوده.

- ايوه موجوده.. بس شكلها نامت يا دكتور طالما النور اللي فوق ده مش منور يبقى نامت.

أخرجت الصورة التي معي..

- تعرف مين ده يا عم إسماعيل؟

أمسك الصورة بيده، اقترب من ضوء يخرج من غرفة الصغيرة منسابة على الأرض. حاول التركيز وهزلي رأسه نافياً:

- مش عارف يا دكتور حاسس أني شوفته قبل كده... بس فين مش عارف.

تركته وذهبت.. وفي ذهابي سمعته ينادي... دكتور خالد.. يا دكتور خالد... تعال. رجعت وجدته يقول: الدكتورة زهرة شكلها صحيت أهي النور نور. يا له من مراقب جيد لتفاصيل حياتك يا زهرة يعلم بنومك وصحوتك، يعلم بخروجك وبقائك الجميع يذهبون إلا هو.

بعد رجوعي نبض هاتفي مرة أخرى باسم زهرة فاعتذرت على عدم ردها فأخبرتها أنني أنتظرها مع إسماعيل المراقب، ظللت أنتظر مع عم إسماعيل الذي حكى عن نفسه الكثير، إن أبوه كان يعمل لدى الدميري الكبير رحمة الله وأنه هو الذي قام بتربية زهرة وهو يعتبرها ابنته في معنى كلماته الواقعة من قلبه، وشعرت بنبراته أنه يوصيني علمها كثيرا، فهو يعلم كل شيء عن مرادي.. وأنهى حديثه بظهور زهرة. خد بالك يا دكتور.. (بفتح الدال والتاء) بلغة صعيدية جميلة.

- خد بالك من الدكتوره زهرة.

نزلت زهرة مسرعة، ما زلت شغوفا بها، تتسلل النظارات مني تخلل جسدها الأنثوي الذي يزداد جماله ومنحنيات جسدها التي تعلو وتعلو وشعرها التي عقصته تحت وشاح غير محكم ما زالت خصلات ناعمة تشير إلى تفحصها دون إرادة كل ذلك يحدث في ثوان عند نزولها من السلم أخذتني هذه المرة إلى داخل الفيلا... التي تلتصق بها روح الدميري كنت خائف من إن تحضر روحه وتقتلني ولكنني لبست درع الشجاعة ودخلت معها..

جلسنا على أريكة فاخرة في وسط صالة كبيرة تعلوني نجفة كريستال تتدلى منها كور تنعكس داخلها إضاءة بيضاء... أخرجني من شرودي صوتها:

- تشرب ايه..؟

أخرجت صورة الرجل المجهول من جيبي:

- تعرفي مين ده يا زهرة؟

أخذت الصورة... ورددت بتلقائية.

- _ آه طبعاً عارفها ده... صاحب بابا الله يرحمه.. ماله ده يا خالد..
- _ اسمه ايه..؟
- _ علاء.. اسمه علاء الصفتى.
- _ تعرفي إيه عنه...؟
- _ أنت عارف أني ماكنتش بدخل ولا بفهم في شغل بابا حاجة، بس اللي عارفاه أنه كان بيخلص شغل لبابا كتير..
- _ تعرفي رقمه أو ساكن فيه...؟
- نظرت إلي وعيناها تتسائلان مائة وخمس وثلاثين سؤالاً عن سبب أسئلي، وهاجمتني وعقدت حاجها، وأردفت:
- _ في إيه يا خالد.. ممكن تفهمني أنت محتاجه في إيه وبتسأل ليه؟ لا أستطيع التخلص من نظراتها... راودني كثير من الأفكار التي تتداعى في خلدي وأنا أقف أمامها بين حبي لها وبين فهمها لموقفي في البحث عن سبب واحد ينقد صديقي.
- أردفت... أمسكت بالصورة التي لصاحبها علاء:
- _ علاء الصفتى ده في خطر..؟
- _ ازاي...؟
- _ شو في يا زهرة... أي حد قريب من بباباك بيموت.. وبنفس الطريقة.. أنا اكتشفت أنه سم.. بيقتل بس بعد فترة معينة ممكن يوم أو يومين أو حتى أسبوع، بس بنلاقي الأعراض قريبة جداً من بعض.
- _ أنا مش فاهمه قصدك ايه... وايه السم اللي بتتكلم عنه؟
- _ هفهمك في الطريق... لازم نوصل للصفتى ده عشان لو طلع توقيع صح ممكن يكون في خطر بالفعل.

دخلت زهرة مكتب أبيها المتخدم بالكتب المصوّصة في مكتبة خشبية،
ظللت تفتح أدراج المكتب تبحث هنا وهناك رفعت عينيها وتذكرت شيئاً
وقالت

ـ تلفون بابا أكيد عليه رقم علاء.

خرجت مسرعة إلى درج يوصلها إلى دور علوي ظلت دقائق ونزلت وهي
يتعالى صدرها من شهيق وزفير لا تستطيع التنفس حاولت تهدئتها بكوب
من الماء وضع بجانبي... أخذت رشفة منه.

ـ ده فون بابا مسجل عليه رقم باسم علاء الصفي.

ـ رني عليه أعرفي منه مكانه فين.

ضغطت زهرة وببدأ الفون بالرن أشارت أنه فتح بالفعل كلمته بضع
كلمات أنها تريد منه شيئاً ما، وعلمت أنه في بيته هنا في نفس المدينة
وخرجنا أنا وهي ولكنها توقفت عندما نادتها أمها من الدور العلوي..
وعادت إلى أعطتني مفاتيح السيارة وأخبرتني عن مكان بيت المدعو
الصفي الضحية الجديدة الذي ظل على قيد الحياة.

أخذت السيارة وألقيت تحية على عم إسماعيل بسيجارة أنارت وجهه
وودعني بقول:

ـ يدوم يا أبو الواجب.. وكأني معلم خضار في السوق.

ذهبت إلى الجانب الآخر من بحر يوسف منطقة جديدة في مبانها
شاهقة في أسوارها، الأسعار هنا في تزايد مستمر، ترجلت من سيارة
زهرة وشكرت الدباديب المتاخمة بها السيارة وصعدت إلى الدور الثالث
شقة رقم ٨ باسم علاء الصفي ويسبقه أ. على لوحة خشبية مذهبة،

أُلقيت تحديي بضغطي على الجرس وانتظرت ولم يجب أحد، دفعت الباب الذي وجدته مفتوحاً ودخلت بترقب الشقة الكبيرة الممتلئة بالديكورات الباهظة.

_ أنت مين؟ صوت جاء من خلفني أفزعني، استدرت إليه فوجدها امرأة أبنوسية تلبس وشاحاً يجعلها مثل حبة القهوة في كوب من اللبن ولبسها فضفاض متطاير.. كررت سؤالها وأجبت بعد بلع ريقها:

_ أنا دكتور خالد.. وجاي اشوف... أ. علاء.

_ آه اسفه جداً يا دكتور.. أ. علاء تعان جداً ومش راضي يروح مستشفيات.. بس محمد ابنه مقاشر إن الدكتور اللي جاي اسمه خالد..

_ متقلقيش.. فين أ. علاء.

فتحت لي باب بعد عبوري لغرفة حمام في نهاية طرقة صغيرة تبعد عن الصالة أمتاراً قليلة..

- افضل.. تحب تشرب إيه يا دكتور؟

_ قهوة لو سمحتي يا...

_ اسمي سورية.. ماتستغريش الاسم احنا أصلنا شامي وأبويا سمني سورية بس أصحابي بيذلعني يا سوووو.. وابتسمت، علمت أنها ليس من أهل الصفتى وأنها تساعده في بيته بأجر ما.

وهل أهل الشام بهذه النكهة البنية؟ وأكملت أن أباها من أصول أفريقية وأمها من سوريا تقابلاً معًا في بلاد بره على حد قولها وتزوجا وأنجبا بنتين وولداً كلهم أشكاهم بيضاء إلا أنا سمراء بنكهة القهوة ولكن عينها الخضراء هما من أمها الجميلة، أما بشرتها فمن أمها الأفريقي.

ذهبت وبعد فتح الباب وجدت المدعو علاء منغمساً في سريره، رفع رأسه واتكأً على مسند سريره المبطن بالجلد الفاخر وضع منديله على فمه، لاحظت بقع دم قانٍ: اتفضل يا دكتور.

كلمة قالها وشقيق وزفير يأخذها بصعوبة.

رجل لا يتعدى العقد الرابع قصير القامة ولا يستطيع تحديده في نومه ولكنّه يمتلئ بطنه بكرش صغير وبشرته السمراء وازدادت سمرة لترسم حول عنقه طوق المعيشة، ولا أدرى كم الأنثنيات من حول لهذا الطوق أم ميراث من مواريث التجارة غير المشروعة.

عرفته بنفسي وأني جئت من طرف زهرة بنت الدميري وأريد منه معرفة أي تفاصيل على هذا الأمر.

بدأ في الكلام وصوت مصحوب بسعال دموي يخفيه وراء منديله.

ـ أنا يا دكتور خالد مخلص جمارك وسيط بخلص شغل ناس كتير..
ـ من أهمهم محمود باشا الدميري الله يرحمه.. ويرحمني عن قريب أنا
ـ كمان على اللي كنا بنعمله.. وصمت قليل..

ـ طيب أنت فيك إيه؟ وايه اللي حصل في صحتك أنت لسه صغير؟

ـ من يوم السهرة إياها واحنا كلنا ماجناش يوم لقدام..

ـ دي كانت فين دي يا استاذ علاء؟

ـ في مركز المستكاوي... كنا دايماً بنسهر هناك... كل شغلنا كان بيدار من المكان ده... مكان محدش يعرفه ولا يعرف فيه الباشا الكبير..

ـ قصدك مين بالباشا الكبير؟

ازداد سعاله وبدأ في اختناق لا أدرى ماذا أفعل.. تنشط عقلي وبدأت أنظر إلى تفاصيل من حولي، وجدت صدره ممتلئ بشيء ما فطنت أنه

من المحتمل أنه دماء (Hemothorax)، الرجل بضع دقائق سيموت في يدي، نبضه أشعر به تحت يدي.

أخرجت الخنجر الذي سرقته من قبو فاضل، كنت قد حشرته في حزامي أخفيته بجاكت بدلتني، فتحت قميص علاء العلوى بدأت أعد الضلوع من عند صدره في جانبه الأيمن وصولاً للصلع الخامس وطعنته بالخنجر الحاد وأنا لا أعلم ما أفعله وهل سيحدث ما أتوقعه، وغرسته بين أضلاعه وما زلت أغرس إلى أن تفجر الكثير من الدماء، انسابت على خنجري، أخرجت الخنجر الذي تركته على السرير، بدأ يأخذ شهيقه الذي أحدث صوتاً شخيراً في أخذة، وذهبت أنادي هذه الشامية التي تبخرت من الشقة وجدت خرطوماً في الحمام أخذته وأتيت بمياه مغلية من غلاية السخان في المطبخ لأعقم الخرطوم بها وجركـن صغير الحجم أحدث في غطائه ثقباً، ملأت الجركن الصغير منتصفه ماء، أمسكت بطرف الخرطوم من بعيد وأدخلته في صدر الرجل الغارق في دمائه والطرف الآخر داخل الجركن، أحدث فتحة تموجية له وبدأ بنزول الدم داخل الجركن، أتيت بملابس قطنية ولفتها حول فتحة الخنجر ومكان الخرطوم ليقلل من نزيف الجرح نفسه.

أحكمت كل ذلك واتصلت مسرعاً على إسعاف وذهبت من عنده وأنا أفكـر في مركز المستكاوي، الليلة التي تحدث عنها.. البasha غير المعروف، تداعـت الأفكار في خلدي، رأسي تتآكل من كثرة النشاط، لا أعلم الرابط الذي يربط كل هؤلاء، ذهبت إلى بيتي لم اطمأن على مني نبض هاتفي باسمها لم أجـب ترجلـت من سيارة زهرة بعد ركـنها تحت بيـتي وصـعدت إلى شقـتي دلفـت داخلـها قـابلـني فـرعـون بنـباـح قـوي وـعتـاب أـقوـي ما زـلت

أخشى العقارب فتحت ثلاجتي أخرجت بقايا طعام وضعت على نار موقدiy قهوة بغلالية القهوة ووضعت لفرعون بجواري ما تبقى من أكله، كان يأكل بهم شديد ويصدر صوتاً يشكري على الطعام ويسبني بأفظع الشتائم في خلده على تركي له منذ يومين أو أكثر... وما اطمأن له عند رؤيتي للبيت المتخم بكل الأوانى فأنا أعلم يستطيع البحث على طعام داخل هذه الشقة الموحشة بعد ترك مني لها.. للمرة الثانية.

لم يكن أمامي إلا النوم لتفريغ ما تبقى مني، ولكن لم يغلبني النعاس، عقلي يعمل بنشاط مزعج يفكري في كل تفصيلة وتساؤل حول علاء الصفي و ما تم تجاهه، هل أنقذ حياته أم مات من قيء دموي قاتل أم خنجرى قتله دون قصد مني.

جلست في غرفة فرعون.. على كرسي مريح وأناأتارجح به تجاه تيار هواء بارد وستائر تتطاير أمامي وفرعون فرغ من أكله واطمأن على العقارب وجلس بجواري على الأرض بقرفصاء.. وأنا أنظر إلى شجرة (الفيكس) أمامي، تلك الشجرة التي لا أعلم لها فائدة تنتشر مثل الفيروس تجوب شوارع المدن تحتل مصرنا.. لعل سعرها الزهيد هو السبب في ذلك، وأيضاً سرعة نموها.. تنموا بسرعة مفرطة.. برغم تحذير المختصين الزراعيين منها بسبب نهمها في المياه.. وأيضاً جذورها المتشعبه التي تدمر البنية التحتية، إلا أنهم لا يرون غير التوفير فقط.. جلست أمامها وأنا أرى الغربان السود يتطايرون على فروعها، وأتى إلي غراب أسود.. حرجني بنظرة.. ظل صامتاً بنظره.. انتابني الخوف.. ذلك الغراب الذي يتفحصني.. وأصدر صوته المزعج وذهب إلى الشجرة.. اجتمع حوله جميع الغربان بدأو جمیعاً بالتجمع بشكل منتظم ومخيف.. وضعوا

أحدهم بالمنتصف، حاوطوه... ازدت اندهاشا... وأنا أراقبهم عن كثب.. وقفـتـ أنـظـرـ.. ما زـالـوا يـحاـوـطـونـهـ وـقـطـيـعـ آخرـ كانـ يـحـومـ فـوـقـهـمـ كـحـرـاسـهـ بـطـائـرـاتـ بـدـونـ طـيـارـ..ـ وـالـآخـرـونـ يـصـطـفـونـ أـمـامـ الغـرـابـ الـذـيـ يـحـنـيـ رـأـسـهـ طـوـعاـ وـمـنـقـارـهـ الأـسـودـ عـلـىـ صـدـرـهـ..ـ اـسـتـمـرـواـ بـذـلـكـ يـجـلـسـونـ بـحـرـكـاتـ مـنـظـمـةـ..ـ وـأـخـيـرـاـ عـادـوـاـ وـأـصـدـرـواـ حـكـمـهـمـ عـلـيـهـ..ـ لـقـدـ أـمـرـواـ هـؤـلـاءـ الـحـرـاسـ الطـائـرـينـ بـقـتـلـهـ،ـ نـزـلـوـاـ عـلـىـ هـذـاـ الغـرـابـ الـذـيـ أـصـبـحـ فـتـيـلاـ عـدـادـ الـأـمـوـاتـ بـمـنـاقـيرـهـمـ السـوـدـاءـ الـمـدـبـبةـ فـأـرـدـوـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ قـتـيـلاـ وـاـسـتـمـرـواـ فـيـ تـنـقـيـرـهـ،ـ وـأـخـدـهـ اـثـنـانـ مـنـهـمـ وـوـضـعـاهـ فـيـ حـفـرـةـ أـسـفـلـ شـجـرـةـ الـفـيـكـسـ..ـ لـقـدـ تـذـكـرـتـ ذـلـكـ الـمـشـهـدـ،ـ لـقـدـ رـأـيـتـهـ فـيـ نـاشـيـونـالـ جـيـوـغـرـافـيـكـ،ـ هـذـهـ مـحـكـمـةـ الـغـرـبـانـ،ـ حـكـمـ إـلـهـيـ مـنـ السـمـاءـ،ـ لـقـدـ اـرـتـكـبـ أـحـدـهـمـ الـجـرـيمـةـ وـالـقـطـيـعـ عـاـقـبـوـهـ بـالـقـتـلـ..ـ نـظـرـيـ الـغـرـابـ مـرـةـ أـخـرىـ وـأـنـاـ مـاـ زـلـتـ مـرـاـقـبـهـمـ وـأـمـرـهـمـ وـجـاءـوـاـ تـجـاهـيـ،ـ اـغـلـقـتـ النـافـذـةـ سـرـيـعـاـ وـلـكـنـهـمـ هـاجـمـوـنـيـ بـاخـتـرـاقـ الزـجاجـ،ـ صـنـعـوـاـ فـوـقـيـ سـحـابـةـ سـوـدـاءـ وـحـولـيـ يـأـكـلـوـنـ مـنـ لـحـمـيـ وـأـنـاـ أـصـرـخـ وـوـقـعـتـ بـجـوارـ فـرـعـونـ الـذـيـ بـقـيـ فـيـ الـأـرـضـ مـثـلـيـ.

* * * *

(١٣)

مسرح مهيب وستائر تفتح أرى من بين فراغات الستار حشود كبيرة من الحضور، مقدم يقف في تباٍ ببدلة سوداء وبيون مطرزة يمسك في يده سماعة بدون أسلاك ليسمع من في هذا المسرح: أعزائي الحضور، بعد طول انتظار جاء الخبر المنتظر جاء المنقذ والمحلل لم نر في كلماته إلا السحر المدفون في أعماقنا، جاءنا ليعلمنا عن وجودنا وعن دواخلنا لنبحث فيها عن ماضينا وحاضرنا، الدكتور.. والباحث.. المميز.. خالد فهي.

قدمي اثنان من حوريات الأرض لا يلبسن الكثير ويعقصن شعورهن بشكل بيضاوي فوق رؤوسهن عن يميّني بيضاء وترتدي فستانًا يظهر أكثر ما يخفي من جسدها، وعن ياري نفس الفستان ولكن بشرتها خمرية.. شعرت بهن ولا أستطيع التمييز بمعرفتهن.

فتحت الستار والحضور تهتف باسمي تنتظري أتحدث ولا أعلم ماذا أقول، ولكن بدأ أحدهم بالكلام: ممكّن توضّلنا يا دكتور وتتكلّمنا عن أحلامنا وعلاقتها بالواقع؟

بدأت الأفكار تتداعي لخلفي وتقرع طبول ذاكرتي، وبدأت في الكلام:
- هل لي بطلب لكم جميّعاً؟ هل من الممكن أن تغمضوا أعينكم..
وتتخيلوا معي بنظارة التخييل؟ تخيلو معي أننا لا نعيش هنا على الأرض
ولا نتعامل مع هذه المادة وهذه الجزيئات، تخيلوا أننا يومياً نسبح في
الفضاء الشاسع مقابل يومياً آلاف الأشخاص مثلنا نعرف بعضهم
ونتعرف على بعض.. أكملوا غمض أعينكم معى ما زلنا في نفس
الفضاء، أصبحت أجسادنا أطيافاً طائرة لا يوقفها شيء.

انظروا إلى اليمين هذا الكوكب العملاق هو الملتقى لجميعنا سنتلقي فيه في نهاية رحلتنا.. انظروا إلى أيديكم ترون الآن كُرة زرقاء بيضاوية الشكل زرقاء هل تتذكروها.. نعم... هي (الأرض) ما كنا نعيش عليها يوماً ما منذآلاف السنين التي مضت أصبحت ذكرى من ماضينا... ولكن تذكروا لا تنسوها مهما مرّت ألف السنين هتظل باقية.

استمروا معي انظروا فوّوّقكم ترون كواكب أخرى لعلهم لم يكتشفوا بعد ما اكتشفناه.. افتحوا أعينكم ولكن بهدوء وتذكروا أنني قلت بهدوء.

فتحت عيني رأيت أطيافاً من أجساد تتطاير وتعود إلى أجساد الحاضرين وأصيّبوا بالكثير من الذعر.

- هذا مارأيتموه أقل بكثير مما نستطيع الوصول إليه في أحلامنا وإسقاط أجسادنا النجمي هو ما يميز أرواحنا عن غيرها من الكائنات، ولا أستطيع أن أجزم هل الكائنات التي خلقها الله تستطيع بالفعل العمل لهذا الفصل أم ماذا.

وعندما نرى في حياتنا أننا رأينا شخصاً أو موقف شعرنا أنه حدث قبل ذلك فهذا معرفة قليلة من معارف نستطيع الوصول إليها ولا أتحدث عن الخير فقط فكما نرى أحلاماً طيفية معلومة نرى أيضاً من مفسدي هذه الأحلام من الجاثوم الذي ھلّكتنا ويفزعنا ويصيب أرواحنا وأجسادنا الأرضية بالشلل المؤقت ونرى كل هذا بأعيننا.

القدماء الفراعنة اكتشفوا ذلك وحاولوا الوصول إليه.. وفعلوا ذلك حتى نحن لا نستطيع تفسير أشياء فعلوها منذ ألف السنين وسنظل نكتشف أنفسنا بأنفسنا، واستعانا ببعض الأعشاب التي كانوا يسمونها أزهار المعرفة مثل زهرة اللوتس.

أما ما يسير على نهجهم فكثير من القبائل يستعينون ببعض الأعشاب مثل قبائل أفريقية يستخدمون الإيوجا والآياهوسكا وغيرها.. ما زلت أتحدث وصوت بدأ يشتتني.

أكملت حديثي الذي لا أعلم مصدر معلوماته، واقترب الصوت أكثر وأكثر. كنت واقفا على المسرح والستار بدأ يقفل دون سابق إنذار والجمهور المهيب بدأ في فزع نظرت خلفي وجدت القبائل الأفريقية والرماح المدببة أتت من جديد ولكنني وجدتهم ليسوا جميعهم بألوان سود نظرت إلى البتين أصبحتا مثل زهرة ومني.. الرجال السود برماحهم يحاوطوني ووراءهم الدميри بزيه الدموي.. المستكاوي الدماء تدرب إلى كرشه الكبير.. وأخيراً الصفي أتى إلى بخنجر في جانبه الأيمن وخرطوم بجانبه ينزف من الدماء حاوطوني بالرماح تضرب أرضية المسرح وصوت موحد لهم: هو هو هو هو هو.. الرعب قذفي أرى خيوطاً تخرج من ظهور هؤلاء الموتى الأحياء، نظرت إلى السماء وجدت رجالاً عملاقاً وحشاً كبيراً يحرك كل هؤلاء بأصابعه ورفع قدمه وكاد يهراً علينا جميعاً بالكاد سمعت صوتها، نظرت وجدت فاضل أتى مسرعاً طائراً على ودفعني، هدم المسرح الخشبي وهدم علينا المبني كله وساد الظلام التام.

تنبهت من ظلامي التام على صوت تكتكات عقارب ساعتي ونباح كلبي وقع على بابي، القرع يزداد لا أستطيع الحركة وجدت عطر فاضل بجواري، العطر الأرجواني الذي يشبه جسدي الطيفي والذي كتب عليه ... هو السبب في هلاوسي، كم أتمنى معرفة محتويات هذا waarheid السحر ذي الرائحة المميزة.

يزداد القرع إلى أن فتح الباب ولم أر غير وجوه عساكر والضابط إسلام يقفون حولي كما فعل الأفارقة السود وأصبحت وجوههم مموجة بالنسبة لي لم أشعر بهم وغرقت مرة أخرى في نومي...

حركت جفوني بصعوبة، فتحتها فوجدت نفسي في غرفة مغلقة وأصوات متداخلة بين أصناف من البشر وفوهات واحدة بها أعواد حديدية وباب حديدي به فتحة يظهر منها عسكري يقف خلف الباب، علمت أنني قبض علي وبأي تهمة لا أدري.. فتح الباب الحديدي ونودي على اسمي بصوت أحش: المتهم خالد فهمي.. رفعت يدي فلسانى بأبي أن يتحرك، جرني هذا الوحش وألقاني داخل غرفة رئيس المباحث وألقى تحيته بقول: تمام يا فندم مع حركة يده.

وقفت فرأيت الضابطين حسن وإسلام...

_ أنت ليه قتلت علاء الصفي يا خالد؟ قالها حسن وكان ممسكا بيده كيسا يحتوي على خنجر جد فاضل القديم.

نظرت إلى إسلام الذي أزاغ نظره عنى.. تكلمت بخوف وبتوتر ظهر مني ورفقة في لساني:

_ أنا مقتلتوش أنا كنت بحاول أنقذه..

ضحك حسن ضحكة كبيرة تعلالت في أركان المكان وابتسم إسلام له ونظر إلى..

_ بتتقذه إنك تطعنه بخنجر بالشكل ده وينزف كل الدم ده لحد ما يموت؟

_ علاء كده كان هيموت وانتو مش لاقين حد تشيلوه القضية.
نظر إلى حسن بغضب... وقال:

_ واديـنا لـقـينا يا دـكتـور خـالـد اللي هـيـشـيل القـضاـيا كـلـها... شـيل بـقـى يا دـكـ.

ـ خد بالك لو خايف على الباشا بتاعك اللي ممشيك وراه أنت كده
بتشيل القضية للشخص الغلط عشان كده القاتل الحقيقي مش
هيسيبه وهيوصله.. وصله الكلام ده وهو هيفهم.

وقف إسلام متربقا النظارات الزائفة والحواجب المنعددة بيننا، وأكملت
كلامي بعد النظر إلى إسلام:

ـ بص يا إسلام بيـه... شوف رأي الطب الشرعي إيه في اللي أنا عملته...
وقولي فيه أي شبهة أني كنت عايزة اقتلـه أو اساعده
اخذني إسلام برفق إلى خارج الغرفة وامر العسكري بأن يأخذني إلى
غرفة أخرى لانتظر فيها... ورجع إلى غرفة حسن.
ذهب العسكري بي إلى غرفة مكتب وانتظرت ساعات ونبض الصداع في
رأسـي أريد بعض القهوة، أريد سيجارة تخفـف من احتياج جسدي
لينيكوتين يخفـف عنـي هذا الحـمل.. ما الذي فعلـته في هذا الصـفيـ

المـيت؟

* * * *

انقضت ساعات بمكوثي في هذه الغرفة تبدد النهار وولد الليل من جديد لم يسأل عنِي أحد ولم يطرق بابي أحد إلا شاويش أرسله إسلام يتفقد أحوالى، وطلبت منه سيجارة وفنجان قهوة وكان سعرهما أغلى من مرتب شهري لي.. ولكنه أكرمني بهما بعد التخفيض وتركني وظلت هكذا، أخشى أن تعلم أمي ما حصل أو والدي لا أستطيع النظر في أعينهما بهذا الشكل، أتذكر يوم معرفتهما بنتيجة الثانوية العامة وأنني حصلت على مجموع يؤهلي لأكون دكتوراً. دكتور يحصل في نهاية الشهر على ألفي جنيه وأضطر أن أعمل في عيادات خاصة ومستشفيات تمتص ما تبقى من دماء الأشقياء، وأنا بدوري أحصل على راتبي وهكذا الدنيا تدور، والعجيب أننا نحن الحلقات بها لا نستطيع الوقوف لأن غيرنا لن يتوقف، ستكسننا باقي الترسos وستظل عجلة الدنيا قائمة.. قرع الباب من خلفي لعله الشاويش يريد إبرام صفقة أخرى معى في إعطائى كوبا آخر من القهوة فهو في ليلة واحدة سيحصل منى على ثروة، ولكن همأت أهيا الجاهل.

فتح الباب العسكري الذي يحرسني، اعتدلت في جلستي ونظرت خلفي فوجدتها زهرة..

ـ ازيك يا خالد... عامل إيه؟

ـ زهرة... انتي جيبي هنا إزاى وعرفتي منين؟

ـ عرفت من إسلام.. كلمي وقالي على كل حاجة.

وقال إن البنت الممرضة اللي كانت مع أستاذ علاء اعترفت عليك وقالت مواصفاتك.

- ـ وانتي صدقتي.. أني قتلتة؟
- ـ خالد... أنا مصدقش فيك أى حاجة وحشه... أنت طيب ومش بتحب غير الناس.. بس...
- ـ بس إيه يا زهرة.. قولـي...
- ـ فاضل خرج من السجن، أفرجـو عنه لأنـ ما فيـش أـي اـتهـام ضـدهـ وكـمان الفـيديـو مـوضـحـش مـلامـحـ فـاضـلـ يعنيـ هوـ أـصـبـحـ بـرـيءـ، هوـ جـالـكـ ياـ خـالـدـ؟
- ـ نظرـتـ إـلـيـهاـ بـعـيـونـ زـائـغـةـ وـخـفـقـانـ فـيـ القـلـبـ غـيرـ مـعـلـومـ سـبـبـهـ:
- ـ فـاضـلـ... آـهـ كـانـ هـنـاـ مـنـ شـوـيـهـ وـاطـمـنـ عـلـىـ وـقـالـيـ أـنـهـ هـيـيـجـيـ بـكـرهـ الصـبـحـ..
- ـ خـالـدـ أـنـاـ وـكـلـتـكـ مـحـاـمـيـ بـابـاـ... اـونـكـلـ شـكـريـ... هـيـسـاعـدـكـ فـيـ الـقضـيـةـ.. إـنـ شـاءـ اللـهـ نـقـدـرـ نـثـبـتـ بـرـاءـتـكـ.
- ـ متـقـلـقـيشـ... أـنـاـ مـحـتـاجـ مـنـكـ بـسـ تـتـصـلـيـ عـلـىـ الضـابـطـ إـسـلاـمـ وـتـعـرـفـيـ مـنـهـ أـخـبـارـ تـقـرـيرـ الطـبـ الشـرـعـيـ.. تـذـكـرـتـ شـيـءـ، عـايـزـكـ كـمـانـ تـجـبـيلـيـ تـلـفـونـيـ خـدـوهـ مـنـيـ مـشـ عـارـفـ إـمـتـيـ أوـ مـمـكـنـ سـبـتـهـ فـيـ الـبـيـتـ عـايـزـرـقـمـ الـدـكـتوـرـ مـحـمـودـ أـبـوـ السـعـودـ أـكـيدـ هـيـعـرـفـ التـقـرـيرـ الـحـقـيقـيـ لـلـصـفـقـيـ وـهـيـسـاعـدـنـاـ.
- ـ خـدـيـ دـيـ مـفـاتـيـحـ الشـقـةـ... اـهـ... مـتـخـافـيـشـ.. فـيـ كـلـبـ فـيـ الـبـيـتـ مـتـقـلـقـيشـ مـنـهـ أـكـيدـ هـيـعـرـفـكـ..
- ـ هـيـعـرـفـنـيـ اـزاـيـ.. وـبـداـ عـلـيـهاـ الـخـوفـ.
- ـ عـارـفـ رـيـحـتكـ يـاـ زـهـرـةـ ثـقـيـ فـيـاـ مـتـقـلـقـيشـ... بـسـ اـطـمـنـيـ بـسـ إـنـ الـفـونـ مـشـ مـعاـهمـ هـنـاـ.

ذهبت زهرة مسرعة وخرجت من الباب وطللت أنتظر، استلقيت مكانى مرة أخرى والنافذة أمامي تظهر القمر ليس كاملاً، ونجماتي تخطبني من حوله تهدىني وتعطيني طمأنينة تحرك وتشكل علامات لا أحد يفهمها غيري تركتهم جميعاً وغبت عن وعي.

أفرعوني صوت الباب.. وأقدام تقف حولي.. كنت نائماً على أريكة جلدية وأرى الأقدام، نظرت للسقف واعتدلت من نومي وجدت إسلام بيء وشخص لا أعرفه معه، جلساً على المكتب.. تكلم إسلام:

ـ أعرفك يا خالد بالدكتور.. خيري.

رجل ينهي حياته المهنية في بداية الستينات ويحافظ شعره الأبيض على وقاره يرتدي نظارة طبية عتيقة وينحني قليلاً في جلسته لم يكن قصير القامة ولكن انحناء يوحى بذلك.

أشرت إليه بهزة من رأسه.. وتكلم:

ـ ممكن تقولي أنت عملت إيه بالضبط يا خالد لقتيل ده احكيلي متاخاش.

بدأت بالتحدث في بداية دخولي وكلامي معه ولاحظاتي عليه وقصصت عليه ما حدث أثناء وجودي مع الصفي واتخاذ هذا القرار الذي أقي بي هنا.. ولماذا أخذت القرار... أخفيت عنهم أنني كنت أعلم بماته عاجلاً أم آجلاً ووضحت سبب فعلي لما فعلت أنها كانت محاولة إنقاذ ليس إلا..

وسألني الدكتور خيري عن كيفية التسخيص لهذه الحالة، وأنك لم تر صدره بأشعة x-ray وإجراء الطبي وعمل له ¹ chest tube بهذا الشكل دون تعقيم أو غيره،

١ أنبوبة صدرية تركب للمريض في صدره في حالات تجميع المياد أو تجميع دموي داخل الرئة أو خارجها في الغشاء البلاورى.

وأضفت له أني لحت عنده أشعة ونظرت إليها وهو يتحدث ولكن كانت ليس بهذا السوء وقمت بتعقيم الخرطوم بماء مغلي وهذا ما فعلته. ظل الضابط إسلام بيننا ونحن نتحدث بمصطلحات علمية لا يعلم منها شيئاً.. وتكلم الدكتور خيري:

ـ اللي أنت عملته ده ولو كان فيه نية طيبة فده غلط يا دكتور خالد.. أنت زي ابني وأنا مش عاوز أصيبح مستقبلك لو حد شم خبر باللي حصل ده هتروح في داهية، أما بالنسبة للتقرير.. هو عندك يا إسلام بييه وقدر تقرأه دلوقتي.. وقام من جلسه وهم بالخروج ونظر إلي ثم قال:

ـ أنت دكتور هتبقى شاطر اوسي يا خالد.. وابتسم وذهب. تبادلنا الابتسامات وبدأ إسلام في قراءة التقرير وبعدها افترشت بسمة على وجهه وقال:

ـ تقدر تمشي يا دكتور خالد.. التقرير بيقول إن الصفي مات ولكن ليس بسبب التزيف الرئوي وإن موته له علاقة بتسمم لمدة غير معروفة.. وأردف حديثه سائلاً:

ـ أنت ليه دور على اللي بيقتل الناس دي عشان صاحبك؟ فاضل خرج خلاص.. ولا عشان زهرة... ابوها مات وشبع موت... أنا رأيي يا خالد ت Shawf مستقبلك... وتكبر دماغك.. صدقني الموضوع ده اكبر مني ومنك.. وأنا لو كنت عايزة اشيلك القضية كنت غيرت التقرير وخلاص.. خد بالك من نفسك يا خالد.

نظرت إليه بأمتنان ولم اجب بكلمه وخرجت من الغرفة. وفي خروجي قابلتني زهرة وأخذتني إلى بيتي وأنا اراجع كلمات إسلام عن مستقبلي.. وأردفت زهرة في الطريق أنها السبب في كل ما حدث وأنها لا

تريد شيئاً في الدنيا غير أننا ننزووج ونعيش مع بعض، ورفعت الحمل عني من موت أبيها لحمل آخر حمل مني وماذا ستفعل عندما تعلم بزوجي منها وأخذت منها ميعاداً ليلاً وعزمت على مصارحتها.. ترجلت من السيارة وأخذت شهيقاً عميقاً من هواء الحرية وصعدت إلى شقتي... انغمست مسرعاً في مغطسي وشاركتني فرعون هذه المرة.. أضفت الكثير من الزيوت العطرية. أشعثها في المكان وشممت الكثير من العطر الأرجواني بدأت أسترخي في المغطس مع فرعون الذي تراخت كل عضلاته معي، غطست برأسى وأغمضت عيني.. تبددت الأفكار من عقلي، استرخيت وتراحت جميع أوصالي، خوفي القديم من الماء يجعلني أتمسك بحواف المغطس، فتحت عيني سقطت قاعدة المغطس وسقطت أنا وفرعون، ظللنا نسقط كثيراً طبقات مختلفة من الأرض.

فتحت عيني فوجدت حرباً قائمة في زمن قديم وليس بعيد، أشخاص يحملون بنادق قديمة ويتكلمون الإنجليزية يقتلون رجالبدو اختبات أنا وفرعون من الرصاص المنتشر في الأجواء غابت الشمس وكل ذلك حدث في دقائق وكل أخذوا جراحهم وجاء شيخ كبير يداوهم ومعه غلام يساعدوه وأخذ منهم البعض وذهب.. ذهبت من بينهم فهم لا يرونني لا يشعرون بي فأنا طيف تسللت من بينهم واتبعنا الغلام، أدخلنا شارعاً ضيقاً لا يستطيع المرور منه إلا شخص واحد وانتظرنا وقفنا أمام باب حديدي سمعت صوت الباب يصدر صريراً وفتح وإذا بالشيخ أمامنا يدخلهم ويصايفهم ويعالجهم، الزمن ليس له حدود معنـى نظرت إلى من يحدث الشيخ وجدت خنجرًا يحشر في خصره، حاولت سحبه لا تستطيع الإمساك بشيء فأنا مجرد طيف.. أخرجه البدوي وأعطاه للشيخ وبادله الشيخ بحبة سمراء مزركشة بالطول أخذها وذهب

بعيداً، تركتهم يرحلون وانتظرت مع الشيخ وجده يقلب في أغشابه ووجدت كيساً كبيراً من الخيش به من هذه الحبوب الكثيرة منها، صعد الشيخ بسلم علو صعدنا أنا فرعون وراءه ووجدت نفسي خرجت من قبو جد فاضل وأنا في بيته.. خرجت من الباب وإذا بالأشياء تتبدد من حول ودودامة من ألوان الطيف تخطف بصري ولم أجد فرعون معي، ناديت بعلو صوتي ولكن لم يخرج مني أي صوت وكأني في مياه لا أستطيع الكلام وجدت بابا فتحته وجدت مني مستلقية على الأرض، نظرت إلى الغرفة فهي غرفة فاضل تناثر الأشياء حولها الأزهار وكوب من الزجاج ملقى بجوارها عليها شربت منه، جاء فاضل وأهله جميرا وحملوها وذهبوا بعيداً. ذهبت محاولاً اللحاق بهم وجدت مضيقاً صغيراً وبه درج حجرية تصعد إلى الأعلى، ظللت مع هذه الدرج إلى أن وجدت نفسي في سوق كبير.. يبيعون سلع غريبة.. يبيعون العقارات.. شعرت بالخوف.. يتحدثون باللغة الفصحى.. اقترب أحدهم وهو يرتدي جلباباً مهلاً لا تفضل لدينا أفضل السموم من هذا العقرب الأسود.. وأخر يأخذ بيدي إلى ثعابين تلعب في حوض وغيره ينادي وبصوت عال: هيا أمهما البشر.. ويمسك بيده السيف والخناجر.. لدينا ما يقتل ألف رجل.. ويحرر ألف نفس.. أكملت طريق خروجي من هذا السوق.. من شدة خوفي لا هذا الزمن لي ولا هذا المكان، سمعت صوت كلبي أسرعت تجاهه فوجدت زهرة واقفة تنتظري أسرعت إليها، تبخرت على حافة بحر عال بصخور مدبلبة وتبخرنا أنا وفرعون.

صحيوت على اهتزازات أخرى لزهرة تنتظري لم يعاد قد أعطيته إياها، وجدت نفسي مبللاً على سريري وفرعون ينام على السجادة التركية ويرجع نفسه ليتناثر الماء من على جسده الناعم الذهبي.

غيرت ملابسي وخرجت مودعا عقارب ت يريد الانتقام مني حتى في نومي..
لم يكن الوصول إلى موعدي بعيد، قد اقتربت من نفس المكان الذي
كنا نجلس عليه في كل موعد.. نفس رائحتي التي تحبها زهرة ونفس
البدلة التي أغير قميصها فقط فأنا ليس لدي غيرها..

أشعر برغبة جامحة تجاه زهرة، أحب أن أقترب منها أشئ عبقرها
أتدوقيها.. كل هذه الأفكار تداعت داخلي تتخلل كياني تمسح على قلبي
بطبطلة، أريدها.. أشعر بالعشق المدفون بدواخلي أريد أن أرى زهرة،
كم التخيلات التي عشت معها وكم العلاقة التي مارستها بجسد مني
وروح زهرة.

روحها كانت تحضر معنا، أعلوها وتعلوني روحها، والآن الأحلام ستتبدد
أما الحقيقة والمغفرة.. وأما البعد والخسارة.

سألتقي بها وسانحني أمام عفوها فإن بادرتني ووضعت سيف العفو
على رأسي سأتقدم أركب فرسي وآخذها بعيداً في مملكة بنيتها لها برجها
عال وها منارة تضيء ترسو عليها سفن المحبين يتذوقون طعام
العاشقين ويشربون شراباً مخصوصاً صنعه سويا.. ليزدادو حباً فوق

حيم

* * * *

(١٥)

لقد شارفت على الوصول.. اقتربت من جنة الحب الليل يظهر القمر
بقرصه الكبير ونجماتي تصنع قلوبنا حول القمر، تقدم لي مباركة تتلألأ
فوقى تشير إلى بسهم الوصول وصلت مبكراً هذه المرة لم أجد زهرة
منتظرة.. ولم أجد مكان جلسنا متاحاً.. جلست على طاولة أخرى قدم
لي أحدهم قوائم الشراب والطعام ولم أبال، طلبت القهوة ووضعت
قطراتي عليها، انتظرت أخرجت هاتفي وسمعت رنات زهرة ورائي جاءت
من خلفي.. وصدرها يتعالى من شهيق وزفير، حاولت الكلام والاعتذار،
أمكنت يدها أجلستها حتى هدأت... تأسفت على تأخيرها بقول:

_ ماما شافتني خارجه.. قعدت تتكلم معايا كتير وأنا منتظرها تخلص..
عماله تقولي أنها عايذه تشوفني عروسه.

ابتسمت لها وأنا مستمع ومستمتع لحديثها.. زهرتي تتكلم ببراءة الأطفال
تغضب مثلهم وتحنون مثلهم تتعلق في الحديث تعиде مرة أخرى وتعلّم
مرة أخرى.. وتصمت في الهدى خجلاً من نظراتي.

_ مفيش مشكله.. المهم انتي كويسيه؟

_ آه تمام... الحمد لله.

_ تحبي تشربي ايه؟

_ هما عارفين هييجيبولي ايه.. قالتها بعفوية.

انتابني شعور بغترة عندما رأيت أحدهم يضع على الطاولة قهوة مثلي.
فهي لم تكن تشربها.

_ من امتي وانتي بتشربقي قهوة.. وازاي عارفين مشروبك؟

_ أنا دايما باجي هنا بقعد في نفس المكان وبطلب القهوة بتاعتك
قصدي بتاعتي من أيام الجامعة وأنا بعمل كده... دي كانت الذكري
الوحيد اللي عايشه عليها يا خالد.

تشجعت من كلامها وبدأت في الحديث:

_ أنا عايز اقولك على حاجه مهمه ومهم حصل يا زهرة اسمعيني
لآخر... مهم حصل اسمعي كلامي.

_ حاضر... ونظرت باهتمام مفعم بهدوء كوني.

انتظرت أن أبدأ.. الصمت والتوتر يسيطران على روحني وتخلاصت منهما
وبدأت في الحديث:

_ زهرة.. انتي عارفه أني محبتش حد غيرك.. بعد ما انتي مشيتي للمره
الثانية وأنا فعلا تعبت جدا.. معرفش إيه اللي حصل مع مني.. كانت
وحيدة ومحتجاني... يمكن حبيتها ويمكن لأن.. مش عارف.

تغير ملامح زهرة وافتresh على وجهها بعض الغيرة.

أكملت حديثي وأطلقت نظري بعيدا عنها:

- وحصل اننا تزوجنا.. وده اللي حاولت اعترف بيه كل الفترة اللي فاتت
وانتي مش عطيني فرصة أوضحلك.

ازداد تغير ملامحها... اقتربت بكرسيها الي... أمسكت بيدي.

_ خالد.. أنت كويس يا حبيبي.

_ آه أنا كويس.. بس عايز أكمل مبرراتي وأنا عارف إن كل ده..
وقاطعني زهرة:

_ خالد.. مني ماتت من زمان.

_ زهرة انتي بتقولي إيه... اهدي بس أنا هفهمك.

ـ خالد بكلمك بجد.. مني ماتت وانت جيتلي فاكر.. يوم مكان معاك الكتاب.. قولتلك أنها ماتت وكمان لو تفتكري أنا كلمت فاضل وعزيته.. يومها كنت فاكر إن فاضل مات.

قامت ووضعت يدها على كتفي، أبعدت يدها بقول:

ـ انتي بتقولي ايه... مني حامل مني.. مني حامل يا زهرة..

ارتبكت نزلت مني قطرات دمعات لم أعلم سببها.. وقفـت دون سابق إنذار، تركـتها وجريـت لم أـع ما أـفعـلهـ، نـادـتـ عـلـىـ صـدـىـ الصـوـتـ يـتـرـدـدـ فيـ المـكـانـ أـسـمـعـ صـوـتـهـاـ وـكـأـنـهـاـ منـيـ الـتـيـ تـظـنـ أـنـهـاـ كـذـلـكـ.. منـيـ حـامـلـ منـيـ.. أـنـاـ أـعـلـمـ ذـلـكـ.. زـهـرـةـ تـهـلـوـسـ.. تـشـرـبـ مـخـدـرـ.. عـلـهـاـ تـشـرـبـ اـيـوـغـاـ عـلـىـ قـهـوـتـهـاـ.. عـلـهـاـ تـشـمـ عـطـرـاـ أـرـجـوـانـيـاـ غـيرـ مـعـلـومـ المـصـدـرـ.. اـزـدـادـ توـتـرـيـ وـسـرـعـةـ فيـ جـرـيـ.. مرـتـ منـ الشـارـعـ المـقـابـلـ لـبـيـتـيـ الـقـدـيمـ، أمـيـ، أـرـيدـ أنـ أـبـكـيـ، أـنـقـذـيـنـيـ مـنـ نـفـسـيـ، أـبـيـ أـدـرـكـ حـيـرـتـيـ، المـكـانـ وـالـزـمـانـ يـتـبـدـدـانـ، الشـوـارـعـ تـضـيقـ عـلـيـ.. أـفـلـتـتـ مـنـ سـيـارـةـ كـادـتـ تـهـرـسـيـ تـحـتـ عـجـلـاتـهـاـ اـكـتـفـتـ فـقـطـ بـالـقـائـيـ بـمـحـازـةـ الرـصـيفـ وـسـبـنـيـ صـاحـبـهاـ بـشـتـائـمـ وـانتـهـيـ: اـنـتـوـ بـتـشـرـبـوـ إـيـهـ يـاـ أـخـيـ.. صـعـدـتـ عـلـىـ درـجـاتـ السـلـمـ وـهـوـ يـتـبعـدـ أـصـعدـ بـصـعـوبـةـ جـسـديـ يـؤـلـمـيـ، أـلـقـيـتـ جـسـديـ عـلـىـ الـبـابـ فـتـحـتـ أمـيـ وـبـلـهـفـةـ نـادـتـ عـلـىـ مـنـ بـالـدـاخـلـ وـأـغـمـضـتـ عـيـنـيـ، لـمـ أـجـدـ إـلـاـ نـفـسـيـ نـائـمـاـ عـلـىـ السـرـيرـ وـيـحاـوـطـيـ جـمـيعـ أـهـلـ بـيـتـيـ مـنـ تـرـكـتـهـمـ وـابـتـعـدـتـ فـيـ زـواـجيـ.. زـواـجيـ مـنـ مـنـيـ.. التـيـ مـاتـتـ وـطـفـلـيـ فـيـ بـطـنـهـاـ.. أمـيـ.. نـادـيـهـاـ.

اقربـتـ مـنـيـ بـعـدـ إـخـرـاجـ الجـمـيعـ، اـحـتـضـنـتـيـ بـحـضـنـ جـعـلـتـ عـيـنـيـ تـنـفـزـ تـبـلـ وـجـهـيـ وـاسـتـقـرـ نـزـيفـيـ عـلـيـهـاـ دـوـعـ تـهـمـرـ مـنـيـ.. وـبـدـأـتـ تـغـنـيـ لـيـ.. أـغـنـيـةـ كـانـتـ تـغـنـمـاـ فـيـ طـفـولـتـيـ.. نـمـتـ فـيـ حـضـنـهـاـ.

كنت طفلا.. اللعب مع إخوتي الأصغر سنا.. في جنينة في وسط المدينة..
شعرت بسلعة قوية في قدمي الحافية.. وجدت عقراها أخضر شديد
الخضرة من ذيله الملتوى قرصني صرخت بأعلى صوت.. جاء كلب
وهرسه بقدميه وأكملت عليه أمي بحذائهما وأمسكت بي، شعرت ببرودة
تخللني وجميعهم حولي، استيقظت في حضن أمي الدافئ بعد مرور
ساعات من نومي لم تتركني لم تكل مني ولم تتوقف عن اهتزازها لأنما
مثل طفل رضيع.

جلست وتركت حضنها بعد تقبيل رأسها.. ماما.

ـ إيه اللي حصل؟

ـ محصلش حاجه يا حبيبي... أنت جيت واترميتك وبقالك ساعة عمال
تعيط وخايف من عقارب وبتقول مني فين، من يوم ما اتلدغت من
عقرب زمان وانت بتحلم بهم وبتصحي مفروع زي اللي حصل دلوقت...
ومن زمان نفسك تجيئ كلب وبابا رفض انك تجيئه.

ـ طيب مني فين يا ماما.. وانتظرت ردها الذي يشفى قلبي.

ـ الله يرحمها يا خالد.. مني ماتت مش عارفة إيه سر تعلقك بهما
بالشكل ده.

ـ انتفضت مرة أخرى دخلت إلى أبي.. بابا.. بابا..

ـ وجدهه أنهى صلاته.

ـ بابا مش أنت كنت بتوصيني على مني.. ربطة على كتفي: إن شاء الله
ه تكون كوييس يا ابني.. والله يرحم اللي مات واللي هيموت.. إنك ميت..
ولأنهم ميتون.

ـ تعالى صوتي: انتم هتجننوني وخرجت إلى خارج البيت وظللت أمي
تناديني... خالد... يا خالد.

عازما على ذهابي إلى مني، سأخذها إليهم اليوم سأنهي كل شيء.

لم أخذ وقتا طويلا في الذهاب إلى بيتهم، وقفت أمام الباب، أخذت وقتا في تهدئة نفسي، هدأ صدري الذي كان يتعالى، قرعت على الباب فتح لي سألت على فاضل بهدوء قابلني أبوه وأنا ألتفت يمينا ويسارا باحثا عن مبني.. أم فاضل ذهبت لإحضار الشاي أبو فاضل طلبت منه أعشاب القاولون الفعالة، ذهب لإحضارها، دخلت مسرعا غرفة مني فلم أجدها، وجدت صورتها معلقة في أعلىها خط أسود جانبي.. وجدتها طيفا تقف أمامي كما كانت تقف وهي حامل، اقتربت منها حاولت لمسها فلم أستطع، وضعت يدي على بطئها التي لم أمسها وتخترقها فهو روح هواء لا يراها أحد غيري، أمسكت هي بيدي شعرت بها وضعت يدي على بطئها، جنينها يتحرك واختفت فجأة عندما جاء أبوها وأحضر لي العشبة تساقطت دمعات من عيني أخفيتها بيدي وربت أبوها على كتفي وقال: هي كمان بتوصيني كل يوم عليك.. بتقولي خد بالك من خالد.. سأله:

ـ فاضل فين؟

ـ فاضل في الشغل... أنت عارف مكانه... ولا اجي معاك؟

ـ لأ متبعيش نفسك... أنا عارف مكانه...

ذهبت مودعا عائلة مني ومقتنا بما قالته زهرة لي لقد تبخرت مني وتبخر معها ابني، أصبحا أطيافا لا وجود لها، أرواح في السماء يعيشون في بزخ حياة أخرى ينتظرون انقضاء حياة البشر لنجتمع مرة أخرى سويا وندخل جنة الفردوس.

ذهبت إلى فاضل ودموعي نار تخرج من بركان غضب احترق منه بداخلي
اشتعل وكل معادن جسمي تنصهر وعيناي حمراوان وتنفر أوردة
جسدي وصلت ولم أجده إلا دكانه موصد عدت إلى بيته القديم مخزنه
العتيق اقتحمه.

لم أقزع بابه، أعطيته ضربة بكتفي فتح على الفور، لم أنتظر، ناديت
بأعلى صوتي، فتحت كل الغرف، اتجهت إلى غرفة القبو، ناديت ولم
يجب، وجدت باب القبو مفتوحا نزلت إليه مسرعا، النور باهت وجذته
واقفا في منتصفه بهدوء يشعل نارا بموقد صغير وعيق يغلي شيئاً ما،
ناديت عليه لم يجيب انقضت عليه بعيدا عن النار سحبته إلى ركن
داخل القبو ضربته في وجهه وانقضضت عليه بدأ يصد لكماتي
المستمرة.. وأنا لم أتوقف، بادرني لكتمة قوية أبعدني عنه.. وعدت إليه
أعلاوه بلكمات مصحوبة بدموع.. بدأ باسترخاء يده تركني لكتمة مرة
وأخرى إلى إن نزف كل وجهه، توقفت عندما لاحظت وجهه يختفي وراء
الدماء تركته وجلست حاولت تمالك أنفاسي لم أستطع، صدري
وصدره يتعاليان الدماء تتساقط منه على الأرض.. جالسين في أرضية
القبو الصخريه العتيقه... ثم هدا وتكلم:

ـ أنا آسف يا خالد... آسف على كل حاجة.

ـ بتتأسف على إيه ولا إيه.. أنت دمرتني.. أنا بقيت زي المجنون.. زي
إيه.. أنا بقيت مجنون فعلا.

ـ خالد صدقني أنت أعقل واحد شوفته في الدنيا... مكنتش متخيل
كمية النشاط العقلي اللي شوفته في دماغك.. نشاط وسع مدارك
عقلك خلاك تتخيل وتبني وتصور أشياء كانت بسيطة يارتني يا خالد

ما بدأت التجربة بالمرة، ياريتني ما عملت حاجه من كل ده أنا مُوت
اختي بآيدي أنا السبب في كل ده.. ودموعه المصحوبة بالدماء تساقط.
ـ فهمي بقى.. إيه اللي حصل واحده واحده.. وصدقني يا فاضل لو
كذبت على في حاجه أنا هموتك بآيدي وهروح في داهيه فيك.
ـ أنت فاكر أنه بقى فارق اموت ولا اعيش.. بس أنا هقولك اللي
يخصك.. اسمع وركلز معايا.

لم أكن أدرى ماذا يحدث لي عندما وجدت الكتاب والأعشاب والأسرار
التي وجدتها فيه، وعندما وجدتني يا خالد موافقاً على تجربتي..
أعطيتك التركيبة التي هي الآن عطر ممزوج ببعض المواد المخدرة
صنعتها لشغفي في المعرفة لتساؤلات كنت دائماً أريد إجابة عنها،
وللأسف لم أكن أدرى أن العقل والتخيل يعلمان بسرعة كبيرة عندما
صحوت من التجربة وسألت عن مني علمت أنك لا تدرك التفريقي بين
الواقع والحلم.. أعطيت لك فكرة صغيرة أن مني منتظراك وانتظرتك..
ماذا يحدث عندما يتم التلاعيب بعقلنا مثل ما يفعلون في الإعلانات..
يصدرون إلينا أجساد عارية من النساء في جميع إعلاناتهم.. ما علاقة
العطور والرائحة بالمرأة العارية ومنها السيارات والمرأة وأيضاً يتजسسون
 علينا في كل برامج التواصل الاجتماعي.. كان كل ذلك في عقلي وأردت
إجابة عليه، وجدت الفكرة تتفاقم في عقلك، لم أستطع منعك خشيت
من قول الحقيقة ليحدث لك أفالط من الجنون تعيش في عقلك داخل
محتوى لا تستطيع الخروج منه..
ـ يعني مني ماتت ازاي.. قلتها بحده وبعلو صوت محبوس داخل القبو.

_ مني ماتت يا خالد بسبي... أخذت جرعه من السموم اللي كنت
بعملها..

_ سموم...؟ سم الرئيسين...!

_ اه.. سم الرئيسين... هو ده مكنتش بجد عارف أنه سـم.. في ناس طلبو
منه كميات كبيرة مكنتش أعرف أنه بيأذـي حد.

_ وده بيكون من ايـه.. بتحضره ازاـي.

_ بحضره من حبوب زيت الخروع.. زيت الخروع اللي كل الناس بتشربه
لأغراض غير مضرـة.. حبة منه تتغلـى ويشرـب محتوياتها، تموت موت
بطـيء ببطـيء شـديد حتـى الأطبـاء يعجزـوا عـلى تشـخيص المـريض إـلـى أن
يمـوت.. وده اللي حصل مع مـنـي.

كانت دائمـاً بتسـاعدـني وفي يوم سـبتـها ودخلـت أعمل حاجـة وكـنت جـاـيب
زجاجـه فـهـا بـعـض من تركـيبـ الرئيسـين مـمزـوج بالخـروع شـربـته بالـغـلطـ
عشـانـ كانـ في نفسـ الأـعـشـابـ الليـ كانتـ بتـاخـدـها لـلـقـولـونـ.. اـخـدـتهاـ
وـاغـمـيـ عـلـيـهـ مـتـحـمـلـتـشـ وبـعـدـهاـ بـأـيـامـ تعـبـتـ وـاتـصـلـتـ بـيـكـ.. بـعـدـ
تشـخيـصـ الدـكـاتـرـهـ أـنـهـاـ (ـالـزـئـبـهـ الـحـمـرـهـ) وـديـ اـعـراـضـهاـ وـانتـ قولـتـليـ إنـ
الـجـسـمـ وـالـمـنـاعـهـ بـتـهـاجـمـ نـفـسـهاـ حـسـيـتـ إنـ يـمـكـنـ تـتـعـالـجـ بـسـ لـلـأـسـفـ
يـوـمـ مـاـ أـنـتـ فـوـقـتـ مـنـ تـجـرـيـتـكـ كـانـتـ مـاتـتـ شـوـفـتـ فـيـكـ أـنـهـاـ عـاـيشـهـ
مشـ عـارـفـ لـيـهـ حـسـيـتـ أـنـهـاـ عـاـيشـهـ جـوـالـ..

أـنـاـ اـسـفـ يـاـ خـالـدـ عـلـىـ كـلـ الليـ شـوـفـتـهـ بـسـبيـ..

_ طـبعـاـ أـنـتـ الليـ قـتـلتـ النـاسـ الليـ عـمـالـيـنـ يـمـوتـوـ دولـ..

_ قـصـدـكـ مـينـ؟

_ أنت عارف قصدي كويس، وأشارت إلى لوحته على الحائط التي تضم
كلا من الدميري... والمستكاوي.. والصفتي... والرجل المجهول الذي أصبح
غير ذلك.. رأيت قد وضع صورة مكانه، انتفضت مسرعاً لأرى من هو
الأخير من هو الذي سيقتلها وينهي حياته، من المحرك للعرايس وسيد
الطاولة.

صورة رجل كبير السن... يشبه أحداً أعرفه.. رأيته سابقاً.
سألت فاضل: مين ده؟
أجاب:

_ الجزء ده يخصني أنا يا خالد... كفايه اللي حصل ليك بسببي أنا
حكيتك اللي يخصك... القصه الباقيه دي قصتي... تخصني أنا... امشي
يا خالد... امشي اتجوز زهرة... عيش حياتك.. أما الباقي.. فأنسى... انسى
كل اللي حصل.. عيش حياتك وعوض نفسك.

_ مش هسيبك تضيع نفسك يا فاضل.

_ أنا ضعت من يوم ما كنت السبب في موت اختي.. وحبيبي.
_ طيب في طرق تانيه غير القتل.

_ صدقني.. الطريق ده مختروش بنفسي.. هتعرف كل شيء في الوقت
المناسب.

_ هو ده الوقت المناسب... ولو مش هتوقف اللي بتعمله أنا هبلغ عنك...
مش هتحقق اللي أنت عايزه.

نظرلي فاضل وفكرة في كلامي لابد لاختياره لن يحصل على ما يريد.

_ قبل أي شيء... أنت إزاي وصلت للقبوده إزاي عرفته..?
_ أنا حلمت بيها من ذاكرتك أو ذاكرة مني.

ـ كنت عارف انك هتوصل للمرحلة دي... ونظر إلى بدهشة
ـ مرحلة ايه..؟

ـ الانفصال الروحي.. قدرت تعمل إسقاط لجسدك النجمي.. وكمان
تدخل في ذاكرتي وتعرف معلومات عندي زي القبو.

ـ بص أنا مش فاهم اوي بس أنا حلمت بمعظم الأماكن وموقف موت
مني... القبو وجدك ومساعدته لبدو حمد الباسل.. هلاوس شوفتها
بسبيك.

ـ ودي هتبقي آخر حاجه هتشوفها يا خالد.. هتنام وهتشوف آخر
معلومات هسيبك تاخدها.. يمكن اللي يسمع الكلام ده يقول أني
مجنون.. بس أنت هتشوف كل الحقائق بعينك.

ـ قبل أي حاجه تعملها معايا... أنت عرفت آخر واحد في القائمه إزاي؟

ـ أنا اللي بلغت عن نفسي أنا كنت لازم اقرب منهم وعرفت منهم مين
اللي بيرجع كل المسرح ده بصوابعه وهما زي العرائس في ايده.
ازدت تستتا من كلامه ولكنني اعجبت بذكائه.. الصديق الوحيد لي في
الدنيا قاتل بري.. ولا أدرى ماذا أفعل.

أعطي لي كوبا... به مادة أرجوانية مخلوطة بماء دافئ شعرت بسخونته
بعد إعطائي إيه.. هل أثق فيك مرة أخرى يا فاضل؟ ظللت أحدث
نفسى.. دقائق وأنا أنظر إلى محتوى الكوب الذي ظل يتحرك يلمع أمام
عيني.

أخذ فاضل كوبا مثله.. أمسكه بيده.. شربه دفعه واحدة وبثقة.. أردف
 قائلاً: سوف ترى.

فعلت مثل ما فعل.. نام فاضل في قبوه ونممت بجواره.

ظللت هكذا نائماً، انتابني القلق صحوت مرة أخرى نظرت إليه فهو نائم ماذا أفعل لم لم أنم؟ تحركت وجدت نفسي طيفاً يطير.. فهمت كلمات فاضل أني أستطيع الفصل بروحي وتذكرت كل ما قاله فعلت مثلما فعلت مع جسد مني أو الذي كنت أطنه جسدها.. تركت جسدي.. نمت على جسد فاضل.. والآن نمت بالفعل شعرت بدوار وألوان الطيف تدخلني في دوامة. أغمضت عيني وفتحتها.

أرى فاضل.. أسرعت نحوه.. وجدته يحمل الكثير من زجاجات العطور.. يحملها في غلاف كرتوني نفس اللون الأرجواني ونفس الاسم waarheid ذهب قابل أحدهم سلم عليه وبابتسامات أخذ منه العطور وبادله بمبلغ أخذه فاضل... تركه الرجل وذهب.. دخل فاضل وراءه ونظر وفزع من شيء وذهب بعيداً.

ذهبت وراءه وجدت نفسي داخل طرقة أبواب في كل مكان عن اليمين واليسار.. أدخل بجسدي الطيفي داخلها أرى رجالاً عراة نائمون يمارسون الجنس مع عاهرات بعد عملهم وهو التدليك يأخذون استنشاقاً من عطره الأرجواني ينامون باسترخاء تام، دخل فاضل وتحدث مع واحد وهو نائم والآخر يتكلمون وهم نائمون.. ينتهي المطاف بآخر غرفة.. لم يدخلها فاضل ولكن حاولت دخولها فلم أستطع نظرت أعرف هذه الغرفة أنها غرفة بمركز spa نحن هناك الآن فاضل يعمل هنا.. ماذا يحدث.. أمسكت فاضل وجدته اختفى وصحوت وأنا تتعالي أنفاسي.. نظرت إليه فلم أجده.. ذهب فاضل، نظرت إلى ما كان يصنعه من الرئيسيين على الطاولة.. فقد أخذه.. أخذه وذهب لينفذ جريمته الأخيرة.. ذهب لينتقم لأنته التي ماتت من سم صنعه بيده..

قتله الندم وقتل معه ثلاثة وتبقى الرابع.. سينهي حياته بهذا المصحوق الأبيض.. أخذت الصورة الأخيرة المتعلقة بهذا الرجل أنظر إليه.. أتفحص شكله أرى له شهرا من أحد أعرفه عصرت دماغي.. حاولت البحث في القبو عن أي أثر.. أخرجت هاتفي واتصلت بزهرة.. لا يوجد شبكة..

خرجت من القبو مفروعا لم أتمالك نفسي..
اتصلت بزهرة.. أتت مسرعة وجاءتني عند البيت القديم ركبت معها السيارة، سألتني إلى أين الذهاب قلت لا أدري.
بدأت أتفحص جميع الأوراق التي أخذتها من القبو لعلها تساعدني على شيء، نظرت زهرة إلى الصورة في يدي وقالت:
الصوره دي أنا عارفاهما.. نظرت إليها سائلا.. مين ده قولي بسرعة..
_ في إيه يا خالد مالك أنت كوييس؟
_ بقولك.. فاضل هيقتله.. مين ده..
_ ده اللواء.. محمد النجار.. والد رئيس المباحث حسن محمد النجار
شوفت صورته في المكتب هناك.
_ تعافي نوصله ازاي؟

تذكرة الضابط إسلام.. أخرجت هاتفي اتصلت به.
أخبرته إن اللواء محمد النجار في خطير.. وأريد الوصول له.
أخبرني أن له شقة في التجمع الخامس يعيش فيها.. ذهبنا مسرعين نحو الشقة، وصل الضابط إسلام قبلنا دخلنا وصعدنا مسرعين سمعت صوت إطلاق نار، دخلت وجدت الضابط حسن واقفا وممسك مسدسه ويخرج منه دخان وجدت قتيلا ملقى على وجهه ذهبت مهرولا

نحوه وجدته فاضل غارقا في دمه، نظرت فوجدت اللواء النجار مبتسمـا
ووافقا بجواره إسلام مطأطئ الرأس وأنا أصرخ ويتعالى صوتي
بالصراخ.. لم أشعر بوجودي صوت الرصاص أفقدني الشعور بكل
شيء، أنا السبب وراء قتل أعز صديق قتله من أجل رجل يتاجر بكل
شيء حتى البشر.. فقدت نفسي وفقدت صديقي.
لم أر غير وجه فاضل غارقا في دمه وأخر ما سمعت صرخ زهرة في أذني.

* * * *

(١٦)

صوت الرصاص يدوي في أذني.. أصحو مفروعا فأجد زهرة واقفة فوق رأسي.. تتمسّك بي... دموع صنعت خطين من عينيها مروزاً بوجنتها. وجدت نفسي في مستشفى وغرفة منفردة الستائر تتطاير مع حركة الهواء.. الشمس تتسلل الستائر المتطايرة الباب فتح وأهلي جميرا حولي مواساتي أصبحت عادة في كل مرة يربتون على أكتافني يعطونني نصائح أعلمها ولا أعمل بها.. ذهبت زهرة بحياة مفرط من وجودها وسط أهلي، ذهبت ولم تعط إلا إشارة صغيرة، ما زلت أرى فاضل ملقى على وجهه وغارقاً في دمائها.. ما زالت مهني تلتف إلى ترموني بنظرة وبطئها الممتلئ بحمل مهني.. تنظر بوداعة.. تبسم وتذهب.

يعود الزمن أمام عيني.. يقوم فاضل من موته.. الرصاصة تخرج من جسده إلى فوهة مسدس.. نعود إلى القبو ويشرب فاضل شرابه بطريقة عكسية نتصارع أنا وهو.. وما زال الزمن يعود حتى غبت عن الوعي.. لم أشعر إلا ببرودة تخللني تنتشر في جسدي انتشار السُّم في العروق.. سمعت صوتا.. توقف تخلل البرودة في جسدي فتحت عيني على رجل أراه من خلفه... يلتفت بجسمه.. أجده..

إسلام.. الضابط إسلام..

_ حمد الله على سلامتك.. يا خالد.. جاءت اطمأن عليك.

_ الحمد لله..

_ كنت لازم تعرف إن ده هيحصل.. كده كده كان فاضل هيموت.. هما عرفوا إن فاضل هو القاتل.. سبوه يخرج من السجن عشان يموت.. لا سبيل من موته..

أنا رحت عشان أنقذه.. لقيتهم منتظرينه... صاحبك وقع في لعبة كبيرة
ما كانش قدّها..

وضع يده على كتفي..

- وأتمنى تنسى كل اللي حصل عشان مضيعش نفسك أنت كمان ذيه...
احنا مش قدّهم..

ذهب ولم يسمع مني كلمة، نظرات خوف كنت أراها في عينيه... ذهب
وتركتني وصل لي رسالة واضحة.. ربما تهديد.. أو خوف على مصير مثل
صديقي.

لم أرى زهرة إلا في صباح اليوم التالي، جاءت وطلبت منها إن تأخذني
إلى أهل فاضل.. لم أحضر دفنته.. لم أرأبويه اللذين فقداً أعز ما
يملكان في حياتهما.. بنتهما.. وبنهما.. سأكون ابنًا لهم.. سأحتمهما..
وسأسند ظهر أبيه الذي انحنى من بكانه عليهما.. دخلنا منزل فاضل...
القرآن يتعدد صوته في المكان..

آيات تتلى ودموع تتساقط.. علمت أنهم أخذوه من المشرحة في اليوم
التالي من قتلـه.. دفنوه في قبره.. أعطاني أبوه مظروفاً كبيراً به وصية
فاضل كتبـها لي... كتبـها ولا أحد يفتحها غيري.. كنت أعلم أنه سيترك لي
شيئاً فلـم أتفاجأ... كان دائمـاً يوصـيـني على أهله وأختـه.. وكـأنـه يـعـلمـ ما
سيـحدـثـ له .. أخذـته وطلـبتـ منـ زـهـرـةـ أنـ تـذـهـبـ بيـ إـلـىـ قـبـرـهـ.. نـفـسـ
المـوقـفـ يـتـكـرـرـ كانـ يـوـمـاـ ماـ حـلـمـ وـلـآنـ أـصـبـحـ وـاقـعـاـ أـعـيـشـهـ أـتـجـرـعـ أـلـمـهـ
وـحـزـنـهـ... ليـتـنـيـ أـتـحـكـمـ فـيـ وـاقـعـيـ وـأـحـلـامـيـ.. ليـتـنـيـ لـمـ أـعـشـ هـذـهـ الـأـلـامـ مـنـ
الـفـرـاقـ الـذـيـ رـأـيـتـهـ مـعـ مـنـيـ وـمـعـ فـاضـلـ.

رجعت هذه المرة على شقتي تركت المظروف الورقي الذي في يدي دخلت متربقاً شيئاً واحداً، هل فرعون حقيقي أم هلاوس هو الآخر.. دخلت أبحث عنه فوجدت صورة معلقة على حائط غرفة نومي كانت لي أنا ومني لم أجدها، علقت آية قرآنية مكانها لم أجد فرعون، لم أجد الهاوند الحامي لي نظرت إلى الساعة العتيقة فوجدتها لا تعمل لا تتحرك لا تكتك ولا تصدر صوتاً حتى.. عليها توقفت بتوقف قلبي... توقفت حداد على مني غير الموجودة.. أو فاضل الذي مات.. أو فرعون الذي اختفى، اندسست في سريري ألقيت نفسي ببلادة.. لا أريد شيئاً الهدوء الكوني يقتلني.. النشاط الذي كان يعمل به عقلي توقف... لا أفكر... لاأشعر.. أريد أن أستريح... ولكنني خائف من النوم.. خائف من نفسي ومن روح تقتلني في نومي.. فقدت السيطرة على نفسي. تراخي جسدي نهائياً.. سمعت صوت نباح فرعون يصدر لعلي نائم أحلم أهلاوس.. أتذكر أشياء متداخلة.. شعرت بلعاق في وجهي، فتحت عيني وجدت الهاوند خاصتي فوق فرعون حقيقي ليس هلاوس، عانقته كدت أخنقه عناقاً فرحت فرح طفل يريد لعبة وحصل عليها.. الهاوند لم يكن هلاوس بالفعل هو حامي روحي لم يتخل عنني في هذه الظروف.. أمسك فرعون المظروف الخاص بفاضل بفمه.. أصدر نباحاً لعله يأمرني بفتحه.. أخذته منه.. جلست في صالة الشقة على أريكة مريحة أشعلت التليفزيون أمامي وقللت تردد الصوت.. أحضرت قهوة بجانبي.. فتحت المظروف الورقي.. وجدت صوراً لي أنا وفاضل ذكرياتنا القديمة، وجدت نفس الدائرة المرسومة وبها صور الأربع المواتي.. أو بمعنى أدق القتلى.. إلا رابعهم فهو قاتل فاضل هو وابنه..

ووُجِدَتْ أَجْنَدَةٌ صَغِيرَةٌ الْحَجْمُ سُودَاءُ فِي حَجْمِ الْبَاسِبُورِ أَوْ رَاقِهَا كَثِيرَةٌ
فَتَحَطَّهَا.. أَوْلَ صَفَحَةٌ هُنَاهُ:
إِلَى أَخِي.. وَصَدِيقِي.. خَالِدٍ.. هَذِهِ الْكَلْمَاتُ لَكَ أَنْتَ بِالْتَّحْدِيدِ.
وَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْكَلْمَاتَ فَأَنَا إِلَآنْ مِيتُ.. لِأَجْلِ ذَلِكِ.. كَتَبْتَ لَكَ
كُلَّ شَيْءٍ.

* * * *

(١٧)

الصفحة رقم (١)

في ٢٥ ديسمبر سنة ٢٠١٩

ذهبت لعرض عطري المميز والذي كنت فخورا به إلى أحد تجار العطور في القاهرة.. اختبره وشم رائحته المميزة.. أعجب به ولكنه لم يأخذه.. بحجة أنه لا يعمل إلا في المستورد.. كان يحضر حديثنا رجل أمسك بالعطر واستنشق رائحته رشها ثم أردد.. تقدر تعمل منه كميه قد ايه؟ اندھش التاجر.. الذي خسر صفة كانت في يده منذ لحظات.

أجبته: عايزة شوية وقت وأنا هحضر اللي أنت عاوزه.

أعطاني رقمه ومكان ما نتقابل فيه بعد تجهيز الطلبيه.

وقال: اختراسما مناسبا لهذا العطر... رجعت واختترت اسم waarheid ... كنت بالفعل شغوفا بالحقيقة الأفريقية.. وطلب معرفة اسم الزهرة التي أحضرها منه فرفضت.. نظر إلى بابتسامة عليها إعجاب وذهب..

عدت إليه في الموعد المحدد ومكان قد وصفه لي هو يفتح مركز كبير للترفيه والتسلية وغيره.. علمت منه إن اسمه عدل بي.. صعدت الدور العاشر واعطيته العطور الخاصه بي.. وأعطياني مبلغا كبيرا أكثر من الذي طلبته ثلاثة أضعاف... فرحت.. ولكنني انتابني الخوف.. وكالعادة سألت نفسي مائة ألف وخمسين سؤال.. وعلمت الإجابة فيما بعد لماذا يعطيني عطاء من لا يخاف الفقر.

الصفحة رقم (٢)

علمت أن عدلي بيه كما ينادونه يستخدم عطري لشيء ما عرضت عليه أني أستطيع تحضير نوع خاص وفريد من العطر له نفس الرائحة ولكن يعطي مفعولاً أكثر من الذي تريده.. قلتها بثقة عالم في العطور.

رمقني بنظرة وتحدى: أعطاني عينة وسأتحدث فيما بعد.

عدت هذه المرة أضع فقط مستقبلي أمامي كمية الأموال التي سأحصل عليها ستغير حياتي.. سأصنع خليطاً قوياً من الایوغـا والدوـبا سأصنع وأعطي له..

بعد أخذـه للعـطر الجـديـد انـدـهـش.. وـقـالـ:

- انت عارف المدهش إيه في عـطرـك يا فـاضـل.. وأـجـبـته سـائـلـاً... ايـهـ؟ يا عـدـلي بيـهـ!..

- إنـ العـطـرـدـهـ لـهـ تـأـثـيرـاـقـويـ منـ الـافـيـوـنـ وـالـحـشـيشـ وـالـبـدـرـهـ.. بـسـ الحـكـوـمـهـ مـتـعـرـفـشـ تـثـبـتـ أـنـهـ مـخـدـرـ حـاجـهـ خـاصـهـ وـفـريـدـهـ... رـدـدـتـ عـلـيـهـ بـقـولـ.. آـهـ صـحـ.

ذهبت وأنا أحـدـثـ نـفـسيـ ماـ الـذـيـ اـفـعـلـهـ وـمـنـ أـجـلـ مـنـ وـلـمـاـذـاـ أـصـنـعـ مـخـدـارـتـ فـرـيـدـةـ مـنـ نـوـعـهـاـ... أـسـاعـدـ نـفـسيـ بـأـمـوـالـ مـنـ هـذـاـ الطـرـيقـ.. عـزـمـتـ أـوـلـاـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ مـاـ الـذـيـ يـصـنـعـهـ بـهـ هـذـاـ الرـجـلـ أـنـاـ الصـانـعـ الـوـحـيدـ.

ذهبت هذه المرة دون عطور وتحدى بنبرة مفعمة بهدوء مصطنع.. أنا لن أصنع مرة أخرى هذا العطر إلا بعد معرفتي بما يحدث.. نظر إلى وابتسم.. وقال: وأنا كنت منتظر منك كذلك.

ازدلت اندهاشا من هذا الوجه الأجنبي في شكله ذهبت وراءه دخلنا في طرقة طويلة.. وقال: انظر. نظرت.. رجال هادئون نائمون وغيرهم كل واحد في غرفته بجواره فتاة لبسها قليل عارية بشكل مفرط.. رجعنا إلى المكتب.

- كل الناس دي عايزين يرتاحوا.. الناس دي مش زيك يا فاضل دول عايشين في مكان تاني خالص.

uaiشين في يوتوبيا خاصة بهم.. فئة كده من مدن مش هتسمع عنهم غير في TV وعايزين يخرجوا من همومهم بالنوم والهدوء... وانت عطرك مميز فعلاً ويساعد على ده..

أقعني بكلامه المعسول فأنا لن أضر أحداً من هؤلاء..

وطلب مني ببلادة بعض حبوب زيت الخروع المصحونة.

لم أكن أدرى ما يفيد زيت الخروع لهذا.. ولم أشغل بالي به، جمعت الكثير من حبوب الخروع.. صنعتها مسحوقاً أبيضاً بعد طحنها وغليتها لتصبح قطرات مميزة وأنا لم أع ما أصنعه.

أخذت أخي مني كوباً منها بالخطأً بعدها نقلت إلى المستشفى وكانت على ما يرام.. وازداد إعياوها بعدها بيوم واحد عندها اتصلت بك يا خالد والباقي أنت تعرفه.

شككت في الأمر بحثت عن مفعول حبة الخروع الذي أخذته مني.. رجعت إلى مرجع الوحيد كتاب جدي صالح الذي فسر كتابه اللاتيني وكتب وجود سم في هذه الحبة بالتحديد.

تصفحت كثيراً وقرأت على تكوينها وجدتها بها مادة الرئيس RAC المسممة.

كل ذلك حدث بالفعل.. أختي أصبحت في عداد الأموات.. قرة عيني..
وابنتي.. وحبيبتي.. قتلتها بيدي.. عزمت على التضحية بنفسها في سبيل
أخذ حقها مني أولاً وثانياً منهم وأولهم عدلي المستكاوي..

* * * *

الصفحة رقم (٣)

ذهبت إلى المستكاوي لإعطائه زجاجة زيت الخروع بدون حبوب ولا
سم.. لا أعلم إلى أي مدى سيذهب هذا السم.. سأعطيه لأرى من هم
 أصحاب الأهداف المطلوبة.. القتلى المنتظرين.. الضحايا.

كنت قد أخذت من عدلي وظيفة أخرى وهي استخدام عطري بشكل
مختلف.. وهو استخراج المعلومات من هؤلاء النائمين.

لم أفهم ما يريد في التحديد في بادئ الأمر ولكنني علمت ما يريد، لقد
كنت أدخل على الشخص منهم متحرر من كل شيء من ملابسه التي
تجردت بعد خلعها بعد ممارسة أهلكته وأهلكت عضلاته وهي المرحلة
الأولى الاسترخاء التام وهي الخطوة الأولى وضع زيت معطر ومخدرا في
غرفته يسترخي.. يترك عنانه لأنثى تلعب بأصابعها على جسده يزداد
انهياره يستسلم لها.. والمرحلة الثالثة.. ينقض هو عليها كفريسة وينهي
حياته بحمض лактик الذي يصيب جميع عضلاته يستنشق عطري
الأرجواني ينام منغمسا.. وهنا يأتي دوري مستخرج المطلوب.

شيء يشبه التنويم المغناطيسي.. مهمتي كانت واضحة.. كنت أدرسهم
دراسة مفصلة.. حياته وتفاصيلها... زوجته وعلاقتها بها.. أولاده،
عدهم وعلاقتهم..

لي أمر مباشر.. من عدلي بيء.. أريد معلومة لا أحد يعلمها غيره.. كنت بارعا في هذا الأمر.. والفضل يعود إلى تجربتك يا خالد.. لقد رأيت الكثير منك وساعدتني في هذا الأمر بشكل مفрط.

ولقد حاولت.. فعل شيء آخر ولكنني فشلوك فيه إلا معك.. وضع فكرة.. كما نستخرج المعلومات بهذا الشكل.. نستطيع وضع أخرى مكانها... فكرة وتغيير قناعات... تحديد مصلحة مشتركة تفيض فئة معينة.. نوع فريد وغامض لقد كان الستار جميعه مغلق أمامي من هؤلاء.. ولماذا كل ذلك.. أعطوني أموالا فتحت بها دكانى ولا أعلم مصدر ما أفعله.. كنت أعلم معلومات عن رجال أعمال يجعلهم يسجنون ما تبقى من حياتهم.. ولكن لن يحدث طالما يستمعون إلى ما يوجههم.. وإذا لم يسمع أحدهم الكلام التوجيهات.. التعليمات التي تجعله باقيا.. يستخدمون أسوأ الطرق.. وفي نهاية المطاف إما استخراج ما تبقى في عقله أو الموت البطيء بسحر الرئيسين وهذا الذي لم يحصلوا عليه مني.

* * * *

دخلت وجدهم مجتمعين.. كنت أدخل حسب تعليمات المستكاوي من الباب الخلفي باب يوازي لمدخل العمارة وأيضاً تصعد منه مومسات الليل التي تعمل في الخفاء وعلمت أن التي تنظم هؤلاء أنها الراقصة نرمين الساكنة في نفس العمارة.

دخلت وسمعت صوتاً يتعالى في الغرفة المحسنة ممنوع الدخول إليها ذهبت من جهة أخرى لهذه الغرفة، فتحة تهوية دخلت من غرفة التي بها الاستحمام الجاكوزي صعدت على سلم ومنه إلى سندرة توصلي لهذه الغرفة المتصلة مباشرةً مع غرفة المستكاوي بنفسه.. ونظرت من هذه الفوهة.. كان أصواتهم تتعالى.. لم أميز أشكالهم بالتحديد صمتوا جميعاً وكان من بينهم المستكاوي.. صمتوا عند دخول رجل لم أر وجهه.. وقفوا إليه موقرينه... أمرهم بالجلوس.. وكأنه كبير الكهنة في المعبد.. بدأ بالتحدث عن كل غير مشروع في هذه البلد.

أولهم.. كان الصفي.. وكان أصغرهم سناً وأهمية.. كان مخلصاً في الجمارك كل المطلوب.. كل شيء غير مشروع يدخل لهذه البلد... المخدرات والسلاح.. والدعارة وغيرها يدخل عن طريق الصفي.

يليه الأكثر أهمية.. الدميري هو صاحب الشركة التي يستورد من خلالها هذه التجارة.. والتعامل مع الجانب الأفريقي كان من أولوياتهم.. والباشا الذي يتحدث والذي لم يكتشف اسمه إلى الآن له أهمية كبيرة في كل ذلك فإذا تعرّض أحدهم في شيء يعلق بقول.. لا تقلق... سأجده بمحالمة واحدة.. أما المستكاوي فهو الدعارة في أشكالها المبتكرة يستخدم نرمين

في اصطياد كل هؤلاء البنات وبالاخص العذارى.. وهذا نوع مفضل
وغال لجميع الزبائن.. وأيضاً المستكاوى له طرقه المختلفة لقتل
المستعصين وأحدث الطرق المبتكرة هي حبوب الرئيسين التي علمت
مؤخراً بوصية جدي لي تجاهها.

قالها لي و كنت صغيراً: يا ولدي احذرها واحذر طالها) لقد أخذت
بوصيته مؤخراً.

والغريب في الأمر أن اسعي ذكر في هذا المجلس عندما ذكره المستكاوى
بقول: وقراركم إيه في الولد بتاع العطور ده... احنا خلاص عرفنا
التكوين للمخدر بتاعه وبدائنا نصنعه... ونوزعه في السوق.. ده محقق
ارياح مذهله... والسوق كله بيطلبـه.. قالها المستكاوى وهو يتجرع
التكيله في كأس زجاجي... أصبح بديل ممتاز لينا ونوفر استيراد العطور
المخدرة شويه.

رد عليه: هو حضر المطلوب منه.. كلـه يا عدى أخذ نفساً عميقاً من
سيجار لم أره ولكني رأيت دخانـه... كان هو البasha المختفى الذي حاولـت
الوصول إلى وجهـه ولم أستطع رؤيـته.

- حصل يا باشا... وجايـه وجايـه امـهارـه.. رد الدميري لازم نخلص من
اللـواد ده... هيبقـي خطرـلو قربـ زيـادـه من المـكان.
رفع الصـفـتي يـده وقالـ بـرـجـرـجـةـ فيـ لـسانـه:

بعد اذنـ معـالـيكـ ياـ باـشاـ.. إـحـناـ نـديـ لـلـوـلـدـ دـهـ قـرـشـينـ وـنـمـشـيـهـ.. ثـمـ
رمـقوـهـ جـمـيـعاـ بـنـظـرةـ.. انـكـسـرـ وـجـهـ عـلـىـ صـدـرـهـ وـسـكـتـ.
وـتـحـدـثـ البـاشـاـ بـدـخـانـ سـيـجـارـةـ:

- اخلص منه يا عدلني وبسرعة.. ومهدوء من نفس اللي هيجبه أنت
فاهم طبعا.

- فاهم معاליך يا باشا... فاهم.. قالها المستكاوي.. وصممت.
نزلت مسرعا من على هذا المكان... أسرعت في نزولي وقعت من فوق
السندرة في حوض استحمام.. خرجت مسرعا إلى خارج المركز خوفا
منهم.. نزلت ولم أستطع انتظار المصعد نزلت وقابلت المومسات أمام
شقة نرمين التي لم أرها إلا مرة واحدة في ذلك اليوم.

* * * *

صفحة رقم (٥)

انغمست في خوفي.. حياة مني التي ستنتهي... موتي المترقب.. من هؤلاء
الكبار.. يسرقون أحلامنا... و كنت أساعدهم في سرقتها.. يوزعون
المخدرات في شكل عطور وصنعتها بيدي... ساعدتهم من أجل مال
أصرفه الآن على علاج أخي مني.. قتلتها بيدي تحضيري لهذه السموم
ووصية جدي التي القيت بها عرض الحائط.
وكان القرار.. إما الموت.. وهذا سيحدث لا محالة.. وإما انتقامي لأخي...
وأتخلص من عدو لي سيكون هو عزائيل بالنسبة لي.. (أنغدا بهم قبل
ما يتعلموا شيئا).

قررت على ذلك وستعلم ما سيحدث يا خالد..

قلبت صفحات التالية

* * * *

لم يكتب شيئاً.. فارغة.. قلبت في الأجندة الباسبوسية فلم أجد إلا فراغ يتخلل الأوراق البيضاء ليس إلا خطوط بالعرض تسطر الأوراق..
قفلت الأجندة ولتحت الكلمات في نهايتها آخر ورقة فيها..
(عقلك هو الخلاص يا خالد)

انت كنت البداية ستكون النهاية.. دور جوال وتهتعرف كل التفاصيل.
هذا ما كتب.. لم أفهم شيئاً.. ماذا يقصد فاضل من كلامه.

ألقيت كل ذلك من حولي.. بدأت تتداعى الأفكار في عقلي.
اجتمعت خيوط العنكبوت المترفرفة إلى مصدرها وهو فاضل جميع الأطراف جمعها في أجندة باسبورية صغيرة ويتركني في هذا الأمر.. يتركني وينذهب دون عناء لعل الموت يا فاضل كان أسهل طريقة لوضعي تجاه نفسي وسيكون عقلي هو الخلاص ولعل أيضاً الخلاص هو الموت بالنسبة لهذا العقل المريض بالهلاوس والحقائق المخضبة بالدماء.
وتحمل زهرة في معرفة حقيقة أبيها.. والحمل الأكبر في إخفاء حقيقة أبيها عنها لأنه لا يوجد ما يفيد في أي شيء برغم كرهي له الذي ازداد بمعرفة حقائقه المشينة وتجارته لكل شيء لكي يحصل على المال.
أرسل لي إسلام وحسن بيه القاتل لصديقي بحجة تقبيل المحضر وكانوا يرمونني بالنظرات عليهم يطمئنون على حياتهم مني.. وعزمتهم على فرحي أنا وزهرة قريباً لأضع الطمأنينة في قلوبهم.
وأنا لم أكن أدرى أي فرح أتحدث عنه في هذه الظروف.

زارني زهرة بعدها بأيام لطمئن علي وفاجأتها بطلب يدها للمرة المائة
قبل رفض أبها والثانية بعد رفضه والأولى بعد موته ..
كان هو العقبة الوحيدة.. ثم مات فأصبح موته هو العقبة الأكبر...
وقتله صديقي فأصبح قتله أكبر العقبات.. وحقيقة القندة أمست لي..
مسؤولية أكبر وأكبر.. روحك لن تهدأ أهلا الدميري بزواجه لزهرة وأنا
أعلم ولكن أعلم أنت أيضاً أنني ممسك هذه الروح في يدي وكأني
عزرائيل لن أفلتها مني بسهولة ورضيت أم أبيت سأتزوجها ولن تتفلت
روحك من يدي ولن أترحم عليك ولن أزور قبرك إلا بعد أن تهدأ هذه
الروح المسجونة في قبضتي.

* * * *

(١٨)

لقد وافقت أم زهرة على زواجنا.. كنت أرى الفرحة في عيون زهرة وأهلي حتى أم زهرة التي علمت أن في هذا الأمر فرحة ابتها. كانت هذه الأيام حافلة بالابتهاج والسرور، كانت مليئاً بإلقاء الزغاريد في بيتنا من أبي وإخوتها.. وكانوا يقولون أخيراً هنفرح بيك يا دكتور.. كنت أتذكر الزواج الذي لم يحدث مع مني.. كنت أتذكر فاضل في جميع أوقاتي.. كنت أرى في أركان الشقة مني التي تحمل في بطئها أبداً مني، كل ذلك الافتراضات كان عقلي يصنعها وكوّن الفكرة وصدق عليها وعاش بها.. أيام لن تنسى.. وصديق فرط في عمره لأجل أخته الصغيرة.. كانت تصحية تجعلني أزور أباه وأمه كل يوم تقريباً.. لم تكن هذه الأيام تملأ قلبي وعقلي غير قرار واحد هل سأترك هؤلاء القتلة أو سأنتقم لمني وفاضل.. وأنتقم لجميع البشر من الشر أو جزء بسيط منه يتخلل حياتنا.. لعل الشيطان بكل صوره يتمثل في هذا النجّار الكبير اللواء محمد النجّار الذي يدير الكثير من أسواق الشر.. من الدعاية.. والسلاح.. وحتى المخدرات دمرت عقلي أنا شخصياً.

أصبحت عطوراً بنكهة مختلفة.. عطور بنكهة المخدرات.. تتخلل رأسي تصدر لي أوامر الملاوس والأفكار، ولعل سرقة الأحلام والأفكار منها أصبحت تجارة جديدة كنا نخاف من السرقة المعلوماتية.. مجرد بيانات شخصية معظم الناس يعلمونها.. أو الـhacker الذي يخترقون جميع هواتفنا.. وحواسينا... الآن سرقة جديدة.. سرقة ما بدوا خلنا..

أحلامنا... وأفكارنا.. وكانوا يريدون أيضاً وضع شيء آخر فهمها.. يزرعون فكرة مثلاً.. يغيرون قناعات.

كل هذه الأفكار كانت تراودني. تحاوّط عقلي.. تحبسني داخل فكرة واحدة.. وجملة واحدة تردد داخلي.. جملة فاضل الذي كتّبها في وصيته لي في أجننته الباسبروية.

(عقلك هو الخلاص.. كنت البداية.. وستكون النهاية) عن أي بداية يتحدث.. وأين هي النهاية التي أنتظّرها؟ هل سأموت مثلاً؟ سأحاول قتل هؤلاء بخنجر فاضل القديم.. أو سأنتقم لهم وسأدخل السجن مدى الحياة.. أو ربما أصاب بالجنون وستكون هذه هي النهاية الحقيقية لي.

ظهرت زهرة بفتحة تحت بيتنا بسيارتها الحمراء، أعطت كلاكسات أصابت الشارع بالضوضاء نزلت لها مسرعاً وهي في سعادة طفل ذاّهباً إلى رحلة المدرسة السنوية.

_ يلا يا أستاذ عشان تختار معايا الفستان.

ابتسمت لها وأنا اسمع دقات قلبها الذي كاد إن يخرج من صدرها فرحاً ممزوج بخوف وترقب من اقتراب الفرج.

_ طبعاً يا زهرتي.

ابتسمت ابتسامة أضاءت أسارير وجهها.. كنت أراقبها وأنا أجلس معها أضع يدي عليها وهي تقود السيارة تزداد تبسمها.. وقفّت بفتحة ونزلت وجاءت من الجانب الآخر من السيارة وقالت:

_ ممكن تسوق انت؟!

وافقت على الفور.. واستبدلنا الأماكن.. وسألتها عن السبب فقالت:

ـ أنا حاسه أني بحلم يا خالد... كل ده يحصل... هبقي معاك..
عالطول... مش مصدقه نفسي..

كانت يداها ترتعش بشكل مفرط..

أمسكت أصابعها وتخللتها بأصابعه صنعوا سويه قبضة حديدية و كنت
أداعبها بأصبعي.. تبتسم ويزداد حمرة وجهها.. ومرت هذه الأيام بسرعة
واقترب ميعاد الفرح.. لم أبدل جهدا في شيء.. علمت زهرة أنها ستعيش
معي في شقتي.. ووافقت أمها على ذلك بعد تمسكي بهذا الأمر وبشكل
قطعي.. والفرح ومحظياته فقد تكفل به أبي أخرج معاشه كله لي..
قبلت يديه وعلمت أن ليس الثروة في المال.. وجود أهلي بجواري أهم
وأغنى من أي مال.. وجلست هذه الأيام مع بيتي كنت أنام في حضن أمي
حتى أغوص تغطيوني وتذهب كنت مثل طفل كان تائماً منذ سنين..
انقضت حياتي بين هلاوس وأنفاس.. بين حنق من نفسي ومن الآخرين..
كل ذلك حدث وما زال عواقبهطاردني.. تقبض قلبي ليلاً وتزورني مني
من حين لآخر.. ويبيقي فاضل في أحلامي يوصيني عليها ويقول جملته
الأخيرة.

عقلك هو الخلاص.

الأيام تمر وموعد الفرح يقترب.. أفت من نومي الذي يمتلئ بالكوابيس..
والجاثوم الذي يطاردني.. ازداد في اختناق أحاول التخلص منه وأصحو
على تردید آية الكرسي لأنخلص من شيطان آخر غير الدميري والنجار..
العقارب والغرابان تنهش في لحمي.

تحكم علي بالموت بمنقارهم منذ إن رأيتهم يفعلون.

حاولت تنظيف الشقة قابلي مظروف فاضل لا بد من إخفائه، حرقه، لو قرأت زهرة ما فيه ستعلم كل شيء عن أبيها وعن فاضل تفاصيل ستمرر الحزن لها سيجري ينبعه في دمها وتتجدد أحزان نحن في أشد الغنى عنها في هذه الأيام.

أخذت المظروف ومحفوتياته أفرغت ما فيه وأمسكته وألقيته في سلة المهملات، سأتخلص من كل ذلك ولكن في إلقاءي له سمعت صوت ثقل يضرب في أرضية السلة، أخذته ثانيةً فتحته ليس به شيء، قطعت أوراقه وفتحته، وجدت عملة معدنية قديمة تعود سك هذه العملة إلى سنة ١٩٠٠.. أخرجتها وجدت كارت بجوارها ورقة بيضاء كتب عليها أرقام.. عدد هذه الأرقام ١١ رقمًا هم كما توقعت رقم هاتف لأحدهم. أمسكت هاتفي مسرعاً.. طلبت الأرقام.. ظهر على شاشتي اسم.. إسلام بييه.. هذا رقم الضابط إسلام.. رد علي في مكالمة لم تستغرق دقيقة.

سألني هل تريد شيئاً.. وأجبته أني أذكره بموعده فرحي الذي نسيته أنا شخصياً.. وقفت ودارت التساؤلات مرة أخرى في خلدي الذي أصبح في دوامة من الماء المختلط الآسن.. اختلط كل شيء.. رائحة الدم تفوح منه.. أريد تنقية كل ذلك وإنما فلن أعيش هادئاً لا بد من توقيف هذه التساؤلات وإنما سأصاب بالجنون ولن تهدأ أرواح فاضل ومني ولا حتى أرواح القتلى وبالخصوص الدميري.

لماذا يترك لي فاضل رقم إسلام.. وما علاقته به من الأساس.. وما سر هذه العملة المعدنية.

طللت أبحث في أوراق فاضل صورنا المجتمع ذكريات لم أنس محتواها كلمات فاضلعني وما حدث في تجربته العملة المعدنية..

أمسكتها بيدي، كما أتمنى التحكم في الزمن أرجع إلى الوراء أنقذ مني من سم صنعه أخوها وأنقذه من هذه التجارة ولا أدرى هل أستطيع فعل ذلك أم لا.. غفوت مكاني وصحوت مفروعاً من الجاثوم الذي يريد خنقني، هذه المرة امرأة تصبح مموهة لم أستطع تحديد ملامحها.. وكما قال سيجموند فرويد: (إن الأحلام هي وسيلة تلجاً إليها النفس لأشباع رغباتها ودفاوعها المكبوتة خاصة التي يكون أشباعها صعباً في الواقع). لم أعرف إلى الآن ما أصعب شيء أريد تحقيقه لعل إعجابي بمني صنع لي مبررات كما قال فاضل.. مبرر أن أبقى بجوارها.. مات في حلمي.. فمات في الحقيقة..

ما زلت أمسك أجندته في يدي.. أتذكر كلماته لي.. أمسك عملته المعدنية.. العملة سكها سنة ١٩٠٠.. قديمة مثل الخنجر، فاضل كان يريد مني الذهاب لبيته القديم كان يريد أن يقول شيئاً لا أحد يعرفه.. جمعت أغراض فاضل.. وأخذتها.. سأنطلق إلى بيته القديم.. فتحت باب شقتي وجدت زهرة أمامي.. مبتسمة.. وأردفت:

ـ إيه ده أنت قلبك حاسس أني هطب عليك فجأه.. إيه اللي في ايدك ده وايه الورق الكتير ده.

نظرت لها.. ما زالت تتفحصي بعينها.. تسأله.. وأخرجتها من شرودها:

ـ دي اوراق خاصه بفاضل ووصيته.

ـ أنت رايح فين.. أنا جايه أرتب معاك الشقة!

ـ تعالى نروح مشوار الأول.. أخذتها من يدها وذهبت إلى البيت القديم.. طلبت منها أن تنتظرني في السيارة ولا تتحرك منها.. سوف أعود في الحال.

دخلت البيت ودلفت داخل القبو وأنرت مصباح النيون القديم.. وأكملت النور بضوء كشافي..

كنت ممسكا بالعملة المعدنية.. أمرها بين أصابع.. أبحث عن أي شيء يدلني على دليل.. رمز.. عالمة.. وجهت نور كشافي في الأرجاء.. ما زالت اللوحة الورقية معلقة على الحائط والدائرة الكبيرة.. وخبر محاولة قتل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية باراك أوباما بـ RAC.. وضعوه في مظروف ورقى بعد فتحه مباشرةً يتناثر البويرة في أنفاسه يستنشقه يتخلل رئته ينづف بعد يوم أو يومين يدخل في نزيف رئوي تجتمع الدماء داخل محتواه ولا يستطيع التنفس.. مثل الذي حدث مع الصفي ومحاولتي لإنقاذه المحاولة التي كادت تكلعني خمسا وعشرين سنة مع الأشغال الشاقة.. في سجن طرة كما توقعت.

لعل الدميري مات بهذه الطريقة أيضًا... الاستنشاق الذي أصابه..

اقتربت بكشافي لمع شيء أمامي انعكس الضوء اقتربت منه عمله معدنية نفس العملة التي تركها فاضل في وصيته.. على كتاب مجلد بجلد عتيق.. أخذت العملة.. وفتحت الكتاب يتحدث عن الأعشاب والخلطات مكتوب بخط اليد ريشة وحبر قديم.. هذا ترجمة الكتاب القديم الذي ذكره فاضل عن جده ترجم الكتاب اللاتيني قلبت في الكتاب.. مرقم بأرقام عدد الورق.. ولكن بعض الأرقام عليها عالمة دائرة، أسرعت في تجميع هذه الأرقام.. كتبتها في أجندته التي معي، ما زالوا أحد عشر رقمًا.. ما هذا هو رقم الضابط إسلام.. ما السروراءك يا إسلام وما دخلك بهذا كله.. أكملت قلب صفحات الكتاب وجدت

ورقة سقطت من الكتاب ورقة بيضاء حديثة أمسكتها من على أرضية متحجرة وجلست أقرأها..

هي لنكمل ما بدأناه من تجارب يا خالد.. لم تنته بعد، إذا كنت تقرأ هذه الورقة فقد وصلتك وصيتي.. تريد إن تعلم ماذا حدث وكيفية قتل هؤلاء الحمقى.

بعد هروبى الطويل.. منهم.. لم تكن معلومة وجودي في الفيوم معلوم لديهم.. وأيضاً المستكاوى لم يكن يعلم رن على هاتفي كثيراً.. كنت تائماً بين خوفي على مني وخوفي على نفسي وانتقامي.. كنت على وشك أن أحدهم ولتكنك كنت في عالم آخر.. ولكن الغريب كنت تساعدنى بأفكار كثيرة أعلم أنك لم تذكر هذه المقابلات ولم تدركني الذي وجد لك هذه الشقة التي تسكن فيها.. وظللت تتحدث معي على أنه متزوج من مني لم أستطع البوج لك بالحقائق في هذا الوقت أما الآن سأقول أهم حقيقة.

في نفس الليلة التي سمعت عن قتل الدميري والد زهرة وهذه المعلومة للأسف علمتها بعد فوات الأوان.

ذهبت إلى المركز أحضرت معي الرئيسين.. لإعطاء المستكاوى ما يريد بطريقتي الخاصة.

صعدت من المدخل المخصص للمركز بعيد عن الجميع حتى وصولي للدور العاشر.. كنت أعلم أن الاجتماع لا يتم إلا بعد منتصف الليل في شتاء شهر يناير.. ذهبت في التاسعة مساء حتى المستكاوى نفسه لم يحضر إلا بعد العاشرة.. دخلت كما يدخل حرامي محترف.. ووصلت إلى

غرفة المستكاوي ومنها إلى باب آخر خشبي صغير.. دلفت منه إلى غرفة الاجتماعات المسوّمة.. وجدت طاولة دائرة كبيرة في منتصف الغرفة وتحيطها أربع كراسى مبطنة بالإسفنج والجلد المريح في يمين الغرفة بار به جميع أنواع الخمور والصودا.. تحيط الغرفة أربعة قوائم وضع فيها زيوت عطرية وتشتعل النار فيها لتعطير الغرفة.. ذهبت لزجاجة التكيلة التي كانوا يشربون منها المرة الفائتة.. أخرجت ما أحضرته في سرنجة كبيرة مملوءة بالريسين، غرسـتـ سـنـ السـرنـجـةـ فيـ مـعـظـمـ الزـجاجـاتـ وـاحـدـةـ تـلـوـ الأـخـرـىـ وـقـمـتـ بـدـفـعـ كـمـيـةـ مـنـاسـبـةـ مـنـ الـرـيـسـينـ وـقـمـتـ بـرـجـهـ جـيدـاـ.. وـلـمـ أـنـتـهـ بـعـدـ، سـأـقـيمـ لـهـمـ حـفلـةـ أـخـرـىـ عـلـىـ ضـوءـ الشـمـوعـ، أـخـرـجـتـ الـرـيـسـينـ الـمـصـحـونـ وـلـونـهـ الـأـبـيـضـ وـوـضـعـتـ عـلـىـ كـلـ قـائـمـ مـنـ قـوـائـمـ الـزـيـوتـ الـعـطـرـيـةـ الـمـحـرـقـةـ لـتـصـبـحـ هـيـ الـأـخـرـىـ عـطـورـاـ بـنـكـهـةـ الـرـيـسـينـ.. كـنـتـ أـعـلـمـ مـاـ سـيـفـعـلـهـ الـرـيـسـينـ مـنـ لـاـ يـقـتـلـهـ الـمـشـرـوبـ سـيـقـتـلـهـ الـاستـنشـاقـ الـمـحـتـرـقـ.. سـيـبـقـ فـيـ رـئـتـهـ وـالـذـيـ عـلـمـتـهـ أـنـ سـيـمـوـتـ لـاـ مـحـالـةـ.. سـيـختـنـقـ فـيـ دـمـهـ.

وخرجت مسرعا.. وودعت كلاً من الزجاجات والقوائم الأربع.. في نزولي على السلم وجدت المستكاوي قد حضر، رجعت مسرعا مرة أخرى لم أكن أستطيع تمالك أعصابي.. دقات قلبي في تزايد أشعر النبض يخترق شرائي، أنفاسي تتبعالي بشكل مخيف لا أدرى أي طريق أسلكه، رجعت تذكرت غرفة الجاكوزي وجدت فيها إحداهن تجهز لزيون الحمام الذي سيلعبون معا لعبة الغميضة ويغطسون سويا في مغطس مستدير مليء بالزيوت العطرية.. وجدتها خرجت ربما تحضر أشياء للحفلة المنتظره... دلفت مسرعا وصعدت على مكاني القديم

وضع المراقبة وانتظرت لم يأت الباشا ظهروا جميعاً والكل يسأل عنى وقالوا إن البasha سيستاء من عدم سرعة قتلي فهذا خطير.. وسائل الصفي بيلاهة: هو لازم يعني النجار بييه ببصم عند نرمين بذات نفسها قبل ما ييجي.. تعالت الضحكات وتبادلوا كؤوس الرئيس المختلط بالخمور.

نزلت من مكانى.. وخرجت بتوجس نزلت مرورا بشقة نرمين الراقصة.. أريد أن أرى النجار الذي لم أستطع رؤيته ولم أعلم غير هذا الاسم لكنني ازدلت خوفاً وخرجت هذا المكان المشؤوم.

لقد تركت لك يا خالد عينة تجدها بجوار الكتاب من الرئيس المطحون البدرة.. وأيضاً سرنجة بها زيته المحضر.. ربما ستحتاجه.. والأرقام التي معك.. من الكتاب.. هي عبارة عن مجموعة مستندات سرقها ودسستها داخل هذا الكتاب، هذه الأوراق تدين كل هؤلاء بأعمال تجارة غير مشروعة سرقتها من مكتب المستكاوى في آخر زيارة لي وتركت لك كرتونة من العطور المجهزة، وهذه آخر هدية مني، خذها وخذ هذا الكتاب به أسرار ستتعلم كيفية صناعة هذه العطور.. وستتعلم أكثر بكثير عن العطور التي أصبحت مخدرات.

لقد خرجت من السجن يا خالد وعلمت من هو النجار، اقتربت منهم لكي أعلم ولكن وبكل سهولة وجدته والد ضابط المباحث حسن محمد النجار اللواء المتقاعد واليوم سياخذن جزاءه.. سأراك لو بقي لي عمر.. أمهيت كلمات فاضل المكتوبة في الورقة وتفحصت الأوراق والمستندات المندسة بين أوراق الكتاب وووجدت أنها بالفعل أوراق ثبتت تورط

الكثير منهم وصور وضعت في ملف أسفل الكرتونة التي تحتوي على أرقى أنواع العطور، المستندات والصور وهذه الأسماء كبيرة جداً في البلد، لقد علم فاضل أنه لن يأتي بأي حق مع هؤلاء وقرر أن يأخذ حقه عنوة من القدر المقدره.. والسؤال هنا لماذا يرتب فاضل الأوراق بترتيب رقم الضابط إسلام هذه رسالة واضحة.. سأسلم لإسلام هذه الأوراق.. ولعل هذه وصية فاضل الأخيرة.. أخذت كل ذلك.. خرجت إلى زهرة التي وجدتها تبحث عنني في البيت وبين غرفه ولم تجدني وتعجبت بظهورها بغطة الذي قذف الرعب في قلبيا.. وسألتني أين كنت.. ولكن ليس هذا وقت أدمري فيه فرحة أراها في عينيك.. ساعدتني على حمل الأشياء وضعتها في مؤخرة السيارة وذهبت إلى شقتي بعد جثوم الليل فقد ودعنا النهار بغروب مخيف وسقطت الشمس من السماء كسقوط النيزك على الأرض مصحوب بشهب تصيء السماء.. وصلنا أنا وهي الشقة بعد عزمهَا على مساعدتي في حمل العطور والمحفوظات.. فتحت الباب وجدته مفتوحاً بالفعل، دفعته ودخلت ببطء شديد وبترفق كل شيء ليس في مكانه كل شيء محطم.. التلفاز محطم والأريكة وحتى السرير لم تكن محاولة سرقة.. قالتها زهرة وهي ممسكة بي بخوف أكاد أسمع دقات قلبيا ونبضه الذي يتعالى.

لقد علمت.. النجار علم بكل شيء يريد أن يأخذ ما له.. قبل فوات الأوان.. وأتمنى أن تخفي زهرة من هذا المشهد لكنها أصرت على بقائها..

- ايه اللي بيحصل بالضبط يا خالد.. أنا شايشه إن في حجات غريبه ومش عايشه ادخل.. عشان شاييفاك مش عايزة تتكلم .. بس ده أصبح في خطير على حياتك.

أمسكت يدها وجلستنا على اريكة الصاله التي كانت تنام على ضهرها
اعدتها مكانها.. وهمممت بالتحدث وشرحت لها ما حدث وان فاضل لم
يعرف حينها أنه أبوكٍ... وذكرت كل شيء.

أجهشت زهرة بالبكاء وطلت تبكي كثيرا على أبيها الذي تحطم صورته
الآن أمامها لم ترد بكلمة واحدة.. لم تتحدث.. جمعت أغراضها في
صمت وذهبت.. وأنا لم أفعل شيئاً غير تركي لها... من يقترب مني يحدث
له كل المصائب حتى ولو كان هو في ذاته سبباً.. كل شيء يحدث ويكون
نهايته عندي وللأسف نهاية مأساوية.. ظلت أحدث نفسي ووضعت
السيناريوهات الجديدة للأحداث.. تخيلات تقتلني يوميا.. تذكرت
الهاوند.. كلبي الوفي.. مدافعي.. محطم العقارب القاتلة.. بحثت عنه
كثيراً فوجده قد أصابه أحدهم في قدمه.. أسرعت إليه فهو يتالم..
لديه جرح كبير في قدمه، بحثت عن معدات الجراحة لدى فوجدها،
عمقت قدمه ببيتادين جراحي.. أعطيته القليل من حقن مخدر
المباكيين الموضعي ورششت بجوار أنفه بعطور فاضل المخدرة، ونام
فرعون وانتظمت أنفاسه.. أخذت له غرزاً في قدمه وعصبت قدمه
بشاش ونممت بجواره بعد استنشاق الكثير من العطر الأرجواني.. لم
أشعر بشيء بعد.

عقلك هو الخلاص يا خالد.. صوت فاضل يتعدد في أذني.
صحوت على صوت الغربان السود.. يحلقون فوق.. بشكل دائري...
دائرة سوداء مخيفة يقتربون مني.. هاجموني... أسرعوا نحوني... أسرعت
بعيداً عنهم.. عزمت على مواجهتهم.. استمررت في الزحف وجدت قطعة
خشبية ولففت عليها قماش.. وأشعّلتها ناراً بقداحتي الفضية.. وكلما

اقترموا مني أحرقتهم إلى إن ذهبوا جميعاً في سماء سوداء وظلام مخيف ليس به نجمة واحدة، أكملت طريقاً لا أعرف له نهاية ولا أراها، وجدت نفسي في شقتي مرة أخرى.. ظهر لي العقرب الكبير مرة أخرى وحاول أن يطعني بذيله الحاد.. هربت منه.. حاولت الاختباء.. علمت أنني لا بد من المواجهة.. هذه مخاوفك يا خالد لا بد من التخلص منها.. وقفـت أمامـه أمسكت كرسـيا خـشـبيـا حـمـلـتـه بـصـعـوبـة وأـلـقـيـتـه عـلـيـه فـأـصـابـهـ، تـقـلـصـ حـجـمـ العـقـرـبـ قـلـيـلاـ، أـمـسـكـتـ كـرـسـياـ آـخـرـ.. وـتـقـلـصـ حـجـمـهـ أـكـثـرـ وأـكـثـرـ إـلـىـ إنـ وـصـلـ إـلـىـ حـجـمـ العـقـرـبـ الصـغـيرـ، فـهـرـسـتـهـ تـحـتـ قـدـمـيـ وـجـلـسـتـ أـتـعـرـقـ وـأـنـفـاسـيـ تـتـلـاحـقـ، وـجـدـتـ المـاءـ يـنـسـابـ دـاـخـلـ الشـقـةـ، نـظـرـتـ فـوـجـدـتـهـ يـأـتـيـ مـنـ كـلـ حـدـبـ وـصـوـبـ يـتـخـلـلـ مـنـ فـتـحـاتـ الـأـبـوـابـ وـالـنـوـافـذـ.. يـنـسـابـ وـيـعـلـوـ وـيـعـلـوـ، طـفـوـتـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ المـاءـ، الشـقـةـ أـصـبـحـتـ مـغـمـورـةـ بـالـمـاءـ، تـذـكـرـتـ أـنـ كـلـ ذـلـكـ مـخـاـوفـ غـطـسـتـ تـحـتـ المـاءـ شـعـاعـ شـمـسـ يـأـتـيـ مـنـ أـعـلـىـ حـاـوـلـتـ الـوـصـولـ لـهـ، بـدـأـتـ بـالـعـوـمـ تـجـاهـهـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـتـ أـعـلـىـ المـاءـ.

* * * *

(١٩)

استيقظت على نبضات هاتفي، أجبت فوجدت الضابط إسلام يسألني:
_ أنت فين.. أجبته بنبرة نوم وثقل في لساني:
_ أنا في البيت... اللي كسرتوه من يومين.
_ لازم اشوفك حالاً أنا جايلك.

لم أنظر إلا ساعات معدودة، الفيوم لم تبعد عن القاهرة إلا ساعة ونصف بأكبر تقدير.. قرع بابي، اقتربت لأفتح فوجدت عملاقا من عمالقة الجان يلبس أسود يملئ جسده بعضلات وانتفاخ في أوردته من أثر حمل الأثقال.. سلم على وجهي بكلمة لم أدر ما حدث.
أفقت في ظلام دامس، رأيت في السماء فتحة سوداء كبيرة مثل الثقوب السوداء يحيطها نور محكم داخلها، اقتربت مني السماء.. شعرت باهتزازات في الأرض.. لعل هذا يوم القيامة.. لقد لقيت حتفي والآن أرى قبض السماء على الأرض، السماء تقترب أو الأرض تتعالى من تحتي لا أدرى ما يحدث.

انقضت السماء علي، ألقيت نفسي داخل هذا الثقب الكبير.. اختفت الجاذبيه من تحتي.. أنا اطير في هذا الثقب الكبير.. أري الأشياء تصعد لاعلي.. وأشياء تنزل لاسفل.. وآخر تسير في اتجاهات متضاده الجاذبيه وهذا فعلها فقدها يحدث تناشر لكل شيء.. كنت أسبح.. وأرى أبعاد الكون كله من حولي.. أرى فاضل في غرفته ويلاعب مني... ويسعن العطور.. اقترب محاولا الوصول لهم...

ووجدت نفسي التصقت وكأني في بعد آخر مثل المرأة العاكسة.. كل شيء مكسر الأبعاد تختلف مرة أخرى.. وجدت زهرة تبكي أسرعت نحوها وقف أمامي هذا العملاق الأسود وصفعني بيده وغمرنني في بحر عميق. أفقت من غفلي وأنا معصوب اليدين.. بحبل ومصلوب في مكان مهجور.. لعلهم أيقظوني بماء آسن، أشم رائحتي.. ظلوا يغذبونني.. من أجل شيء لا أعلمه ولا أعلم ماذا يريدون، جاء أحدهم وأنا عيناي مقفلتان من كثرة الضربات وسألني سؤلاً: فين الورق اللي صاحبك سرقه؟

رددت عليه بهدوء: في الشقة في الكتاب.

ونمت مرة أخرى ولم أر نفسي إلا في مستشفى وجسدي كله معصب بشاش وجبس يحاوطني.. زارني إسلام الذي قد شكلت فيه.. بسبب ما فعله.. كنت على وشك توصيل جميع الأوراق له، ولكنه للأسف أخذ طريقاً آخر.. وأردف:

ـ أنا كمان طلعت متراقب يا خالد.. مكتنش متخيل أنهم هيراقبوني أنا شخصياً.. بعد ما كلمتك وصلت لشقتك وجدت كل شيء متناشر ومحطم.. ولم أجده.. علمت أنهم أخذوا الأوراق... كان فاضل عنده حق لما قالـي... الناس دي مش هعرف أخد حقـي منهم غير كده.

نظرت إلى كلامه ولم أفهم شيئاً إسلام مع أي فريق وماذا يريد مني..

اعترف لي إسلام بكل شيء بعد خروجي من الجبس والمستشفى..

فاضل بعد قتل الدميري وما حدث.. حاول الوصول لي.. قابلني من أجل هذه المستندات.. شكلت فيه بعد ما وجدت المستكاوي هو الآخر يموت... وشكلت فيك يا خالد أنت أيضًا عندما وجدت بصماتك على

خنجر في مقتل الصفي قال لي لا أستطيع اخذ حقي من هؤلاء إلا بقتلهم.. أقنعته بالعكس واتفقنا على أنه سيسلمني المستندات التي تدين النجار وهؤلاء وعدم أخبار حسن هو الآخر فربما لم يعلم مشاركة أبيه في كل ذلك.. أو هو الآخر يشاركون.. ولكنك تدخلت في وقت غير مناسب.

لقد اتيت لفاضل في اليوم الذي اتفقنا على خطة أنا وفاضل. فاضل يأتي إلى النجار في بيته في محاولة منه لقتله، أنا أطلق عليه النار وهو يلبس واقي رصاص ونظهر لهم أنه مات.. ولكنك تدخلت وهرب منك فاضل بعد إعطائه منوماً كما ذكر لي ومكالمتك لي زادت توتر الأمر مما أدى إلى وصولي متاخراً وقتله حسن بيده أمامي وللأسف لم نلحقه.. أردفت عيني تساقط من دمعات:

ـ عايزتقول أني أنا السبب في موته؟

ـ مش عايز اقول كده.. أنا بقولك على اللي حصل.

وذهب وتركني أتساءل آلاف الأسئلة.. رجعت زهرة بجواري مرة أخرى تحسنت أحوالى، اتفقنا على الذهاب إلى إحدى القاعات للاتفاق على حفل زفافنا.. واتفقنا على وجود الراقصة نرمين التي شهرتها مرمر.. أن تحبي حفل زفافنا.. تعجبت زهرة من هذا الطلب فنحن لا نريد راقصات بالحفل من الأسماء.. وقال سنتصل بها فهي ستأتي من القاهرة وهذا سيضاعف أجراها.. وافتقت على كلامها، ونحن عائدون ظلت تتكلم زهرة ما سروراء كل ذلك ولماذا تريد راقصة وهذه بالذات.. لم أصدر أي صوت.. لم أجب.. لم يتحرك لي جفن..

كنت أجلس أمام هاتفي... أنتظر رنة واحدة من صاحب قاعة الأفراح.. وقال إنها جاءت.. أخذت سيارة زهرة.. وذهبت ووقفت بعيد في الطريق مراقباً القاعة.. كانت لدى صورة لها من الصور.. اتصلوا علي أجبت واعتذررت على عدم حضوري لظروف حدثت طارئة.. استاء الرجل وتفاقم غضبه.. خرجت نرمين من القاعة بعد انتظاري ساعات.. سرت وراء سيارتها وفي طريق هادئ.. قطعت علماً الطريق دخلت سيارتها وأحملت إحدى سكاكين مطبخي مهدداً لها إن تكلمت سأذبحها.. غرسـت في فخذها سرنجة وفرغـت داخلـها ماءـها.. وقلـت هذا سـم إن لم تفعـلي ما سـأقولـه سـتموتـين خـلال يوم أو يومـين..

تركتـها وذهـبت..

رجـعت إلى صـاحـبـ القـاعـةـ واعـتـذرـتـ لهـ وقلـتـ أـخـبرـهاـ أـنـهاـ سـتـحـيـ الفـرـحـ وـسـتـأـخـذـ ماـ تـريـدـ.. وـذـهـبـتـ..

واتـيـ يومـ الفـرـحـ.. الـيـومـ الذـيـ اـنـتـظـرـتـهـ كـثـيرـاـ.. وـتـذـكـرـتـ فـاضـلـ فـيـ روـيـةـ أـمـهـ وـأـبـيهـ.. وـلـمـ أـنـسـ أـيـضاـ مـنـ.

كـنـتـ أـرـتـديـ بـدـلـهـ سـوـدـاءـ وـبـيـونـةـ تـلـيقـ مـعـ فـسـطـانـ زـهـرـتـيـ العـرـوـسـ التـيـ ظـلـلـتـ اـنـتـظـرـهـاـ أـمـامـ الـكـوـافـيرـ.. جـاءـتـ زـهـرـتـيـ وـحـبـيـتـيـ.. فـهـيـ تـضـيـئـ مـثـلـ الـلـؤـلـؤـ تـنـيـرـ اـطـرـافـ الـمـكـانـ الدـنـيـاـ فـيـ عـيـونـهـاـ جـمـيلـهـ تـحـيطـهـاـ عـزـرـاؤـتـ يـحـمـلـونـ فـسـطـانـهـاـ أـلـبـيـضـ الـمـتـنـاثـرـ بـشـكـلـ دـائـرـيـ كـبـيرـ وـعـلـيـ رـأـسـهـ تـاجـ كـبـيرـ مـرـصـعـ بـالـلـؤـلـؤـ أـوـ كـمـاـ ظـنـنـتـهـ وـالـمـبـارـكـاتـ تـحـيطـنـاـ وـالـاحـضـانـ تـمـمـسـكـ بـنـاـ وـاخـيرـاـ.. تـجـمـعـنـا.. سـنـكـونـ مـعـ اـيـهـاـ الـجـمـيلـهـ.. سـتـكـونـنـ زـوـجـتـيـ وـحـبـيـتـيـ.. بـعـدـ كـلـ هـذـاـ الـأـلـمـ.. دـلـفـنـاـ جـمـيـعـاـ إـلـىـ الـفـرـحـ قـاعـةـ كـبـيرـةـ وـالـمـوـسـيـقـىـ تـسـتـقـبـلـنـاـ عـلـىـ اـطـرـافـ الـقـاعـةـ وـالـجـمـيـعـ يـنـتـظـرـونـنـاـ لـقـدـ وـصـلـنـاـ وـصـلـاـ الـأـمـيرـ

والأميرة وصلت ملكتكم أمها القوم.. أنت مرمر ترقص أمامنا وهي تنظر في عيني.. مبتسمة.. أرى تعبيرو وجهها يفترش عليه البهجة والخوف.. خوف من سم يقتلها إن لم أعطها ترياقا يخلصها منه.. لم تبعد ناظرها عني.. لكنني في هذا الوقت لم أرى غير زهرتي حبيبتي.. تتمايل مثل الزهور في البستان عندما يأتي إليها نسمات تحركها.. أشعر بفراحة تجوب في قلبهما عشقا وعيون متألقة ودمعات أمها فرحا وأحضان أمي وأبي، رقصنا جميعا والأهل أهلكونا رقصا على دقات الدي جي.

وأنهينا فرحنا برقصة للعروس والعريس قالها مقدم الفر.

كانت أول مرة أرى عيني زهرة عن قرب، قبلتها في جبينها، تداعست جميع أفكاري لزهرة مرة واحدة وشعرت بلهفة تجاه زهرة، أريد إن آخذها إلى بيتنا وأنفرد بحبيبتي... مرت من أمامي كل الأحداث التي مرتنا بها، ابتسمت وهي ترقص بين أحضاني وتغطيني بطرحة بيضاء لها وأخرجتني من شروادي.

ـ بتفكر في إيه يا حبيبي؟

تذكرت أنها معى وافتترش وجهي تبسمًا لها. وأردفت: بفكري فيكي انتي..
ومش مصدق انك معايا وهفضل على طول هنا.

ازداد خجلها وأطلقت نظرها بعيدا وزاغ عنى بخجل ضرب سهام العشق قلبي.. وأنهينا رقصتنا وتعالى التصفيق.. وازداد الصخب.. وأنهينا الفرح وخرجنا.

ركبت زهرة السيارة وفي ركوبى جاءتني نرمين وقالت:
ـ أنا عملت اللي كل طلبوه مني.. فين العلاج؟ ابتسمت لها وقلت: مفيش علاج.

رمقتي بنظرة جاحظة.. وبحقن شديد.. أردفت لها:
_ أنا حفنتك بمحلول ملح.. مش سم ولا حاجه ... متخافيش... ابتسمت
لها ودلفت إلى السيارة... وأنا أنظر إلى وجهها المصدوم من كلماتي التي
وقدت عليها وتذكرت أنها فعلت ما فعلته خوفا على حياتها التي لم تكن
في خطر من الأساس ...

سألتني زهرة عن ما حدث لم أجرب ولكني تذكرت ما حدث..
لقد حقنت نرمين بسرنجة بها محلول ملح غير مضر وأفهمتها أنه سم..
وطلبت منها لا بد لإعطاء هذا المسحوق في شراب النجار وذهبت
وحضرت له عطرا فاخرا مخصصا وحقنت عطره بالريسين.. وأرسلت
لحسن هو الآخر هذا العطر فاستنشقه.

لم أترك نرمين تفعل ما أمرتها به إلا بعد تأكيدي أن التجارلن يتركني،
لن ينسى أنني أعلم عنهم كل شيء ولن يستطيع حمايتي إسلام.. فهو لا
يستطيع حماية نفسه أمام هذه المنظمة.. منظمة تتاجر بكل شيء..
حتى الأحلام.. ولو كان يعلم فرويد ما يحدث لما فسر الأحلام وأعطى لهم
الطريق.

لقد علموا أن الأحلام هي مصدر كبير في التأثير على الوعي الوعي..
بالتحكم في اللاوعي..

اللاوعي الذي يجعلنا نسير دون الشعور بشيء نرى ونحب ونقول لا
أعلم أي أحب هذا ولا أعلم السبب... ويكون سبب واضح داخلك ولكن
لا تعلم فك رموزك.. لقد حصلت الآن على رموز اللاوعي لدى... لقد
علمت ما هي المرأة المموهة التي تضربني في هيئة جاثوم.. ولما تربطني بهذا

الشكل.. كان ذلك منذ زمن بعيد وعلمت إن هذه المرأة هي ضميري يقتصر مني ضميري الذي أشعر بالذنب منه ربما تجاه مُنِي.. شعرت بذلك وافتuel اللاوعي لدى كل هذه المبررات بأنني تزوجتها وحملت مني.

ولقد علمت أنني لدغت من عقرب وهذه الذاكرة تفاقمت وتحولت إلى مخاوف تحيطني حتى خوفي من المياه ومحاولة إنقاذى من حمام السباحة في صغرى وقد كنت على وشك الغرق فيه.. كل ذلك المخاوف صنعها اللاوعي.. وربطها بواقع مير أعيشه.

لدي رموز ليست لتفسير أحلامي فقط.. للسيطرة على أحلام الآخرين.. وهذا ما يسعى إليه هؤلاء.

لقد فعلت نرمين ما هو مطلوب منها بالضبط... لقد وضعت للنجار في مشروبها بعض قطرات الريسين وأرسلت لنجله الذي اكتشف أنه مكلف بقتلي من أبيه كما قتل فاضل..

وظل في المستشفى هو وأبوه أيام وغرقا في دمهما.. كان ذلك مصيرا محتموا لهما.

وحذرت نرمين من التجارة في الدعاية وخطف هؤلاء البناء العذاري. ولم أطمئن إلا بعد قراءة خبر في جريدة الأهرام أن اللواء حسن النجار ونجله ماتا باسم غير معلوم.. وسيتم التحقيق في الأمر..

وأما الضابط إسلام فقد أخذ مني النسخة الأخرى المصورة من المستندات ووجد أن هذا الأمر له جذور كبيرة.

والمركز ليس بفرع واحد فلديهم فروع كثيرة في القاهرة وحتى المحافظات وقد قبض على الكثير منهم وترقى إسلام بيه وأصبح رئيس مباحث..

ابتسمت إلى زهرة.. وقلت لها: متقلقيش..

وأخرجت عطر فاضل من جيبي وقلت لها: تحبي تشمي ريحته؟ وافقت على الفور وقالت:

ـ أنا بعشقه عشانك.. ورتبت على معصمي وألقت رأسها على كتفي.
ابتسمت لها وقلت لما نوصل البيت.

دلفنا إلى الشقة وودعنا الجميع في الخارج، أدخلتها ووقفت في الصالة وهي تنظر إلى وإلى الشقة التي أصبحت جنتها الجديدة وهي في قمة سعادتها.. سمعت صوتا يأتي من غرفة فرعون.. ذهبت لأنفقصده.. اقتربت.. وجدت فرعون نائماً على بطنه معصوب القدمين بشاش ويملس أحدهم عليه، يجلس على كرسي في ظلام متخفِ بركن الغرفة، اقتربت وقلت: له أنت مين؟

ظهر وجهه لي.. ونظر مبتسماً.. أنا فاضل.

رجعت إلى الوراء مسرعا ثم اقتربت منه.. وأردفت: ده إزاي؟
أردف بصوت هادئ:

- كان لازم أباركلك يوم فرحك.

كنت واثقاً أنك هتخلص منهم.. مش قولتلك إن عقلق هو اللي
الخلاص..

هستناك نجرب عطر جديد... بجهزه.

اه..مني بتسلم عليك.. بتوصيني أباركلك..

سمعت صوت زهرة تنادي وجاءت إلى الغرفة:

ـ أنت بتتكلم مين يا خالد؟!
أطلقت نظري تجاه صوتها.

_ فاضل يا زهرة.. اهو.. رجعت بنظري مرة أخرى وجدته اختفى وستائر
النافذة تتطاير وفتحت النافذة المغلقة.. وفرعون يصدر نباحه عليهما..
أمسكت زهرة بيدي وأخذتني.

_ فاضل إيه بس يا خالد.. تعال يا خالد تعالى يا حبيبي..
ودلفنا على غرفة نومنا.

* * * *

عندما تغيب العدالة في مجتمع..
تقام فيه محاكم الغربان..

- تمت -

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج . م . ع

www.Idafabooks.com